



٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٣٧٢٠

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى - مكة المكرمة
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة - الدراسات العليا



١٦١٣

٢٠٧٢

(داود وسليمان - عليهما السلام - في الأسفار اليهودية)

عرض ونقد

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في العقيدة

إعداد الطالبة

مي حسن محمد المدحون

١٤٢٠-١٤٢١هـ

الجزء الأول

إشراف الدكتور

محمد يسري بن جعفر محمد عبدالمجيد

بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين

نموذج رقم (٨)

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات

الاسم (رباعي) : مي بنت حسن محمد المدهون كلية : الدعوة وأصول الدين قسم : العقيدة
الأطروحة مقدمة لنيل درجة : الماجستير في تخصص : العقيدة
عنوان الأطروحة : داود وسليمان عليهما السلام في الأسفار اليهودية عرض ونقد

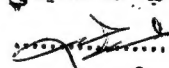
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد

فيما تحلى توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه والتي تمت مناقشتها بتاريخ ١٤٢١/١١/١١ هـ بمقرها بعد إجراء التعديلات المطلوبة ، وحيث قد تم عمل اللازم، فإن اللجنة توصي بإحازة ثنائي صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه.


والله الموفق.....

اعضاء اللجنة


المشرف

الاسم : د. عبد الله النميحي
التوقيع: 

المنافش الداخلي

الاسم : د. عبد العزيز المرشدي
التوقيع: 

المنافش الخارجي

الاسم : د. محمد حسان كسبه
التوقيع: 

يعتمد

رئيس قسم العقيدة

الاسم : د. عبد الله القرني
التوقيع: 



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

وتحتوي على :

١- استفتاح

٢- أهمية الموضوع

٣- خطة البحث

٤- صعوبات الموضوع

٥- منهج البحث

٦- تقدير

١- الاستفهام

الحمد لله رب العالمين الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد الأولين والآخرين وخاتم الأنبياء والمرسلين - صلى الله عليه وسلم - وعلى إخوانه الأنبياء والمرسلين وعلى آله الطاهرين الطيبين وصحابته الغر الميامين وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين ، آمين .

٢- أهمية الموضوع

أرسل الله الرسل لهداية البشرية ، وأرسل في كل قوم رسولا منهم يدعوهم إلى عبادة الله ويهديهم سواء السبيل. وشاء الله سبحانه وتعالى أن يجعل حبيب محمد - صلى الله عليه وسلم - خاتم الأنبياء والمرسلين فكانت رسالته - صلى الله عليه وسلم - متميزة عن بقية الرسالات فجاءت عامة لكل البشر وصالحة لكل زمان ومكان، قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾^(١).
ومن هنا فقد جعل الإسلام من قواعد هذا الدين وأسس هذه الرسالة أن تؤمن ونصدق بكل الأنبياء والمرسلين - عليهم أفضل الصلاة والتسليم - قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكِتَابِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾^(٢) ، لذا فإن أي طعن يوجه إلى أحد من الأنبياء والمرسلين فكأن هذا الطعن قد وجه إلى هذا الدين الإسلامي الحنيف مباشرة ، لأن الله سبحانه وتعالى قد بين في القرآن الكريم أنه قد اصطفى أنبياءه ورسله وطهرهم تطهيراً فهم قادة البشرية ، قال تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَفْتَدَةٌ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾^(٣). وقد دأب زنادقة بني إسرائيل على طول الزمان أن يوجهوا الطعن والأفعال المنكرة إلى الأنبياء والمرسلين ولم يكتفوا بنقلها شفهيّاً بل سطوروها في كتبهم على أساس أنها وحي من الله ومن جملة الأنبياء الكرام الذين نسب إليهم زنادقة بني إسرائيل ومفسدوهم الأفعال المنكرة التي ينبذ لها الجبين خجلاً داود وسليمان - عليهما السلام - بغرض إخراج البشرية عن الجادة السوية ودعوتها إلى التحلل والميوعة وزحزحتها عن الفطرة التي فطر الله الناس عليها .

(١) سورة الأنبياء آية ١٠٧ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٨٥ .

(٣) سورة الأنعام آية ٩٠ .

ولو بقي هذا التحريف في كتبهم لكانت المصيبة أهون لكنه امتد حتى وصل إلى كتب بعض المفسرين المنتشرة بين يدي المسلمين اليوم عن طريق القصاصين المحترفين في المجالس والأندية فذكرها بعض المفسرين الذين لم يتشددوا في الرواية في كتبهم فكانت بلاء على الإسلام ومثاراً للإرجاف والتشكيك من قبل المارقين والحاquدين .

ولولا كتاب الله الحق الذي لا يؤتیه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لعصفت هذه الأباطيل بالبشرية - ولنا في آيات الذكر الحكيم ما ينافي هذه القصص وينسفها من أساسها ، وقد استخرت الله في أن يكون موضوع رسالتي هو الدفاع عن بيت من بيوت النبوة بلغ الافتراء عليه من قبل بني إسرائيل كل مبلغ وهما داود وسليمان - عليهما السلام - في الأسفار اليهودية عرض ونقد وما زال هذا التحريف إلى يومنا هذا ، وقد دفعني إلى اختيار الموضوع أربعة أمور :

- ١ - أن هذا الموضوع يتصل اتصالاً وثيقاً بالعقيدة فهو يعالج النبوة والمعجزة وهي من صميم العقيدة الإسلامية وهو يبحث في نبوة نبيين كريمين هما داود وسليمان - عليهما السلام .
 - ٢ - ارتباط هذا البحث بمقارنة الأديان فهو يقوم على الدراسة والتحليل لما نسب لآل داود في الأسفار اليهودية وعرضه عرضاً تاماً وافياً ثم مقارنته بما جاء في القرآن الكريم .
 - ٣ - أن هذا البحث له علاقة بموضوع الساعة في ادعاء إسرائيل الحق في المسجد الأقصى وإعادة بناء هيكل سليمان - عليه السلام .
 - ٤ - وامتد التحريف من المرحلة الفكرية إلى مرحلة التطبيق وذلك بقيام دولة إسرائيل على أرض فلسطين وإجراء الحفريات المستمرة تحت المسجد الأقصى للبحث عن أدلة تثبت حقهم المزعوم أولاً وبهدف زعزعة أركان بيت الله لهدمه وبناء الهيكل مكانه ثانياً .
- ولم أجد من سبقني إلى كتابة هذا الموضوع كتابة تتناول جميع أطرافه ونقله إلى واقعنا المعاصر وأثره في شباب المسلمين اليوم .

وبناء على ما أشار إليه معهد البحوث العلمية في جامعة أم القرى اتضح أن هذا الموضوع لم تسبق دراسته في قسم العقيدة ويوجد دراسة في قسم الكتاب والسنة لنيل درجة الدكتوراه بعنوان داود وسليمان - عليهما السلام - في القرآن والسنة لسعادة الدكتور / عويد بن عياد المطرفي عام ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م وهي دراسة تفسيرية حديثة تكاد تختلف عن مقارنة الأديان في هذا البحث وبالله التوفيق .

٣ - خطة البحث

وفي سبيل تجلية الموضوع جعلت رسالتي دراسة مقارنة اعتمدت فيها على المنهج التاريخي الوصفي في عرض تاريخ اليهود ووصف عقائدهم ورجعت إلى أسفارهم اليهودية فتاريخ اليهود جزء من ديانته ومن هنا تأتي أهميته .

ومن لوازم هذا المنهج أيضاً أنني رجعت في تفسير بعض هذه النصوص إلى شراح العهد القديم وهم إما من اليهود أو النصارى ، وسوف يلاحظ القارئ أنني أكثر من نقل النصوص الخاصة بـ داود وسليمان - عليهما السلام - من هذه الأسفار دون شرح أو اختصار لبيان تناقضهم واختلافهم ومن ثم الاحتكام إلى القرآن الكريم والآثار الصحيحة المتعلقة بالأنبياء داود وسليمان - عليهما السلام .

وكثيراً ما ربطت النتائج بواقع المسلمين اليوم فجاءت الرسالة في مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة ، وذكرت في المقدمة أهمية الموضوع وأسباب اختياري له والمنهج العلمي الذي أسير عليه في كتابة الرسالة .

وتحتوي خطة هذا البحث (داود وسليمان - عليهما السلام - في الأسفار اليهودية عرض ونقد) على ما يأتي بعد هذه المقدمة :

التمهيد : الأسفار اليهودية

- (١) : التعريف بالأسفار اليهودية .
- (٢) : أسماء بني إسرائيل في التاريخ .
- (٣) : عرض موجز للأسفار اليهودية وتحريفها .
- (٤) : تدوين القرآن وحفظه .

الفصل الأول : نبوة داود - عليه السلام - ومعجزاته

المبحث الأول :

- الظروف الاجتماعية والتاريخية لبني إسرائيل قبل بعث داود .

المبحث الثاني : - نبوة داود - عليه السلام ومعجزاته .

المبحث الثالث : - أسفار داود عليه السلام عرض ونقد .

الفصل الثاني : نبوة سليمان - عليه السلام - ومعجزاته

المبحث الأول : الملك سليمان - عليه السلام - في الأسفار اليهودية .

المبحث الثاني : الملك سليمان - عليه السلام - في القرآن الكريم .

المبحث الثالث : أسفار سليمان - عليه السلام - عرض ونقد .

الفصل الثالث : بين الهيكل والمسجد الأقصى

المبحث الأول : بناء الهيكل في الأسفار .

المبحث الثاني : الواقع التاريخي للهيكل .

المبحث الثالث : المسجد الأقصى.

المبحث الرابع : مزاعم الصهيونية حول الهيكل والمسجد .

الخاتمة

الفهارس

٢- صعوبات الموضوع

على الرغم من أهمية كل موضوع يتحدث عن بني إسرائيل وأنبيائهم فإن الإبداع المرتجى فيه لم يتحقق لوجود عدة عقبات حالت دون ذلك :

١- طول فترة الدراسة التي تمتد إلى ما يزيد على عشرين قرناً من الزمان منذ بعثة داود وسليمان - عليهما السلام - والمدون لهذه الفترة أقلام يهودية متعصبة حاقدة معهم أو حتى ضدهم طوعوها بهدف الوصول إلى غايتهم .

٢- قلة المصادر اليهودية التي تشرح الأسفار فمعظم المراجع التي توفرت لدي كانت بأقلام لاهوتيين من النصارى . ونادراً ما أجد رأي كاتب يهودي مبثوث في كتب اللاهوتيين لحرصهم الشديد على عدم نشر أفكارهم الدينية والتوسعية فهم أشد الناس عداوة للمسلمين كما قال تعالى : ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ

أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ
مِنْهُمْ قَسِيسِينَ وَرَهَبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١١﴾ .

- ٣- إفلاسي التام من اللغات الأجنبية والحديث عن الأسفار اليهودية وشروحها يعتمد بشكل كبير على تلك اللغات ولا سيما اللغتين العبرية والإنجليزية ولكني استعضت عن ذلك - قدر المستطاع - بالترجم منها وهو كثير والحمد لله .
- ٤- استمرارية الأحداث التي تتطلب متابعة يومية لما تبثه وكالات الأنباء العالمية من الأخبار المتعلقة بدولة إسرائيل وعمليات الحفر تحت المسجد الأقصى ومحاولة إحراقه وإرهاب المصلين في بيوت الله في مدينة القدس وما جاورها لإرغامهم على تركها والله المستعان .
- ٥- تباين أحجام المباحث من حيث الطول والقصر سببته ضرورة إعطاء البحث حقه فأتى الفصل الأول أطول الفصول لاحتوائه على تعريفات مهمة حول مفهوم النبوة والمعجزة والوحي والعصمة كمدخل لمقارنة نبوة داود - عليه السلام - ومعجزاته بما ذكر في القرآن الكريم .

٥- منهم البحث

- ١- حاولت الإيجاز في كثير من الموضوعات
- ٢- كتبت الآيات بخط المصحف الشريف وخرجتها في الحاشية وكتبت نصوص الأسفار اليهودية بالخط الأندلسي بين قوسين معكوفين [] وخرجتها في الحاشية .
- ٣- خرجت الأحاديث الشريفة الواردة في البحث وذكرت الحكم عليها إذا كانت في غير الصحاح ، اللهم إلا ما كان فيها في أسباب التزول غالباً فإني - والحالة هذه - لا أحكم عليها إذ أنقلها من كتب التفسير وأسباب التزول عدا الصحيح المسند من أسباب التزول مكتفية بدلالة الآيات الكريمة المتحدث عنها .
- ٤- محاولة تعريف لكل علم ومصطلح أو موقع يرد في ثنايا البحث سواء كان عربياً أو علمياً إلا أن المعاجم المتوفرة لا تسعني في كل الأحوال وقد حاولت التعريف بكل ذلك في أول ورود له إلا إذا كان إرجاؤه إلى موضع آخر هو الأنسب لمضمون الموضوع .

- ٥- النقل من الأسفار اليهودية إنما يقصد به تلك النسخ المحرفة والمترجمة إلى العربية أما الأصلية فلا وجود لها - فيما أعلم - على الإطلاق .
- ٦- أعرضت عن ذكر التاريخ محددًا بالسنين لما فيه من تضارب كبير بين كتب التاريخ وكتب التفسير عندهم ، لذا اخترت تحديد القرن بالإشارة إلى أوله أو آخره وخصوصاً ما كان منه قبل الميلاد .
- ٧- الإحالات في كل حاشية تحتوي على عدة جوانب أستخدمها كما يأتي :
- أ (ذكر اسم السفر كاملاً دون اختصار ثم رقم إصحاحه ثم الفقرة التي تدل عليه لسهولة الرجوع إليه في أسفارهم .
- ب) أضع ما أنقله حرفياً ضمن قوسَي التنصيص بهذا الشكل () .
- ج) وعند التصرف في المنقول أو الاستفادة من الفكر فإني أشير إلى اسم الكتاب والمؤلف في الحاشية .
- د) أشير في الحاشية إلى مخالفة الفكرة لمفهومنا الإسلامي أو خطورتها على الشباب المسلم .
- هـ) كلمة انظر المرجع السابق أو الهامش السابق عند تكرار الكتاب المذكور قبله مباشرة .
- و) أذكر اسم الكتاب كاملاً ومؤلفه وتاريخ الطبع ودار النشر في أول ذكره له ثم أقتصر على ذكر اسم الكتاب مختصراً واسم مؤلفه ثم الجزء والصفحة .
- هذا وقد حاولت - جهدي - التزام الموضوعية في بحثي هذا ، إلا أنني أخشى أن أكون قد تجاوزت ذلك - أحياناً - لأن الإنسان لا يكتب من فراغ فهو ابن أمته التي ظلمت كثيراً وطويلاً خاصة أن اليهود شردوا وقتلوا من أسرتي الكثير . ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

٦- تقدير

- ولا يفوتني في هذا المقام أن أتوجه بالشكر الجزيل المقرون بدعاء الباري - جل وعلا - أن يجزل الأجر والثوبة لكل من ساعدني في إخراج بحثي هذا إلى حيز الوجود سواء :
- في تحقيق رغبتني في مواصلة الدراسة في مرحلة (الماجستير) من قبل المسؤولين في قسم الدراسات الإسلامية بكلية الآداب بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة .
- أو في اختيار الموضوع والتخطيط له وجمع مادته العلمية والتوجيه أثناء كتابة الفصل الأول من قبل الدكتور / محمد سيد أحمد المسير - حفظه الله .
- وأخص بخالص شكري شينخي المشرف على هذا البحث ؛ فضيلة الدكتور / محمد يسري بن

جعفر محمد عبدالمجيد - حفظه الله - الأستاذ في قسم العقيدة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة سابقاً والدكتور في جامعة الأزهر حالياً الذي كان لي نعم الأستاذ الناصح الأمين - حتى بعد مغادرته مكة المكرمة - فأسأل الله عز وجل أن يجزيه خير ما يجزي عباده الصالحين .
كما أتوجه بالشكر الجزيل لهيئة المناقشة الذين تفضلوا بقبول عناء قراءة هذا البحث لمناقشته وتقويمه ، وأخيراً ، أسأل الله تعالى أن يجعل عملي خالصاً صواباً ، إنه ولي ذلك والقادر عليه ،
وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه أجمعين .
والحمد لله رب العالمين

 مقدمته

الطالبة / مي حسن محمد المدهون
معيدة بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة
غرة رجب ١٤٢١هـ

(آل داود وسليمان - عليهما السلام - في الأسفار اليهودية)

معرض ونقد

تمهيد

١ - (التعريف بالأسفار اليهودية)

- الأسفار لغة واصطلاحاً .
- تقسيم الأسفار اليهودية .
- تدوين الأسفار اليهودية .
- موقف الفرق اليهودية من الأسفار .

٢ - (أسماء بني إسرائيل في التاريخ)

- العبري .
- الإسرائيلي .
- اليهودي .
- الصهيوني .

٣ - (عرض موجز للأسفار اليهودية وتحريفها)

- الأسفار الخمسة .
- الأسفار التاريخية .
- السير الشخصية .
- أسفار الأناشيد والحكمة .
- أسفار الأنبياء .
- نبذة عن الأسفار الخفية والتلمود .
- تحريف الأسفار اليهودية .

٤ - (تدوين القرآن وحفظه)

- تعريفه .
- تدوينه .
- حفظه .

١- التعريف بالأسفار اليهودية

- الأسفار لغة واصطلاحاً

- تقسيم الأسفار اليهودية

- تدوين الأسفار اليهودية

- موقف الفرق اليهودية من الأسفار

التعريف بالأسفار اليهودية

– الأسفار في اللغة :

الأسفار جمع سِفْر والسَّفْرُ الكتاب الكبير أو جزء من أجزاء التوراة ^(١) قال تعالى : ﴿ مَثَلُ

الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ ^(٢)

قال الزجاج : الأسفار : الكتب الكبار واحدها سفر . وأعلم الله تعالى أن اليهود مثلهم – في تركهم استعمال التوراة وما فيها – كمثل الحمار يحمل عليه الكتب وهو لا يعرف ما فيها ولا يعيها ^(٣) قال تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ ^(٤) ومن المعاني اللغوية للأسفار أيضا بقية بياض النهار بعد مغيب الشمس ^(٥) وفيه نلاحظ التوافق بين المعنى اللغوي والمعنى الحقيقي للأسفار التي بين أيدي اليهود اليوم فهي بقية بياض نهار الحق بعد مغيب شمس الوحي الإلهي عنها وتحريف معظمها .

– الأسفار اصطلاحاً

الأسفار هي أجزاء أو فصول أو أقسام الكتاب المقدس والسفر عبارة عن مجموعه إصحاحات والإصحاح عبارة عن مجموعة أعداد أو فواصل ، والأسفار اليهودية تعرف بالعهد القديم عند النصارى تمييزاً لها عن أسفار العهد الجديد، وتسمى الأسفار اليهودية بالتوراة أيضاً . والتوراة ليست إلا جزءاً من العهد القديم ، ولكنها تطلق على الجميع من باب إطلاق الجزء على الكل أو لأهمية التوراة ونسبتها إلى موسى عليه السلام ^(٦) .

(١) التوراة لغة : كلمة عبرية معناها النبوع ولكنها استخدمت بمعنى الشريعة أو التعاليم الدينية من باب التشبيه بجامع الإرواء وعدم النضوب (كتاب النفسية اليهودية/ د . محمد الزغبى ص ٣١)

(٢) سورة الجمعة آية (٥)

(٣) القاموس المحيط الفيروز آبادي / ج٢ ص ٤٨ الطبعة الثانية السنة ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م مصر .

(٤) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية / إسماعيل بن حماد الجوهري ج٢ ص ٦٨٦ الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م دار العلم للملايين / بيروت . تحقيق أحمد عبد الغفور عطار .

(٥) لسان العرب لابن منظور ج٤ ص ٣٧٠ الطبعة الأولى بدون تاريخ توزيع دار الجيل / بيروت .

(٦) قاموس الكتاب المقدس / تأليف مجموعة من اللاهوتيين ص ٤٦٧ الطبعة السابعة بدون تاريخ ، دار الثقافة / مصر ، وكذلك اليهودية / أحمد شلبي ص ٢٣٨ الطبعة الحادية عشرة ، مكتبة النهضة المصرية - باختصار .

الباحثون والعهد القديم

قسم الشيخ رحمت الله الهندي^(١) في كتابه الشهير إظهار الحق العهد القديم إلى قسمين :
القسم الأول من العهد القديم ثمانية وثلاثون كتاباً (إصحاحاً) . وهي الأسفار المتفق عليها عند
معظم اليهود ، وأسقط سفيراً واحداً وهو سفر استير لاحتوائه على إصحاحات مشكوك في
صحتها وهي :

(١) سفر التكوين (الخليقة) (٢) الخروج (٣) الأخبار (٤) العدد (٥) الاستثناء - ومجموع هذه
الكتب الخمسة يسمى التوراة (٦) كتاب يوشع بن نون (٧) كتاب القضاة (٨) كتاب راعوث
(٩) سفر صموئيل الأول (١٠) سفر صموئيل الثاني (١١) سفر الملوك الأول (١٢) سفر الملوك
الثاني (١٣) السفر الأول من أخبار الأيام (١٤) السفر الثاني من أخبار الأيام (١٥) السفر الأول
لعزرا (١٦) السفر الثاني لعزرا - ويسمى سفر نحميا (١٧) كتاب أيوب (١٨) زبور داود (١٩)
أمثال سليمان (٢٠) كتاب الجامعة (٢١) كتاب نشيد الإنشاد (٢٢) كتاب أشعيا (٢٣) كتاب
آرميا (٢٤) مراثي آرميا (٢٥) كتاب حزقيال (٢٦) كتاب دانيال (٢٧) كتاب هوشع (٢٨)
كتاب يوثيل (٢٩) كتاب عاموص (٣٠) كتاب عوبديا (٣١) كتاب يونا (٣٢) كتاب ميخا
(٣٣) كتاب ناحوم (٣٤) كتاب حبقوق (٣٥) كتاب صفنيا (٣٦) كتاب حجي (٣٧) كتاب
زكريا (٣٨) كتاب ملاخيا .

القسم الثاني الأسفار المشكوك في صحتها وهي تسعة :

(١) جزء من كتاب استير (٢) كتاب باروخ (٣) جزء من كتاب دانيال (٤) كتاب طوبيا (٥)
كتاب يهوديت (٦) كتاب وردم (٧) كتاب ايكز سيتكس (٨) كتاب المقايين الأول (٩) كتاب
المقايين الثاني .

وقسم الدكتور أحمد شلي في كتابه (اليهودية) وشاركه الدكتور ظاظا في كتابه (الفكر الديني
اليهودي) والدكتور صابر طعيمة في كتابه (التراث الإسرائيلي) والدكتور محمد البار في
كتاب (المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم) قسموا العهد القديم إلى ثلاثة أقسام :

(١) إظهار الحق / رحمت الله بن خليل الرحمن الهندي ، دار الجيل بيروت ، الطبعة الأولى ج ١ صفحة ٥٥-٥٦ باختصار .

القسم الأول :

كتب التوراة الخمسة المدونة في العهد القديم والمنسوبة إلى نبي الله موسى - عليه السلام .
وهي : ١- التكوين ٢- الخروج ٣- اللاويين ٤- العدد ٥- التثنية .

القسم الثاني :

أسفار الأنبياء وهي نوعان :

١- أسفار الأنبياء المتقدمين وتشمل :

١- يوشع ٢- القضاة ٣- صموئيل الأول ٤- صموئيل الثاني ٥- الملوك الأول ٦- الملوك الثاني .

٢- أسفار الأنبياء المتأخرين وتشمل :

١- أشعيا ٢- آرميا ٣- حزقيال ٤- هوشع ٥- يوشع ٦- عاموس ٧- عوبديا ٨- يونا ٩- ميخا ١٠- ناحوم ١١- حبقوق ١٢- صفيان ١٣- حجي ١٤- زكريا ١٥- ملاخي .

القسم الثالث : الكتب وينقسم إلى :

أ - الكتب العظيمة :

١- أسفار المزامير ٢- الأمثال ٣- أيوب .

ب- المجلات الخمس :

١- نشيد الإنشاد ٢- راعوث ٣- المراثي ٤- الجامعة ٥- استير .

ج- الكتب وتشمل :

١- سفر دانيال ٢- عزرا ٣- نحميا ٤- أخبار الأيام الأول ٥- أخبار الأيام الثاني (١) .

كما قسم الدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي في كتابه (اليهودية والمسيحية) العهد القديم إلى أربعة أقسام هي :

القسم الأول :

أسفار موسى - عليه السلام وهي : التكوين - الخروج - اللاويين - العدد - التثنية .

(١) انظر اليهودية د. أحمد شلبي ص ٧ ، المدخل لدراسة التوراة د. البار ص ١٦٠-١٦٤ الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠ دار القلم / دمشق ، التراث الإسرائيلي/لصابر طعيمة ص ٣٥ بدون طبعة ١٣٩٩هـ ١٩٧٩ دار الجيل /بيروت ، الفكر الديني اليهودي د. حسن ظاظا ص ١٢ .

القسم الثاني :

الأسفار التاريخية

سفر يوشع بن نون - سفر القضاة - سفر راعوث - سفر صموئيل الأول - سفر صموئيل الثاني - سفر أخبار الأيام الأول - سفر أخبار الأيام الثاني - سفر عزرا - سفر نحميا - سفر استير .

القسم الثالث :

أسفار الأناشيد والأسفار الشعرية

سفر أيوب - مزامير داود - الأمثال - الجامعة - الأناشيد .

القسم الرابع :

أسفار الأنبياء وعددها سبعة عشر سفرًا

١- سفر أشعيا ٢- آرميا ٣- مراثي آرميا ٤- حزقيال ٥- دانيال ٦- هوشع ٧- يوشع ٨- عاموس ٩- عوبديا ١٠- يونا ١١- ميخا ١٢- ناحوم ١٣- حبقوق ١٤- صفنيا ١٥- حجي ١٦- زكريا ١٧- ملاخي .^(١)

واخترت تقسيم العهد القديم إلى خمسة أقسام متبعة طريق جمعية الكتاب المقدس (في الكتيب المرفق مع الكتاب المقدس بعنوان كيف تقرأ الكتاب المقدس) في تقسيمها للعهد القديم للأسباب الآتية :

١- اعتماد في دراسة الأسفار على نسخة جمعية الكتاب المقدس واتباع ترتيبها في عرض الأسفار .

٢- الترتيب الذي اخترته يفرق بين الأسفار التاريخية وأسفار الأنبياء لان محور الحديث في الأسفار التاريخية يعتمد على التسلسل التاريخي للأحداث ، بينما أسفار الأنبياء تتحدث عن السيرة الذاتية للنبي المنسوب إليه السفر .

٣- كثرة التقسيم توضح مضمون الأسفار وتجعلنا نتصور المعنى الحقيقي للعهد القديم باعتباره سجلًا تاريخيًا لليهود .

(١) المسيحية واليهودية د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي ص ٩٩-١٨٣. الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م مكتبة الدار بالمدينة المنورة .

أقسام العهد القديم :

القسم الأول :

الأسفار الخمسة الناموسية المترلة على موسى - عليه السلام :

١- التكوين ٢- الخروج ٣- اللاويين ٤- العدد ٥- التثنية .

القسم الثاني :

الأسفار التاريخية

١- سفر يوشع بن نون ٢- سفر القضاة ٣- سفر راعوث
٤- سفر صموئيل الأول ٥- سفر صموئيل الثاني ٦- سفر الملوك الأول
٧- سفر الملوك الثاني ٨- سفر أخبار الأيام الأول ٩- سفر أخبار الأيام الثاني .

القسم الثالث :

السير الشخصية

١- عزرا ٢- نحميا ٣- استير .

القسم الرابع :

الأسفار الشعرية

١- سفر أيوب ٢- المزامير ٣- الأمثال ٤- الجامعة ٥- نشيد الإنشاد .

القسم الخامس :

أسفار الأنبياء :

ينقسم حسب طول السفر وعدد أصحاباته إلى قسمين :

القسم الأول : (الأسفار الطويلة)

أشعيا - آرميا - مراثي آرميا - حزقيال - دانيال - هوشع - يوشع - يوشع - عاموس

القسم الثاني : (الأسفار القصيرة)

يونا - ميخا - ناحوم - حبقوق - صفنيا - حجي - زكريا - ملاخي - عوبديا .

ونلاحظ أن أسفار العهد القديم مختلفة الطول ، فبعضها قصير جدا وبعضها طويل جدا ؛ فسفر عوبديا به إصحاح واحد وسفر حجي به إصحاحان وسفر صفنيا وحبوق وناحوم كل واحد منهم يتكون من ثلاثة إصحاحات .

بينما يحتوي سفر التكوين على خمسين إصحاحا وسفر المزامير يحتوي على (١٥١) مزمورا ، كما نلاحظ أن هناك سفران لا علاقة لهما مباشرة ببني إسرائيل وهما سفر أيوب - عليه السلام - وسفر يونان ، فأيوب - عليه السلام - من بني عيسو بن إسحاق أخو يعقوب الأكبر - عليه السلام - ويونان ^(١) هو بني مرسل إلى نينوى في العراق ولا علاقة له مباشرة ببني إسرائيل .

٣- تدوين التوراة

سنتناول فيه مراحل تدوين التوراة وترجمتها واللغات الأصلية التي كتبت بها الأسفار اليهودية وسنعرض في هذا المبحث لتدوين التوراة المترلة على موسى - عليه السلام - إلى نهاية الحكم الروماني وكذلك إلى اللغات التي دوت بها .

اختيار الله موسى رسولا إلى بني إسرائيل وأمره أن يصعد الجبل ليعطيه لوقي الشهادة التي كتبها لتعليم بني إسرائيل - كما جاء في أسفارهم : [وقال الرب لموسى اصعد إلي إلى الجبل وكن هناك فأعطيك لوقي الحجارة والشريعة والوصية التي كتبها لتعليمهم ١٣ فقام موسى ويوشع خادمه وصعد موسى إلى جبل الله ١٨ ودخل موسى في وسط السحاب وصعد إلى الجبل وكان موسى في الجبل أربعين نارا وأربعين ليلة] ^(٢) ، [١٥ فأنصرف موسى ونزل من الجبل ولوحا الشهادة في يده . . . ، ١٦ اللوحان هما صنعة الله والكتابة كتابة الله منقوشة على اللوحين] ^(٣) .

ولكن ما مصير هذين اللوحين بعد ذلك ؟؟

وتجيب أسفارهم :

(١) يونان يقال هو يونس - عليه السلام - والله أعلم أنظر المنخل لدراسة التوراة والعهد القديم د. محمد البار ص ١٦٣ باختصار وتصرف .

(٢) سفر الخروج (٢٤ : ١٢-١٣ ، ١٨) .

(٣) سفر الخروج (٣٢ : ١٥-١٦) بحذف جزء من الفقرات والاكتفاء بموضع الشاهد .

[١] ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون وقالوا له قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا لأن هذا الرجل الذي أصدعنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه ٧ فقال الرب لموسى اذهب انزل لأنه قد فسد شعبك الذي أصدعته من أرض مصر ٨ زاغوا سريعا عن الطريق الذي أوصيتهم به صنعوا لهم عجلا مسبوكا * وسجدوا له وذبحوا له وقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصدعتك من أرض مصر .. ١٥ فانصرف موسى ونزل من الجبل ولوحا الشهادة في يده لوحان مكتوبان على جانبيهما من هنا ومن هنا كانا مكتوبين ١٦ واللوحان هما صنعة الله والكتابة كتابه الله منقوشة على اللوحين ١٧ وسمع يشوع صوت الشعب في هتافه فقال لموسى صوت قتال في المحلة ١٨ فقال ليس صوت صياح النصر ولا صوت صياح الكسرة بل صوت غناء أنا سامع ١٩ وكان عندما اقترب إلى المحلة أنه أبصر العجل والرقص فحمر غضب موسى وطرح اللوحين من يديه وكسرها في أسفل الجبل ٢٠ ثم أخذ العجل الذي صنعوا وأحرقه بالنار وطحنه حتى صار ناعما وذراه على وجه الماء وسقى بني إسرائيل [١] .^(١)

وبعد ذلك كتب الله لموسى لوحين آخرين - كما تزعم أسفارهم [ثم قال الرب لموسى انحت لك لوحين من حجر مثل الأولين فاكتب أنا على اللوحين الكلمات التي كانت على اللوحين الأولين اللذين كسرها]^(٢) تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا .

وهذه المرحلة ذكرها القرآن الكريم في سورة الأعراف قال تعالى ﴿ وَوَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْنٍ مِّمَّا أَزْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾^(٣)

وفي الآية التالية تشرح محتوى هذه الألواح : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾^(٤) .

(١) سفر الخروج (٣٢ : ١-٨ ، ١٥-١٦ ، ١٩-٢٠)

(٢) سفر الخروج (١ : ٣٤)

* التوراة تنسب صناعة العجل لهارون - عليه السلام - وحاشا لنبي الله أن يصنع ذلك ، والقرآن الكريم ، ينسب صناعة العجل للسامري ، سورة طه آية (٨٧-٩٦) .

(٣) سورة الأعراف آية ١٤٢ .

(٤) سورة الأعراف آية ١٤٥ .

وقال تعالى : ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۚ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ ^(١) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ ^(٢) .

هذا بالنسبة لثبوت نزول الألواح على موسى - عليه السلام - ولكن كيف حفظت بعد ذلك ؟ تذكر أسفارهم أمر الله موسى أن يطلب من بني إسرائيل أن يصنعوا تابوتاً من خشب السنت و بين لهم أوصافه : [فيصنعون تابوتا من خشب السنت طوله ذراعان ونصف وعرضه ذراعان ونصف وارتفاعه ذراع ونصف ١١ وتغشيه بذهب نقي من داخل ومن خارج تغشيه تصنع عليه إكليلاً من ذهب حواليه ١٢ وتسبك له أربع حلقات من ذهب وتجعلها على قوائمه الأربع على جانبه الواحد حلقتان وعلى جانبه الثاني حلقتان ١٣ وتصنع عصوين من خشب السنت وتغشيهما بذهب ١٤ وتدخل العصوين في الحلقات على جانبي التابوت ليحمل التابوت بهما] ^(٣) ، وأمرهم بصنع ثياب خاصة مقدسة لهارون الكاهن و بين صفتها : [ومن الاسمانجوني والأرجوان والقرمز صنعوا ثيابا منسوجة للخدمة في المقدس وصنعوا الثياب المقدسة التي لهارون كما أمر الرب موسى] ^(٤) ، فلما نزل موسى من الجبل ولوحا الشهادة في يده قرأها على بني إسرائيل وسلمها للكهنة من بني لاوي حاملي تابوت عهد الرب وجميع شيوخ بني إسرائيل ^(٥) .

وأمرهم بإخراجها كل سبع سنين في عيد المظال لتلاوتها على بني إسرائيل بعد أن يجتمع رجالهم ونسائهم وأطفالهم حتى الغريب الذي في ديارهم [وأمرهم موسى قائلا في نهاية السبع سنين في ميعاد سنة الإبراء في عيد المظال ١١ حينما يجيء جميع إسرائيل لكي يظهروا أمام الرب الهك في المكان الذي يختاره تقرا هذه التوراة أمام كل إسرائيل في مسامعهم ١٢ اجمع الشعب الرجال والنساء والأطفال والغريب الذي في أبوابك لكي يسمعون ويتعلموا أن يتقوا الرب إلهكم ويحرصوا أن يعملوا بجميع كلمات هذه التوراة ١٣ وأولادهم الذين لم يعرفوا يسمعون ويتعلمون أن يتقوا الرب إلهكم كل الأيام التي تحيون فيها على الأرض التي أنتم عابرون الأردن إليها لكي تمتلكوها] ^(٥) .

(١) سورة الأعراف آية ١٥٠ .

(٢) سورة الأعراف آية ١٥٤ .

(٣) سفر الخروج (٢٥ : ١٠-١٥)

(٤) خروج (١ : ٣٩) وللتفصيل انظر سفر الخروج (٢٨ : ٤-٩)

(٥) سفر التثنية (٣١ : ١٠-١٣) .

فالتوراة كانت محفوظة في التابوت وغير مشاعة عند بني إسرائيل ولا يسمعونها إلا كل سبع سنين ^(١) .

وبذلك تمت كتابة التوراة ووضعت في التابوت وأصبحت تحت يد اللاويين ^(٢) وفي مسؤوليتهم يتوارثون حفظها وقراءتها على شعب بني إسرائيل جيلاً بعد جيل .

وبعد وفاة موسى - عليه السلام - تولى فتاه يوشع قيادة بني إسرائيل واستولوا على فلسطين وقسمها بين الأسباط ما عدا سبط لاوي الذي اختص بالخدمة الدينية واختص منه أبناء هارون بالكهنوت فلم يفرز لهم يوشع نصيباً مستقلاً من الأرض بل أعطاهم بعض المدن من نصيب كل سبط ليسكنوا فيها ويقوموا بالخدمة الدينية لدى الأسباط جميعاً . وكانت الطبقة الأولى على وصية موسى - عليه السلام - فلما انقرضت هذه الطبقة تغير حال بني إسرائيل فكانوا يرتدون تارة ويؤمنون أخرى ^(٣) .

وبعد موت يوشع قام جيل آخر لم يعرف الرب وعمل الشر وعبد (البعليم) وغيره من آلهة الشعوب الذين حولهم فسلط الله عليهم أعداءهم فنهبهم ولما ضاق الأمر بهم أقام لهم الرب قضية فخلصوهم من يد ناهبيهم واستمر الأمر تحت حكم قضاة من الكهنة ينتخبهم كبراء الشعب مدة تتراوح بين ٤٠٠ - ٤٥٠ عاماً كما جاء في سفر القضاة ^(٤) .
والتوراة تعرضت للضياع عدة مرات كما ذكرت أسفارهم .

الضياع الأول :

وفي إحدى المعارك التي جرت بين بني إسرائيل والفلسطينيين انكسر بنو إسرائيل وهربوا وكانت الضربة عظيمة فسقط منهم ثلاثون ألفاً وأخذ الفلسطينيون منهم تابوت العهد كما ذكرت أسفارهم .

[فحارب الفلسطينيون وانكسر إسرائيل وهربوا كل واحد إلى خيمته وكانت الضربة عظيمة جداً وسقط من إسرائيل ثلاثين ألف راجل ١١ وأخذ تابوت الله ومات أبناء عالي حفي وفي نحاس] ^(٥) .

(١) هناك جزء صغير جداً من التوراة كان اليهود يرددونه دائماً ورد ذكره في سفر التثنية (٢١ : ١٩-٢٢) .
(٢) اللاويون لم يكونوا يحفظون التوراة عن ظهر قلب بل اختص كل سبط بحفظ جزء منها ، راجع إغاثة اللفان لابن القيم ج ٢ ص ٣٥٢ .
(٣) اليهودية أحمد شلبي ص ٧٥ - إظهار الحق ١/ ٣٢٣ .
(٤) هذه من مبالغات التوراة فعهد القضاة لا يزيد عن قرن واحد وقد تم التحقيق في مدة القضاة فوجد أنها لا تزيد عن ١٢٠ عاماً فقط وهذه من مبالغات كاتبها الأسفار اليهودية أنظر تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم د. عبد الله دروزة ص ١٤٨ .
(٥) سفر صموئيل الأول (٤ : ١٠-١١) .

ولكن ماذا حصل للفلسطينيين الذين أخذوا تابوت الله ؟

تجيب الأسفار [٦ فثقلت يد الرب على الاشوديين واضربهم وضربهم بالبواسير في أشدود وتخومها ١١ وأرسلوا وجمعوا كل أقطاب الفلسطينيين وقالوا أرسلوا تابوت إله إسرائيل ف يرجع إلى مكانه ولا يبيتنا نحن وشعبنا لأن اضطراب الموت كان في كل المدينة يد الله كانت ثقيلة جدا هناك] ^(١) . وتذكر الأسفار مدة بقاءه في بلاد الفلسطينيين .

[وكان تابوت الله في بلاد الفلسطينيين سبعة أشهر ٢ فدعا الفلسطينيون الكهنة والعرافين قائلين ماذا نعمل بتابوت الرب أخبرونا بماذا نرسله إلى مكانه] ^(٢) ، فاقترح الكهنة عليهم أن يعيدوا التابوت ومعه قربان الإثم وهكذا أعاد التابوت إلى بني إسرائيل ولكن لم يذكر لنا السفر هل احتفظ التابوت بالتوراة أم أنها أتلقت من قبل الفلسطينيين .

الضياع الثاني :

وبعد انتهاء عهد القضاة جاء عهد الملوك وأولهم شاول ثم داود عليه السلام وفي عهد سليمان عليه السلام جيء بالتابوت لفتحته وإخراج التوراة لقراءتها على الناس فلم يجدوا إلا اللوحين الحجريين اللذين وضعهما موسى فقد جاء في أسفارهم [لم يكن في التابوت إلا لوحا الحجر اللذان وضعهما موسى هناك في حوريب حين عاهد الرب بني إسرائيل عند خروجهم من أرض مصر] ^(٣) ، وبهذا لم يحفظ إلا لوحا الشهادة التي فيها الوصايا العشر فقط . وبضياع التوراة التي لم يحفظها أهلها في صدورهم تبعا لحفظ التوراة في التابوت وعدم إخراجها إلا كل سبع سنين انقطعت سلسلة السند في نقل التوراة التي نزلت على موسى عليه السلام ولم تعد وحيا إلهيا من الله تعالى . واستمر ضياع التوراة وفقدتها وانقطاع سلسلة سندها من فتح سليمان - عليه السلام - للتابوت حتى مضى سبع عشرة سنة من حكم يوشيا ^(٤) .

(١) سفر صموئيل الأول (٥ : ١١-٦)

(٢) سفر صموئيل الأول (٦ : ٢-١)

(٣) سفر الملوك الأول (٨ - ٩) والقصة كاملة من أول الإصحاح والثامن .

(٤) النص من الكتاب المقدس . انظر هداية الحيارى في لجوبة اليهود والنصارى لابن قيم الجوزية مطبعة الرياض ص ٥٨٣-٥٨٤ ،

إظهار الحق ج ١ / ص ٣٢٣ للشيخ رحمت الله الهندي ، اليهودية لأحمد شلبي ص ٢٥٨ ، بئل المجهود في إفحام اليهود ص ١٤-٢٢-٤٤

مطبعة الفجالة الجديدة للمؤلف بن يحيى بن عباس المغربي ، موقف القرآن الكريم من التوراة ، انشراح قرارة الطبعة الأولى ص ٧٤-٧٧

باختصار ، مقارنة الأديان التوراة دراسة وتحليل د. محمد شلبي شتيوي ص ١٥-٢٥ باختصار . ، الكتب السماوية وشروطها وصحتها

د. عبد الوهاب طويلة ص ١٨٠-١٨٥ باختصار وتصرف.

المرحلة الثانية : تدوين التوراة في عهد حلقيا^(١)

بعد موت الملك سليمان عليه السلام انقسمت المملكة إلى مملكتين جنوبية اسمها يهوذا وعاصمتها أورشليم و شمالية اسمها إسرائيل وعاصمتها شكيم (نابلس) . وكالعادة ارتد اليهود وعبدوا الأصنام وكفروا بالله وقتلوا الأنبياء ، وسلط الله عليهم الآشوريين في عهد الملك هوشع بن ايليه فحاصروهم وأغار على السامرة ودكها دكا عام (٧٢١ ق.م) ثم جاء سرجون فأسر شعب إسرائيل وأجلاهم عن بلادهم . ثم جلس على حكم يهوذا بعد سليمان عليه السلام عشرون ملكا لمدة ٣٧٢ عاما تقريبا كان المرتدون فيها أكثر من المؤمنين بالإضافة إلى تعرض أورشليم للسلب مرتين ، مرة من قبل ملك مصر فقد نهب أثاث بيت الله وبيت الملك ، وفي المرة الثانية من قبل ملك إسرائيل المرتد^(٢) . وبذلك تكون ضاعت التوراة وصارت نسيا منسيا وآل الأمر إلى يوشيا بن آمون وكان فتي طيبا حاول أن يسير على طريق أبيه داود عليه السلام فتاب توبة نصوحا واتجه إلى نشر الإيمان واتباع التوراة وهدم رسوم الكفر والشرك ورمم الهيكل وبحث عن التوراة ولكن دون جدوى ، [١ كان يوشيا ابن ثمان سنين حين ملك إحدى وثلاثين سنة في أورشليم . . ٢ وعمل المستقيم في عيني الرب وسار في جميع طريق داود أبيه ولم يحد يمينا ولا شمالا ٣ وفي السنة الثامنة عشرة للملك يوشيا أرسل الملك شافان بن أصليا بن مشلام الكاتب إلى بيت الرب قائلا ٤ اصعد إلى حلقيا الكاهن العظيم فيحسب الفضة المدخلة إلى بيت الرب . . ٥ فيدفعوها ليد عاملي الشغل الموكلين ببيت الرب ويدفعوها إلى عاملي الشغل الذي في بيت الرب لترميم ثلم البيت . .]^(٣) ، وفجأة وجدت التوراة في بيت الرب بعد أكثر من قرنين من الزمان - حسب زعمهم وإليك النص : [٨ فقال حلقيا الكاهن العظيم لشافان الكاتب قد وجدت سفر الشريعة في بيت الرب وسلم حلقيا السفر لشافان فقرأه ٩ وجاء شافان الكاتب إلى الملك ١٠ وأخبر شافان بن أصليا بن مشلام الكاتب الملك قائلا قد أعطاني حلقيا الكاهن سفرا وقرأه شافان أمام الملك ١١ فلما سمع الملك كلام سفر الشريعة مزق ثيابه]^(٤) ، وأعاد الاحتفال بعيد الفصح بعد انقطاعه بناء على أمر الملك يوشيا [وأمر الملك جميع الشعب قائلا اعملوا فصحا للرب إلهكم كما هو مكتوب في سفر العهد هذا ٢٢ إنه لم يعمل مثل هذا الفصح منذ أيام القضاة الذين حكموا على إسرائيل ولا في كل أيام ملوك إسرائيل وملوك يهوذا]^(٥) .

(١) حلقيا رئيس الكهنة المعاصر ليوشيا الذي ساعد الملك في إصلاحه الديني ووجد سفر الشريعة بينما كان يحسب الفضة المدخلة إلى الهيكل قاموس الكتاب المقدس ص ٣١٤ .

(٢) انظر الهامش السابق .

(٣) سفر الملوك الثاني (٢٢ : ١-٧)

(٤) سفر الملوك الثاني (٢٢ : ٨-١١)

(٥) سفر الملوك الثاني (٢٣ : ٢١-٢٢)

تعليق

الباحثون لا يقبلون ادعاء حلقي ولا يعولون على نسخته وقوله لأن البيت نهب مرتين ثم جعل بيتا للأصنام . وكان سدنه الأصنام يدخلون البيت كل يوم وفي عهد يوشيا كان الكهنة يدخلون البيت كل يوم مدة سبعة عشر عاما في أثناء الترميم وبعده ، فلا يعقل أن تكون نسخة التوراة في البيت ولا يراها أحد خلال تلك المدة الطويلة رغم البحث والتفتيش ، والأرجح - عندي - ما قاله الشيخ رحمت الله الهندي في كتابه إظهار الحق وتبعه د. أحمد شلبي في كتابه اليهودية أن حلقي وغيره من الكهنة لما رأوا ميل الملك يوشيا إلى الدين والعمل بالتوراة انتهزوا هذه الفرصة للوقوف في وجه ارتداد اليهود والعودة بهم إلى حظيرة الدين ، فجمعوا هذه النسخة من الروايات اللسانية التي وصلت إليهم من أفواه الناس دون تحر خلال السبعة عشر عاما من حكمه وأضافوا إلى ذلك ما يوافق رغبات اليهود وأهواءهم من تاريخ وعقيدة وغير ذلك .

ونحن نتساءل ما هي النسخة التي وجدها حلقي بعد ثلاثمائة سنة تقريبا ومن الذي قال بأنها توراة موسى ؟ فإنه لم يبق أحد ممن سمع التوراة من موسى وأولاده ، ومعلوم أن نسخ التوراة لم تكن كثيرة في تلك العصور وإنما كانت نسخة واحدة وكانت موضوعه في الهيكل الذي يقصده اليهود لسماعها مرة كل سبع سنين . إلا إذا كان هذا العمل لترويح الملة وإشاعة الحق وكانوا يرونه من المستحبات الدينية عند متأخري اليهود وقدماء النصارى . واستمر العمل بتلك التوراة ثلاثة عشر عاما فقط وهي مدة حكم يوشيا فما إن مات وخلفه في الحكم ابنه يهوآحاز^(١) ، حتى ارتد وأشاع الكفر واستمر الارتداد وانتشر الكفر وقتل الأنبياء وأحرقت الكتب وطورد المصلحون^(٢) .

(١) إظهار الحق ج ١ / ٣٢٥-٣٢٦ ، اليهودية لأحمد شلبي ص ٢٥٩.

(٢) ابنه يهوآحاز معناه (يهوه يأخذ) وهو ابن يوشيا وخليفته ، انظر سفر الملوك الثاني ٢٣: ٣٠ ، انظر أخبار الأيام الأول (٣ : ١٥) . مع أنه الابن الرابع عينه الشعب ملكا عليهم وكان عمره آنذاك ٢٣ سنة ولم يملك إلا ثلاثة أشهر وكان أكثر ميلا إلى الشر منه إلى الخير ثم خلعه فرعون مصر وأسرته ومات في مصر .

(٣) إظهار الحق للشيخ رحمت الله الهندي ج ١/ص ٣٢٦ ، اليهودية والمسيحية د. الأعظمي ص ١٦٤-١٦٥ بتصرف.

الضياع الثالث :

أغار حاكم مصر على بيت المقدس عدة مرات قبل إغارة بخت نصر ملك بابل على أورشليم وهدم بيت المقدس وأزال جميع آثاره وأسر أكثر من ٤٠ ألفا من اليهود وساقهم إلى بابل وبقي هؤلاء في بابل زهاء سبعين سنة عبيدا وخداما حتى نسي اليهود لغتهم الأصلية " العبرية " فقد جاء في أسفارهم : [١٩ وأحرقوا بيت الله ، وهدموا سور أورشليم وأحرقوا جميع قصورها بالنار وأهلكوا جميع آيتيها الثمينة ، ٢٠ وسبي الذين بقوا من السيف إلى بابل فكانوا له ولبنيه عبيدا إلى أن ملكت مملكة فارس] ^(١) ، وهكذا ضاعت التوراة الثانية التي اختلقها حلقيا مدعيا أنها توراة موسى عليه السلام وانقطعت سلسلة السند للمرة الثانية ^(٢) .

المرحلة الثالثة :-

توراة عزرا ^(٣)

ذكرنا أن التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام قد ضاعت في ظروف غامضة لم تفصح عنها أسفار التوراة إلى أن اكتشف سليمان عليه السلام ضياعها حين فتح التابوت بعد موسى عليه السلام بأكثر من أربعة قرون .

وكذلك ضاعت التوراة التي ادعاها الكاهن حلقيا في عهد يوشيا في بداية القرن السادس قبل الميلاد وتبدأ قصة التوراة الثالثة بأخذ بني إسرائيل أسرى إلى بابل فهناك أخذ الكهنة في جمع أسفار هذه التوراة وكتابتها من جديد وقاد عزرا هذه العملية حتى تمت كتابة التوراة للمرة الثالثة في القرن الخامس قبل الميلاد ^(٤)

ويقول ول ديورانت عن أسفار موسى عليه السلام : كيف كتبت وأين كتبت ؟ ذلك السؤال كتب في الإجابة عنه آلاف المجلدات لكن يجب أن نفرغ منه في فقره واحدة فإن العلماء مجمعون على أن أقدم ما كتب من أسفار التوراة هو سفر التكوين .

وقد كتب بعضه في يهوذا وبعضه في إسرائيل ثم تم التوافق بين ما كتب هنا وهناك بعد سقوط دولتي اليهود والرأي الغالب أن سفر التثنية من كتابة عزرا ويبدو أن أسفار التوراة الخمسة قد اتخذت صورتها الحاضرة حوالي سنة ٣٠٠ ق.م ^(٥) .

(١) سفر أخبار الأيام الثاني (٣٦ : ١٩-٢٠)

(٢) مقارنة الأديان التوراه د. محمد شلبي شتوي ص ٢٩ ، إظهار الحق / رحمت الله الهندي ج ١/ ص ٣٢٧ . واليهودية والمسيحية للأعظمي ص ١٦٤-١٦٥

(٣) عزرا : اسم عبري معناه (عون) والاسم نشأ كاختصار لاسم عزريا وهو كاهن عاد من بابل إلى القدس مع زر بابل وكان معاصرا لنحميا وله سفر خاص باسمه ضمن الأسفار اليهودية / د. أحمد شلبي ، قاموس الكتاب المقدس ص ٦٢٢ .

(٤) التوراة / محمد شلبي شتوي ص ١٠ ، اليهودية ص ١٦٥ .

(٥) قصة الحضارة / ول ديورانت ج ٢ ص ٣٦٧-٣٦٨ دولة يهوذا أو إسرائيل بعد عهد سليمان عليه السلام في القرن التاسع قبل الميلاد وبينها وبين موسى عليه السلام قرابة ٧ قرون .

الضياع الرابع :

في حكم السلوقيين سنة ١٦٦ ق.م ، غزا انتيوكس (انطيوخوس) اليوناني أورشليم وتم له النصر على أهلها وفتح أورشليم واستباح الرجال النساء والمال والأولاد وهدم البيوت وحرق المزارع واضطهد اليهود في كل مكان فذبجهم وأحرق جميع نسخ العهد القديم وأثناء حكم الرومان أغار فسباسيان على القدس وحاصرها وخلفه يتطس واستمر الحصار حتى سقطت في قبضته فاقترح أسوارها وأشاع الخراب فيها وأضرم النار في هيكلها بعد أن سلب ما فيه ثم راح يذبج اليهود ويتبعهم وقد صمم على فنائهم فتجاوز عدد المذبوحين والمصلوبين المليون ، وبهذه الحوادث التي نزلت ببني إسرائيل بعد ظهور عزرا بتوراته ضاعت جميع نسخ التوراة سواء منها التي كتبها عزرا أو التي كتبها الآخرون عن نسخة عزرا ^(١) .

مما سبق نستنتج ما يلي :

أن توراة موسى قد ضاعت واختفت وكذلك توراة حلقيا ، وتوراة عزرا وأن السند بين كل واحدة والأخرى كان مقطوعا والمسافة الزمنية بين كل واحدة والأخرى كان كبيرا فلا صلة بين توراة حلقيا وتوراة موسى - عليه السلام - ولا بين توراة عزرا وتوراة موسى - عليه السلام - والكتاب الديني إذا لم ينقل في جميع مراحل نقله متواترا لا يصح أن يؤخذ منه العقائد ولا أن يوثق به في تقرير الشرائع ^(٢) .

لغة التوراة الأصلية وترجماتها :

بعد انتهاء عهد عزرا بدأ الاهتمام بتدوين التوراة فقد دونت جميع أسفار العهد القديم بلغة واحدة، وهي اللغة العبرية وإن كانت التراكيب والأساليب وبعض المفردات تختلف باختلاف هذه الأسفار وتنم عن العصور التي ألف فيها كل سفر منها ، ولا يستثنى من ذلك إلا بعض أجزاء يسيرة ألفت من أول الأمر باللغة الأرامية ، وهي بعض أجزاء من سفر عزرا ودانيل ^(٣) . المهم أنه لا توجد نسخة واحدة الآن مكتوبة بالنص الأصلي لكن الذي يوجد ترجمات الأصل ^(٤) .

(١) قصة الحضارة / ول ديورانت ج ٢ ص ٣٦٧-٣٦٨ ، اليهودية / أحمد شلبي ص ٢٦٢ ، التوراة / محمد شلبي ص ٣٥

(٢) التوراة / محمد شلبي ص ٣٦ .

(٣) الأسفار المقدمة علي عبدالوحد ص ١٩ باختصار ، الكتاب المقدس "كتب الشريعة الخمسة" ٤٦-٤٩ الكتاب المقدس في الميزان لعبد السلام محمد ص ٨٦

(٤) الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف د. يحيى محمد علي ربيع ص ١٠٢ . الطبعة الأولى ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م دار الوفاء ، المنصورة .

الترجمات :

- (١) أقدم ترجمة للعهد القديم هي الترجمة اليونانية التي اشتهرت باسم الترجمة السبعينية وهي التي تمت في سنتي ٣٨٣-٣٨٢ ق.م على يد اثنين وسبعين حبرا من يهود مصر بأمر بطليموس فيلادلف وكان ذلك لفائدة اليهود الذين كانوا يسكنون مصر حينئذ ويتكلمون اليونانية .
 - (٢) وعن الترجمة السبعينية ترجمت أسفار العهد القديم إلى اللغة اللاتينية ومع أن هذه الترجمة اللاتينية كانت ترجمة للسبعينية اليونانية فإنها لم تأت مطابقة لها كل المطابقة .
 - (٣) وفضلا عن الترجمتين اليونانية واللاتينية فإن العهد القديم قد ترجم إلى لغات أخرى كثيرة . فقد ترجمه أحبار اليهود من مدرسة بيت المقدس من العبرية إلى اللهجة الآرامية الحديثة وهي إحدى لهجات اللغة الآرامية وكانت مستخدمة في فلسطين وما جاورها ، و معظم الترجمات تمت في ما بين أوائل القرن الثاني وأواخر القرن الخامس بعد الميلاد وفي هذه الفترة ترجمت مدرسة الكنيسة المسيحية السريانية العهدين القديم والجديد إلى اللغة السريانية وهي أحد شعوب اللغة الآرامية .
- وترجم المسيحيون بفلسطين العهدين القديم والجديد إلى اللغة الآرامية الفلسطينية الحديثة وهي إحدى اللهجات الآرامية التي كانت مستخدمة في فلسطين وذلك بعد أن استقلوا في ثقافتهم وشؤونهم الدينية عن الكنيسة السريانية وقد استغرقت ترجمتهم للعهدين القديم والجديد مدة طويلة تمتد من القرن الثامن إلى الحادي عشر بعد الميلاد ^(١) .
- مما أدى إلى التباين بين نسخ التوراة فمثلا التوراة السامرية تختلف عن التوراة العبرانية في المكان المقدس الذي يتجهون إليه في الصلاة والحج فالعبرانيون يقدسون جبل صهيون المبني عليه هيكل سليمان والسامريون يقدسون جبل جرزيم المبني عليه هيكل سنيلط بعد الرجوع من السبي البابلي ^(٢) ، وهذا يفقد الإنسان الثقة في الترجمة وخاصة عندما يفقد الأصل أو يختفي .
- واعترف أحبار اليهود وعلماء النصارى بضياغ المخطوطات الأصلية التي صدرت عن يد المؤلف الأصلي فيقول الأستاذ/جاك كاترول : (يحسن بنا أن نقول إن المخطوطات الأصلية غير متواجدة) ثم يعلل سبب فقدان ولا يرجعه إلى قلة ديانة اليهود .. بل يذكر تعليلا طريفا فيقول (يحتمل أن هذا حدث بخطة من الله يخشى أنما لو كانت قد بقيت حتى الآن لكانت قد عبت من الناس) ^(٣) .

(١) الأسفار المقدسة د. علي عبدالواحد ص ٢١ وما بعدها باختصار .

(٢) الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف/ د. يحيى محمد علي ربيع ص ١٠٦ باختصار .

(٣) الكتاب المقدس في الميزان / عبدالسلام محمد ص ٨٧ ، ويحيله إلى كتب الشريعة الخمسة ص ٥١-٥٢ للرهبانية اليسوعية ١٩٨٥ م .

٤- موقف بعض الفرق اليهودية من الأسفار :

عرضنا فيما سبق تقسيم الأسفار اليهودية في أشهر كتب الأديان والآن نعرض موقف بعض الفرق اليهودية من هذه الأسفار من حيث القبول والرد والتقديس والاعتقاد بأنها وحي من الله إلى رسله ومن ثم الإيمان بعصمتها من التحريف .

١- السامريون

السامريون من أقدم الفرق الدينية اليهودية لأنها تعود بأصولها إلى عهد انقسام مملكة سليمان عليه السلام إلى مملكتين شمالية وعاصمتها السامرة^(١) ومملكة جنوبية عاصمتها أورشليم .

أسماءهم :

(حراس الشريعة) و (بنو إسرائيل) و (بنو يوسف)^(٢) .

موقفهم من الأسفار اليهودية :

السامريون لا يؤمنون إلا بالأسفار الخمسة التي تمثل القسم الأول من الأسفار وسفر يوشع وسفر القضاة وتنكر بقية الأسفار ، وكذلك أسفار التلمود ، ويطلقون النبوات بعد موسى عليه السلام ويوشع ويقعدسون نابلس بدل أورشليم القدس ويحجون إليها^(٣) .

٢- الفريسيون^(٤)

أهم الفرق اليهودية وأكثرها عددا في ماضى تاريخهم وحاضره لان أحبارهم هم واضعو أسفار التلمود المقدسة عندهم .

أسماءهم :

(الربانيون) - (الإخوان أو الرفقاء) - (المفروزين) أي امتازوا عن الجمهور - (المنفصلون) و (المعتزلون) - و (الحسيلسم) أي الأتقياء - و (الأحبار) .

(١) السامرة نابلس حاليا (شكيم) في الكتاب المقدس وتقع على جبل "جرزيم " وهي اسم عبراني معناه (مركز الحارس) . قاموس الكتاب المقدس ص ٤٤٨

(٢) كتب طقوس الدين مخطوط شرقي رقم ٩٦٢ برلين نقلا عن كتاب تاريخ الديانة اليهودية د. محمد خليفة ص ٢١٩ ، انظر الفكر الديني اليهودي حسن ظاظا ص ٢٠٥ ، التاريخ اليهودي/ صابر طعيمة ص ٢٧٠ ، الأسفار المقدسة /علي عبد الواحد ص ٦٦ .

(٣) الملل والنحل لابن حزم ج ١ ص ٨٢ ، ما سبق .

(٤) الفريسيون كلمة آرامية معناها المعتزلون لتظهر قاموس الكتاب المقدس ص ٦٧٤ الطبعة السابعة

موقفهم من الأسفار اليهودية

تؤمن بجميع الأسفار اليهودية وكذلك التلمود - وتزعم أن التلمود مساو للشرعية المكتوبة وتؤمن بعصمة الحاخامات وتنظر إلى أقوالهم كأنها صادرة من الله ^(١) وإلى هذا يشير القرآن الكريم في سورة التوبة قال تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ^(٢) .

٣- الصدوقيون

وهي الفرقة التالية في الأهمية لفرقة الفريسيين خلال القرنين السابقين لميلاد المسيح عليه السلام حتى خراب الهيكل عام ٧٠م على يد الرومان وانتهى وجودهم في الوقت الذي استمر وجود الفريسيين إلى يومنا هذا .

نسبتهم :

يرى الإمام ابن حزم أن هذه الفرقة تنسب إلى (صدوق) الكاهن الأعظم الذي كان في زمن سليمان عليه السلام ^(٣) وكانت هذه الفرقة صغيرة نسبيا ولكنها محصورة في الطبقة الأرستقراطية (الطبقة الغنية المثقفة) *

موقفهم من الأسفار اليهودية

يؤمنون بالأسفار اليهودية ويرفضون الأخذ بالأحاديث الشفوية - التلمود ، ويرون أن الزيادة في الاعتقاد أو العبادة أو التراث بدعة مرفوضة ^(٤) .

(١) THE STANDERD JEWISH ENCYCLOPEDIA, P.١٤٩٧.
GUIGNEDERT: THE JEWISH WORLD IN THE TIME OF JESUS P.١٥U.
نقلا من كتاب اليهودية د.أحمد شلبي ص ٢٢٧ ، تاريخ الديانة اليهودية د. محمد خليفة ص ٥٦ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، الفكر الديني اليهودي لـ حسن ظاظا ص ٢١٠ ، ٢١٣ ، التاريخ اليهودي العام لـ صابر طعيمة ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، الأسفار المقدسة د. علي عبد الواحد ص ٦٣ ، وأنيان وفرق د. محمد الخطيب ص ٥٦ .
(٢) سورة التوبة آية ٣١ .
• هناك من استبعد نسبتهم إلى صدوق الكاهن الأعظم راجع التاريخ اليهودي العام / صابر طعيمة ص ٢٧٥ ، الفكر الديني اليهودي/ حسن ظاظا ص ٢١٤ .
(٣) والملل والنحل لابن حزم ج ١ ص ٨٢ .
(٤) MARGOLIS AND MARX : A HISTORY OF THE JEWISH PEOPLE P.١٥٩
انظر قاموس الكتاب المقدس ص ٥٣٩ واليهودية لأحمد شلبي ص ٢٣٠-٢٣١ .

٤- القراءون^(١) أو العنايون

من احدث الفرق اليهودية حيث نشأت في أواخر القرن الثامن الميلادي في بغداد في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور أي بعد نشأة الديانة اليهودية بنحو عشرين قرنا .

نسبتها

إلى عنان بن داود أحد علماء اليهود في القرن ٨م ويعتبرونه قديسا وجعلوا له دعاء خاصا في صلواتهم .

موقفهم من الأسفار اليهودية

يؤمنون بأسفار العهد القديم ولا يعترفون بأحكام التلمود والتفاسير المنسوبة للحاخامات ويسمح - القراءون - برغم التزامهم بحرفية المعنى (للعهد القديم) - بحرية دراسة العهد القديم المبينة على العقل والأخذ بالقياس المعتمد على المنطق والمعرفة العقلية ، أي فتح باب الاجتهاد في فهم النصوص مما أدى إلى انقسامهم على أنفسهم وتشعبهم لعدة طوائف^(٢) .

الخلاصة

نلاحظ أن فرق السامرة والصدوقيين والقرائين أنكروا الإيمان بالتلمود وأنكروا قدسية الحاخامات بخلاف فرقة الربانيين التي تعتبر قدسية التلمود كقدسية الأسفار اليهودية المكتوبة وتعتقد كذلك بعصمة الحاخامات .

وصدق الله تعالى حيث يقول : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ

اِخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾^(٣) ومن هنا نشأت الفرق اليهودية المعاصرة اليوم والمتمثلة في الأحزاب اليهودية والمختلفة في الاتجاهات اختلافا كثيرا .

(١) القراءون نسبة إلى أسفار العهد القديم بأقسامه الخمسة كانت تسمى (المقرا) أي (المقروء) أو (القرآن) وهذه الفرقة رفضت المرويات الشفوية (التلمود) وجعلت المرجع الأول والأخير في الدين هو النص المقدس المكتوب المنزل (المقرا) فسموا القرائين ، الفكر الديني اليهودي د. حسن ظاظا ص ٢٤٧ .

(٢) انظر اليهودية/ لأحمد شلبي ص ٢٣١-٢٣٢ ، اليهودية والمسيحية/ د. محمد الأعظمي ص ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤ ، تاريخ الديانة اليهودية/ محمد خليفة حسن ص ٢٢٧، ٢٣٠ ، الأسفار المقدسة/ د. علي عبدالواحد ص ٧٠-٧٢ ، الفكر الديني اليهودي/ د. حسن ظاظا ص ٢٤٧-٢٥٦ .

(٣) سورة النساء آية ٨٢ .

أسماء بني إسرائيل في التاريخ

١- العبري

٢- الإسرائيلي

٣- اليهودي

٤- الصهيوني

١- العبري*

أختلف علماء اللغة والأديان في أصل كلمة عبري هل هي مشتقة من العبرية أم من اللغة العربية ؟!

الرأي الأول :

أن اسم عبري مشتق من تسمية اليهود بالعبريين وبالعبرية ، عبريم جمع عبري بمعنى عبر وهو نفس المعنى باللغة العربية لأن بني إسرائيل عبروا النهر وهم في طريقهم إلى أرض كنعان ، واليهود يقولون إن الكنعانيين هم الذين أطلقوا عليهم هذا الاسم وهناك خلاف حول نقطتين :

- ١- النهر الذي ينسب إليه العبور .
- ٢- هل كانت هذه التسمية قاصرة على بني إسرائيل فقط أم كانت تطلق أيضا على شعوب عبرت هي الأخرى النهر للوصول إلى أرض كنعان ؟ .

النقطة الأولى

أعرب الباحثون عن ثلاثة آراء مختلفة حول النهر الذي عبره اليهود :

- ١- نهر الأردن وهو رأي جمهرة الباحثين .
- ٢- نهر الفرات وهذا يعني أن العبريين جاءوا من شرق هذا النهر إلى غربه وهو ما تقره الرواية اليهودية القديمة في التوراة : [هكذا قال الرب اله إسرائيل : آباؤكم سكنوا في عبر النهر منذ قديم الدهر حتى تارح أبو إبراهيم وأبو ناحور وعبدوا آلهة أخرى فأخذت إبراهيم أباكم من عبر النهر وسرت به في كل أرض كنعان كلها وأكثر نسله وأعطيته إسحاق]^(١) وهذا الرأي الثاني يوافق أغراضهم التوسعية ويثبت حقهم المزعوم في العراق .
- ٣- هذا النهر هو البحر الأحمر ، وهذا أضعف الآراء وهو مستند على تفسير أسطوري لسفر الخروج وهو جزء من مجموعة المدراسيم أي التفسير الكبير^(٢) .

* نلاحظ أن كلمة عبري لم ترد في القرآن الكريم .

(١) سفر يشوع (٢٤: ٢-٣) .

(٢) انظر الصهيونية واللغة د. فاروق محمد جودي دار الثقافة للطباعة والنشر بالقاهرة باختصار ص ٤٣-٥٠ .

أما فيما يتعلق بالنقطة الثانية نجد أن معظم الباحثين يقرون :

(١) إن هذه التسمية لم يطلقها الكنعانيون على بني إسرائيل فقط بل أطلقوها على كل الشعوب التي عبرت النهر ومنهم الموآبيون والعمونيون .

(٢) أطلق الكنعانيون اسم العبري على نسل إبراهيم عليه السلام فقط ، ثم صار الاسم الشائع لبني إسرائيل بين الأجانب .

ويمكن الجمع بين الرأيين بأنه أطلق اسم العبري على الشعوب التي عبرت نهر الأردن إلى أرض كنعان بما فيها اليهود ثم اقتضت دلالة على اليهود فقط الذين سمو " العبريين " .

ويرجح هذا الرأي ما ورد في سفر التكوين (١٤ : ١٣)

(إبراهيم الذي عبر) وترجمتها (إبراهيم الذي من الجانب الآخر) (١) .

الرأي الثاني : الاسم العبري مشتق من اللغة العربية فيكون :

عبر لغة : اجتاز والعبور الجهة الأخرى التي يستلزم الوصول إليها اجتيازاً وعبوراً (٢) .

ويرى بعض الباحثين أن لكلمة (عبري وعربي) واحد من حيث اللغة فهما تطلقان على البدو الرحل ومن هؤلاء (د.ولفنسون) الذي يقول : (يلاحظ أن كلمة عبري ترتبط بكلمة عربي ارتباطاً لغوياً متيناً لأنهما مشتقان من أصل واحد وتدلان على معنى واحد وهو التنقل والترحال) (٣) .

مناقشة هذا الرأي :

أرى أن هذا خلط للمعاني فكلمة (عبري) مخالفة في المعنى والمشتق لكلمة عربي فلا صلة بينهما على الإطلاق من حيث المعنى ، وذلك أن كلمة عربي مشتقة من الفعل يعرب أى يفصح في الحديث وهو لفظ خاص بالعرب لما اشتهروا به من فصاحة وبيان ومن هنا جاء وصف القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ (٤) ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَعَلُمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ (٥) ، وبهذا يكون ادعاء الوحدة بين اللفظين في المعنى مخالفاً تماماً لمشتقات اللفظين وتحليلهما الصحيح - والله أعلم.

(١) الصهيونية واللغة د. فاروق جودى ص ٥٠ ، اليهودية د. أحمد شلبى ص ٥٤ ، المجتمع اليهودي زكي شنودة ص ٥ .

(٢) الساميون ولغاتهم حسن ظاظا ص ٦٤-٦٥ باختصار .

(٣) تاريخ اللغات السامية ص ٨٧ للدكتور إسرائيل ولفنسون كان مدرسا للغات السامية بكلية دار العلوم .

(٤) سورة الزمر آية ٢٨ .

(٥) سورة النحل آية ١٠٣ .

الرأي الثالث :

إن التسمية عبري مأخوذة من عابر أحد أجداد إبراهيم - عليه السلام حيث ذكر في أسفارهم [سام ... ولد أرنكشاد ... ولد شاع ... ولد عابر ... ولد فالج ... ولد رعو ... ولد سروج ... ولد ناحور ... ولد تارح ... وتارح ولد ابرام]^(١) .

نلاحظ أن بين إبراهيم عليه السلام الذي كان أول من وصف بهذه الصفة وبين عابر مدة ستة أجيال متوالية فلو شاء إبراهيم أن ينتسب إلى أحد أجداده لكان من البدهي أن يعزى إلى سام أشهر أجداده^(٢) ، وإلى هذا الرأي ذهب مؤلفو قاموس الكتاب المقدس ، فقد ذكروا أن كلمة عبرانيين أحد فروع الدوحة السامية وينسب اسمهم إلى عابر أحد أجداد إبراهيم عليه السلام الذي أتى بهم إلى فلسطين وقد منحهم اللقب الكنعانيون ، إذ سموا إبراهيم (إبرام العبراني)^(٣) ، انظر بعد أن عبر نهر الفرات إلى فلسطين ولا يزال الاسم مستعملاً إلى اليوم مع أنهم يحملون اسم اليهود الذي نشأ من السبي وتاريخ العبرانيين مدون في الكتاب المقدس ، ويقول الكتاب إن تاريخ العبرانيين كشعب وكديانة بدأ بإبراهيم - عليه السلام - الذي كان يقيم في أور الكلدانية في (العراق) اليوم ، حينما دعاه الله أن يكون زعيماً للشعب الذي تبارك به جميع قبائل الأرض ولذلك نسب العبرانيون إليه وسمو ذرية إبراهيم وأولاد إبراهيم^(٤) .

مناقشة هذا الرأي :

أرى بعد هذا الرأي عن الصحة فقد نفى القرآن الكريم أ، يكون إبراهيم - عليه السلام - يهودياً أو نصرانياً قال تعالى : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ .

الرأي الرابع :

ذهب فريق من العلماء إلى وجود علاقة بين اللفظ (عبرية) واللفظين "عبر" و "خبر" في المصادر المصرية القديمة والمصادر الآشورية البابلية التي اعتادت الإشارة إلى بعض القبائل البدوية العربية ومنها القبائل الآرامية العربية التي يقال إن إبراهيم - عليه السلام - ينتمي إليها ، كما تشير هذه المصادر إلى أن اللفظ "عبرو" كان يطلق حوالي الألف الثانية قبل الميلاد وعلى عدد من القبائل في

(١) سفر التكوين (١١ : ١-٦) ذكر موضع الشاهد فقط .
(٢) بنو إسرائيل في القرآن والسنة / د. طنطاوي ص ١١ ومفصل العرب واليهود في التاريخ / أحمد سوسة ص ٤٩٤-٥٠٥ راجع السليمون ولغتهم / د. حسن ظاظا ص ٥٩ حسن ظاظا واليهود في موكب التاريخ صابر طعيمة ص ٦٤-٦٦ .
(٣) قاموس الكتاب المقدس ص ٥٩٦-٥٩٨ باختصار .
(٤) راجع الكتاب المقدس سفر التكوين (١٢-١) ومزمور (١٠٥ : ٦)
(٥) سورة آل عمران آية ٦٧ .

شمال شبه الجزيرة العربية ... وبهذا يكون العبرانيون جزءاً من القبائل التي هاجرت إلى الشمال خلال القرن الخامس عشر قبل الميلاد^(١).

الخلاصة

نلاحظ أن تسمية (عبري) أطلقها الكنعانيون على كل الشعوب التي عبرت نهر الأردن إلى كنعان ومنهم الموآبيون والعمونيون لأن عبور مثل هذه الأنهار كان صفة عامة للعرب السامية هناك ، ثم أطلقت ثانياً على نسل إبراهيم عليه السلام إسماعيل وإسحاق لأنهم عبروا النهر أيضاً وأخيراً اقتضرت دلالة - عبر الزمن - على اليهود فقط ، وبذلك نكون قد جمعنا بين الرأي الأول والثالث والرابع والله أعلم ، أما عن استخدام كلمة عبري اليوم فنجد أنها تستخدم للدلالة فقط على اللغة العبرية القديمة التي نشأت من أصل اللغة الآرامية القديمة وعمرها لا يزيد عن الألف علم تقريباً لأن أول النصوص المعروفة التي كتبت بهذه اللغة يرجع إلى ١٢٠٠ ق.م وقد ماتت هذه اللغة سنة ٢٠٠ ق.م وتجري المحاولات لأحيائها في العصر الحالي فنجد استخدام كلمة عبري ترتبط اليوم على ألسنة اليهود بالمقدسات التراثية القديمة ، فنجدهم يحرصون على عبارة " اللغة العبرية " والثقافة العبرية " والأدب العبري " والجامعة العبرية " والصحافة العبرية "^(٢).

٢- بنو إسرائيل

ورد ذكر بني إسرائيل في القرآن الكريم (٤٢) مره كما ورد ذكر إسرائيل مفردا في آيتين كريميتين:^(٣)

- ١- قوله تعالى ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاَءَ لِبَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾^(٤).
- ٢- وقوله تعالى ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًا ﴾^(٥).

(١) تاريخ اليهود أحمد عثمان ج ١ ص ١٠-١٥ باختصار وكذلك بنو إسرائيل في القرآن الكريم د. طنطاوي ص ٩-١١ وتاريخ الديانة اليهودية/ د. محمد خليفة حسن ص ٢٢-٢٣ والعنصرية اليهودية/ أحمد الزغبى ج ١ ص ١٦٤ ومفصل العرب واليهود في التاريخ/ د. أحمد سوسة ص ٤٩٨-٥٠٦ باختصار .
(٢) الشخصية الإسرائيلية د. حسن ظاظا ص ٢٤ بتصرف ، كذلك دروس اللغة العبرية د. يحيى كمال/ المقدمة دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت ١٩٧٨م المقدمة .
(٣) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر بيروت ص ٣٣ .
(٤) سورة آل عمران آية ٩٣ .
(٥) سورة مريم آية ٥٨ .

وبالرجوع إلي كتب التفسير نجدتها مجمعة على أن إسرائيل هو يعقوب عليه السلام وبنو إسرائيل هم الأسباط الأثنا عشر أولاد يعقوب عليه السلام ومنهم نبي الله يوسف عليه السلام أما باقي أولاده كانوا مسلمين مؤمنين كما أخبرنا تعالى بذلك ^(١).

والأسباط هم (ستة من زوجته لئة : . رأوين - شمعون - لاوي - يهوذا - يساكر - زيلون) وأعقب من زوجته (راحيل) اثنين هما يوسف وبنيامين ومن زلفا جارية لئة : - (جاد وأشير وأعقب من بلها جارية راحيل اثنين هما دان ونفثالي) ^(٢).

وقد اختلف العلماء في نبوة هؤلاء الأسباط على رأيين :

١ - فقالت طائفة : إن الأسباط أنبياء ، واستدلوا على رأيهم ، بقول الله تعالى : ﴿ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ﴾ ^(٣)

﴿ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ ﴾ ^(٤)

﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ﴾ ^(٥)

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ ﴾ ^(٦)

فهذه الآيات تعد الأسباط ضمن الأنبياء ، وترى هذه الطائفة أن ما صدر منهم - عدا (بنيامين) - بحق أخيه يوسف - عليه السلام - إنما كان قبل النبوة ، وقد تابوا من ذلك. ومن ذهب إلى ذلك من العلماء : ابن تيمية : منهاج السنة النبوية ج ٢ ص ٣٩٧ .

٣ - وقالت طائفة : إن الأسباط ليسوا بأنبياء - عدا يوسف - عليه السلام - وأستدلوا على رأيهم : بأن المراد بالأسباط في الآيات - السابقة - التي استدلت بها الطائفة الأولى ، ليس أبناء يعقوب - عليه السلام - (الاثني عشر) ، حيث لم يصح في نبوة غير يوسف - عليه السلام - منهم أحد ، وإنما المراد سائر الأنبياء في قبائل بني إسرائيل المتفرعة من هؤلاء الأنبياء (الاثني عشر) ، لقول الله تعالى : ﴿ وَقَطَّعْنَهُمْ اثْنَتَىٰ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ﴾ ^(٧)

(١) تفسير الطبري ج ١ ص ١٩٧ وتفسير البيضاوي ج ١ ص ١٤٩ . الكشاف / للزمخشري ج ١ ص ٢٧٥ .

(٢) المجتمع اليهودي د. زكي شنودة ص ٢٢ ، بنو إسرائيل د. طنطاوي ص ١٢ .

(٣) سورة البقرة آية ١٣٦

(٤) سورة البقرة آية ١٤٠

(٥) سورة آل عمران آية ٨٤

(٦) سورة النساء آية ١٦٣

(٧) سورة الأعراف آية ١٦٠

ومن ذهب إلى ذلك من العلماء : الطبري والقرطبي وابن كثير^(١)

وقد رجح الدكتور صلاح عبدالفتاح الخالدي هذا الرأي الأخير (أن الأسباط ليسوا بأنبياء) واستدل لذلك بعدة أدلة ، أهمها :

١ - المعنى اللغوي للسبط ، فالسبط : لا يطلق إلا على ولد الولد ، ولا يطلق على الولد ، كما يطلق على القبيلة من اليهود^(٢) فكيف يسمى أولاد يعقوب - عليه السلام - أسباطاً ؟ إنهم أحفاده وذريته من شعوب بني إسرائيل التي تفرعت عن أولاد يعقوب - عليه السلام .

٢ - أن الأصل عدم النبوة ، وإن النبوة لا تكون إلا بتكليف من الله تعالى ، وإن طريق إثبات النبوة لأحد من الأنبياء هو النص الصريح من القرآن الكريم ، أو الصحيح من الحديث الشريف ، والقرآن الكريم لا يصرح بنبوة الأسباط عدا يوسف - عليه السلام - ، ولا يوجد حديث صحيح بإثبات النبوة لهم عدا يوسف - عليه السلام .

٣ - أن مكاييد الأسباط - عدا السبطين يوسف وبنيامين - في أقوالهم وأفعالهم التي سجلها القرآن الكريم عليهم ، تدل على عدم نبوتهم ، لأن الأنبياء معصومون من الأخطاء قبل النبوة وبعدها ، وعصمتهم من ارتكاب الكبائر قول جمهور علماء المسلمين ، وهؤلاء ارتكبوا كبائر من الذنوب كوصف أبيهم - النبي الكريم يعقوب - عليه السلام - بالضلال ، واتهامه بالظلم ، وتآمرهم على قتل أخيه - يوسف - وبيعه على أنه عبد لهم ، وكذبهم على أبيهم عدة مرات - والكذب من أكبر الكبائر - إلى غير ذلك مما هو مدون في (سورة يوسف) ، والأنبياء لا يفعلون هذا ومن نسل هؤلاء الأسباط ،

تكون (بنو إسرائيل)^(٣) يقول تعالى : ﴿ وَقَطَّعْنَهُمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَبِطًا أُمَّمًا ﴾^(٤)

(١) الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ج ١ ص ٥٦٨ و ج ١٢ ص ١٥٢ و ١٥٨ : القرطبي : الجامع لأحكام القرآن

ج ٩ ص ١٣٣ ، و : ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٤٦٩ - ٤٧٠ .

(٢) انظر : الفيروز آبادي : القاموس المحيط (مادة ، السبط) ج ٢ ص ٢٦٣ .

(٣) أنظر الشخصية اليهودية ص ١٢٣ - ١٢٤ ، والله أعلم .

(٤) سورة الأعراف آية ١٦٠ .

الاختلاف في معنى كلمة إسرائيل

أما معنى كلمة إسرائيل : فهي كلمة عبرية وذكر الطبري عن ابن عباس أن إسرائيل كقولك عبدالله وبني إسرائيل أي يا ولد يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن . وكان يعقوب يدعى إسرائيل بمعنى عبدالله وصفوة خلفه وإيل هو الله وأسرا هو العبد كما قيل جبريل بمعنى عبدالله ^(١) .

الرأي الثاني :

أما في كتاب الروض الأنف فقد ذكر أن كلمة إيل تعني العبد .

والإك النص

(معنى اسم جبريل سرياني ومعناه عبدالرحمن أو عبدالعزيز هكذا جاء عن ابن عباس موقوفا ومرفوعا والوقف أصله . وأكثر الناس على أن آخر الاسم منه هو اسم الله وهو إيل وكان شيخنا رحمه الله - السهلي - يذهب مذهب طائفة من أهل العلم في أن هذه الأسماء إضافتها مقلوبة وكذلك الإضافة في كلام العجم يقولون في غلام زيد (زيد غلام) معنى هذا يكون إيل عبارة عن العبد ويكون أول الاسم عبارة عن اسم من أسماء الله تعالى - ودليله - ألا ترى كيف قال في حديث ابن عباس جبريل وميكائيل ، كما تقول عبدالله وعبدالرحمن ، ألا ترى أن لفظ عبد يتكرر بلفظ واحد والأسماء ألقاظها مختلفة) ^(٢) .

الرأي الثالث :

أرجع البعض كلمة إسرائيل إلى اللغة العربية حيث جاء في القرآن الكريم قوله تعالى ﴿ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴾ ^(٣) . ومعنى كلمة أزر حيث يدل السين زايا وهو أمر شائع في اللغة العربية وقد جاء في القرآن الكريم على لسان موسى عليه السلام عندما طلب من ربه أن يجعل معه أخاه هارون قنلا : ﴿ أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي ﴾ ^(٤) ، فمعنى كلمة اسر وكلمة أزر تعني القوة .

(١) الروض الأنف ج الأول قدم له وعلق عليه طه عبد الرؤوف سعد مكتبة الكليات الأزهرية شركة الطباعة الفنية المتحدة العباسية ص ٢٧٥ وتفسير السيرة النبوية لابن هشام للفقير أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن الخنعمي السهلي ٥٠٨ - ٥٨١ هـ ومع السيرة النبوية للإمام أبي محمد عبد الملك بن هشام المقافري المتوفي سنة ٢١٣ هـ ص ٩٠ .

(٢) المرجع السابق .

(٣) سورة الإنسان له ٢٨ .

(٤) سورة طه الايتا ٣١-٣٢ .

واللغة العربية والآرامية القديمة تتشابهان لأن مصدرهما واحد وهكذا يعني لفظ إسرائيل " القوى بالله " أو " القادر بالله " ^(١).

وفي قاموس الكتاب المقدس يذكر الاسم العبري " يجاهد مع الله " أو " الله يصارع " وقد أطلق هذا الاسم في الكتاب المقدس على أربع معاني نختصرها فيما يلي :

١- يعقوب (عليه السلام) إذ أطلق عليه الملاك الذي صارعه حتى مطلع الفجر في فنوئيل في مخاضه يبرق كما جاء في أسفارهم [٢٨ فقال لا يدعى اسمك في ما بعد يعقوب بل إسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت ٢٩ وسأل يعقوب وقال أخبرني باسمك ، فقال لماذا تسأل عن اسمي وباركه هناك] ^(٢).

٢- نسل يعقوب جميعا ، فاستعمل كمرادف لبني إسرائيل في حياة يعقوب [وأتى بنو يعقوب من الحقل حين سمعوا . وغضب الرجال اغتاظوا جدا لأنه صنع قباحة في إسرائيل بمضاجعة ابنة يعقوب وهكذا لا يصنع] ^(٣) ، وأطلق عليهم بنو إسرائيل أثناء تيهانهم في البرية فقد جاء في أسفارهم [فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالأزميل وصنعه عجلا مسبوكا . فقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر] ^(٤) ، الشاهد استعمال كلمة إسرائيل ويقصد بها بنو إسرائيل .

٣- يطلق إسرائيل على العشرة الأسباط الذين انشقوا وانفصلوا عن يهوذا وبنيامين واصبحوا مملكة إسرائيل ، وقد أطلق الاسم على الأسباط التي تسكن الشمال لتمييزها عن سبط فقد جاء في أسفارهم [وعدهم في بازق فكان بنو إسرائيل ثلاث مئة ألف ورجال يهوذا ثلاثين ألفا] ^(٥).

(١) المنخل لدراسة التوراة د. محمد البار ص ٣٥-٤٠ باختصار .

(٢) سفر التكوين (٢٨ : ٢٩)

(٣) سفر التكوين (٣٤ : ٧) هذا الجزء يذكر علم يعقوب عليه السلام . يزنا أبنته دينة وسكوته حتى عاد أبناؤه من الحقل !!

(٤) سفر الخروج (٣٢ : ٤) .

(٥) سفر صموئيل الأول (١١ : ٨) .

الخلاصة

الأرجح أن أصل كلمة (إسرائيل) غير عربي وتطلق كلمة إيل غالبا على :

- ١ - اسم من أسماء الله في العبرية ، وتستعمل مفردة للدلالة على الإله الواحد الحقيقي ^(١) .
- ٢ - أو لقب من ألقاب الله مثل " إيل عليون " الله العلي " وإيل شداي " الله القدير ^(٢) .

تسمية يعقوب بإسرائيل :

[وظهر الله ليعقوب أيضا حين جاء من فدان آرام وباركه ١٠ وقال له الله اسمك يعقوب لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل يكون اسمك إسرائيل . فدعا اسمه إسرائيل ١١ وقال له الله أنا الله القدير - أي بمعنى إسرائيل الله القدير - ١٥ ودعا يعقوب اسم المكان الذي فيه تكلم الله معه بيت إيل] ^(٣) .

يتضح مما سبق أن كلمة إسرا صفة من صفات الله تعالى عندهم معناه القوى القدير وإيل اسم يدل على الذات بمعنى الله ، وبذلك نكون قد جمعنا بين الآراء الثلاثة ورجحت أن كلمة إسرائيل عبرية بشقيها ويكون معنى إسرائيل (القوى بالله) (المجاهد مع الله) (القادر بالله) ولكنها مترادفات، والله أعلم .

جاء في سفر التكوين : [فقال لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل لأنك جاهدت مع الله و الناس و قدرت] ^(٤) .

(١) بالرجوع إلى الكتاب المقدس وجدت الإحالة خاطئة ولم أهندي إلى كلمة إيل مفردة بمعنى الإله في السفر ولكن وجدت في سفر التكوين (١٥: ٣٥) قاموس الكتاب المقدس ص ١٤٢ (إيل) .

(٢) سفر التكوين (٣٥ : ٩-١٥) .

(٣) سفر التكوين (٣٥ : ٩-١٥) .

(٤) سفر التكوين (٣٢ : ٢٨) .

كلمة إسرائيل في الموسوعات

١ - موسوعة القرن العشرين

بنو إسرائيل هم اليهود وقوم موسى عليه السلام وقد لعبوا في تاريخ العالم دورا عظيما يجب علينا تتبع أسبابه ونتائجه ^(١).

٢ - في الموسوعة العربية العالمية

إسرائيل دولة أقامتها الصهيونية مدعومة من القوى العالمية على أرض فلسطين العربية في ١٤ مايو ١٩٤٨م ^(٢).

٣- يوضح لنا الدكتور حسن ظاظا مفهوم الإسرائيلي عند الدولة اليهودية في العصر الحديث أنه اليهودي المقيم في إسرائيل واليهودي المقيم في خارج إسرائيل أيضا بشرط أن يكون صهيونيا متمسكا بالولاء لإسرائيل ^(٣).

وبذلك يتبين لنا أن كلمة إسرائيل لها دالتان :

الأولى : دلالة عامة : نسبة إلى إسرائيل يعقوب عليه السلام وبنيه .

الثانية : دلالة خاصة : تشير إلى الانتماء السياسي والجغرافي أي مملكة إسرائيل الشمالية وهو المعنى المستخدم اليوم .

٣- اليهودي

الاسم الأكثر استعمالا في عصر نبي الله داود عليه السلام لأنه من سبط يهوذا وهو الاسم الثالث الذي أطلق عليهم عبر التاريخ وهم لا يفضلون لقب اليهودي كثيرا ومع ذلك نلاحظ أن اليهودية هي التسمية الأكثر شيوعا عبر الأوساط الدينية والعقدية منها في الأوساط السياسية والإعلامية وقد ورد لفظ اليهود في القرآن الكريم ثمان مرات ^(٤)، ولفظ الذين هادوا إحدى عشرة مرة ولفظ هودا وردت ثلاث مرات ومعظم هذه الآيات في معرض الذم لهم ، إلا نصا واحدا وهو إعلانهم عن توبتهم التي قالوا فيها ﴿ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾ ^(٥).

(١) دائرة معارف القرن العشرين ج ١ ص ٢٨٠، وأنا أتحفظ على كلمة دورا (عظيما فالعظيم) الذي يترك آثارا حضارية أو على الأقل أسهم فيها ولكن بني إسرائيل على العكس من ذلك عاشوا قبائل متنقلة تابعة لمن جاورهم حتى العبادة قلدهم فيها وتركوا هدى الله (الباحثة) .

(٢) الموسوعة العربية العالمية ج ١ ص ٧١٨ باختصار .

(٣) الشخصية الإسرائيلية د.حسن ظاظا ص ٢٢ .

(٤) سورة البقرة آية ١١٢ و ١١٣ و ١٢٠ و سورة المائدة آية ١٨ و ٥١ و ٦٤ و ٨٢ و سورة التوبة آية ٢٠ .

(٥) سورة الأعراف آية ١٥٦ .

وقد أطلق عليهم اسم يهود للأسباب التالية :

١- دلالة اللغة

هاد : رجع وتاب ^(١) ، قال صاحب لسان العرب : (الهود التوبة ، وهاد يهود هوذا أي تاب ورجع إلى الحق فهو هائد) ^(٢) .

قال ابن كثير في تفسيره : اليهود أتباع موسى عليه السلام الذين كانوا يتحاكمون إلى التوراة في زمانهم واليهود من الهوادة وهي المودة أو التهود وهي التوبة كقول موسى عليه السلام ﴿ إِنَّا هُذَنَّا إِلَيْكَ ﴾ أي تبنا فكأنهم سموا بذلك الأصل لتوبتهم ومودة بعضهم لبعض ^(٣) . وكذلك قول الشهرستاني في تعريفه لليهودية ^(٤) .

٢- سموا باليهود لأنهم يهودون أي يتحركون عند قراءة التوراة ^(٥) .

٣- وقيل إنهم سموا يهودا نسبة إلى يهوذا الابن الرابع ليعقوب عليه السلام ويذكر قاموس الكتاب المقدس أن كلمة يهود أطلقت أولا على سبط يهوذا أو مملكة يهوذا تميزا لهم عن الأسباط العشرة الذين سموا إسرائيل إلى أن تشتت الأسباط وأخذ يهوذا إلى السبي ثم توسع معناها فصارت تشمل جميع من رجع من الأسر من الجنس العبراني ثانيا . ثم صارت تطلق على جميع اليهود المشتتين في العالم ، وكانت لغة اليهود العبرانية وكلمة يهود أعم من عبراني لأنها تشمل العبرانيين الأصليين والدخلاء لكلمة يهود معناها لسان اليهود أي العبراني . واليهودية اسم القسم الجنوبي من فلسطين الذي سكنه العائدون من سبي بابل ^(٦) .

أما الموسوعة العربية العالمية فقد عرفت اليهود بما يلي :

هم أتباع رسول الله موسى عليه السلام وهم أحد الشعوب السامية القديمة التي يطلق عليها اسم العبرانيين وقد عاشوا في مصر فترة ، وفي بابل فترة ، وفترة في فلسطين ، وبنهاية القرن الثالث الميلادي تشتتوا في مجتمعات صغيرة تمتد من أسبانيا غربا حتى الهند شرقا وكانوا يشكلون اقلية حيثما حلوا . وفي كثير من الأحيان أجبروا على العيش في مناطق منعزلة ومنعوا من تولي المناصب العامة إلا ما كان لهم إبان ازدهار الدولة الإسلامية في الشرق وفي بلاد الأندلس . ونظرا لامتداد التاريخ اليهودي وتنوع مراحلها بات من الصعب أن يحدد تعريف من هو اليهودي .

(١) القاموس المحيط / للفيروز آبادي ج ١ ص ٣٤٩ .
(٢) لسان العرب لابن منظور الطبعة الأولى ١٣٠٠ المطبعة الأميرية (ج ١٥ ص ٤٣٩) .
(٣) مختصر تفسير ابن كثير تحقيق الصابوني ج ١ ص ٧٢ .
(٤) المال والنحل للشهرستاني ج ١ ص ٢١٠ .
(٥) بنو إسرائيل في القرآن د. سيد طنطاوي ص ١٢ .
(٦) قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٨٤-١٠٨٥ .

ولا يوجد ما يسمى بالعرق اليهودي فكل طفل يولد لأم يهودية وكل من اعتنق اليهودية يعتبر يهوديا حسب قانون المؤسسة الدينية اليهودية ^(١) .

وذكرت الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب :

أن اليهودية هي ديانة العبرانيين المنحدرين من إبراهيم عليه السلام والمعروفين بالأسباط من بنى إسرائيل الذين أرسل الله إليهم موسى عليه السلام مؤيدا بالتوراة ليكون نبيا ^(٢) .

الخلاصة :

مما سبق يتضح أن معنى يهود نسبة إلى يهوذا أحد أبناء يعقوب عليه السلام أما اليهودية فهي تطلق على الديانة اليهودية التي أتى بها موسى عليه السلام لبني إسرائيل ومن ثم تغير معنى اليهودي ليشمل كل من اعتنق الديانة اليهودية سواء كان من سبط يهوذا أم من أم يهودية فقط في جميع أنحاء الأرض مهما كان أصلهم ومهما كانت لغتهم ومهما كانت جنسيتهم ^(٣) .

٤- الصهيونية

صهيون في اللغة : اسم عبري معناه الحصن ، والصهيونية نسبة إلى صهيون وهو جبل في فلسطين يقع باتجاه صحراء سيناء حيث عسكر بنو إسرائيل عليه ليقيموا الصلاة ويرفعوا الشكر لله على نجاحهم من أيدي المصريين وعلى هذا الجبل رأى الملك داود عليه السلام في منامه شكل الهيكل الفاخر الذي شيده من بعده ولده سليمان عليه السلام وعلى هذا الجبل الحجري وعلى جبلين آخرين بجواره تقع مدينة القدس ^(٤) .

ونلخص ورود معنى صهيون في الأسفار المقدسة بما يلي :

١- صهيون رابية من الروابي التي تقوم عليها أورشليم ورد ذكرها للمرة الأولى في العهد القديم كموقع لحصن ييوسي (اليبوسي هو الفلسطيني) واحتل داود الحصن وسماه مدينة داود .

٢- أتى داود عليه السلام بالتابوت إلى جبل صهيون ثم نقل سليمان التابوت إلى الهيكل الذي أقامه على جبل المريا وبذلك اتسع نطاق صهيون حتى شملت الهيكل .

(١) الموسوعة العربية العالمية المجلد ٢٧ ص ٣٣٦ باختصار
(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ص ٥٦٥ .
(٣) في الخلاصة هذا ما ذهب إليه الدكتور/ حسن ظاظا في كتابه الشخصية الإسرائيلية ص ٢٨-٣٠ باختصار وهو الراجح عندنا ، والله اعلم .
(٤) عقيدة اليهود في تملك فلسطين ، عابد توفيق الهاشمي ، ص ٦٣ .

٣- كثيرا ما يطلق اسم صهيون على أورشليم كلها . لذلك تكرر لفظ صهيون أكثر من مائة مرة في الأسفار اليهودية ^(١) ، وهو جبل مقدس عند اليهود لان الرب اختار صهيون اشتهاها سكنا له حسب تعبيرهم : [هذه هي راحتي إلى الأبد هاهنا أسكن لأني اشتيتها] ^(٢) ، [١٤ لذلك اسمعوا كلام الرب يا رجال الهزء ولالة هذا الشعب الذي في أورشليم ١٥ لأنكم قلم قد عقدنا عهدا مع الموت وصنعنا ميثاقا مع الهاوية السوط الجلرف إذا عبر لاياتنا لأننا جعلنا الكذب ملجأنا وبالعش استترنا ١٦ لذلك هكذا يقول السيد الرب الذي وجدته هأنذا أؤسس في صهيون حجرا حجرا امتحان حجر زاوية كرما أساسا مؤسسا من آمن لا يهرب ١٧ وأجعل الحق خيطا والعدل مطمار فيخطف البرد ملجأ الكذب ويجرف الماء السنارة ١٨ ويمحي عهدكم مع الموت ولا يثبت ميثاقكم مع الهاوية السوط الجارف إذا عبر تكونون له للدوس ١٩ كلما عبر يأخذكم فإنه كل صباح يعبر في النهار وفي الليل ويكون فهم الخير فقط انزعاجا] ^(٣) وفي سفر أشعيا : [لأن من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب] ^(٤) ، وهذا بالنسبة للمعنى اللغوي والعقدي لكلمة صهيون عندهم مع ملاحظة أن كلمة صهيون لم ترد في القرآن الكريم ، أما بالنسبة لمعنى صهيون عند المسلمين فنجدته مختلف تماما عن معناه في اليهودية يقول العلامة ابن القيم في كتابه هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى: (فصهيون هي مكة عند أهل الكتاب. وهذا الحجر الأسود الذي يقبله الملوك فمن دونهم وهو مما اختص به محمد صلى الله عليه وسلم وأمه ، وهذا النص أحد البشارات بمحمد - صلى الله عليه وسلم - في التوراة) ^(٥) ، كما يزيدنا يقينا باستمرار التحريف في الأسفار اليهودية بما يتناسب مع أهدافهم التوسعية ^(٦) ، فهم يسخرون الدين لأغراضهم التوسعية . والله أعلم .

(١) قاموس الكتاب المقدس ص ٥٥٨ باختصار .

(٢) سفر المزامير (١٣٢ : ١٢-١٤) .

(٣) سفر أشعيا (٢٨ : ١٤-١٩) .

(٤) سفر أشعيا (٣ : ٢) .

(٥) هداية الحيارى / لشمس الدين أبي بكر ابن القيم الجوزية المتوفي عام ٧٥١هـ ، تحقيق د. أحمد حجازي السقا ، ص ١٢٣ ، المكتبة القيمة للطباعة والنشر ، مصر . .

(٦) عقيدة اليهود في تملك فلسطين / للهاشمي ص ٨٣ .

والآن نأتي إلى تعريف الصهيونية في الموسوعات الحديثة

١- الموسوعة العربية العالمية :

صهيون جبل يطل على الجزء الشرقي من مدينة القدس بفلسطين ورد ذكر هذا الجبل في العهد القديم إشارة إلى جزء من المدينة التي كان يعيش فيها العرب اليهود أصحاب مدينة ييوس التي ورد ذكرها في العهد القديم أيضا . ولما انتزع داود عليه السلام مدينة ييوس من أهلها استولى على حصنها الذي كان قائما على جبل وأطلق عليه اسم صهيون أما الصهيونية فهي حركة سياسية استعمارية أسبغت على اليهود صفة القومية والانتماء العرقي ونادت بحل ما أسمته المشكلة اليهودية ^(١) .

٢- أما الموسوعة الميسرة للأديان فتعرف الصهيونية :

بأنها حركة سياسية عنصرية متطرفة ترمي إلى إقامة دولة لليهود في فلسطين تحكم من خلالها العالم كله واشتقت الصهيونية من اسم جبل صهيون في القدس حيث تطمع أن تشيد فيها هيكل سليمان وتقيم مملكة لها تكون القدس عاصمتها ^(٢) .

(١) الموسوعة العربية العالمية ج ١٥ ص ١١٧-١١٨ .

(٢) الموسوعة الميسرة للأديان ص ٣٣١ .

٣- عرض موجز للأسفار اليهودية

١- الأسفار الخمسة

٢- الأسفار التاريخية

٣- السير الشخصية

٤- أسفار الأناشيد والحكمة

٥- أسفار الأنبياء

- نبذة عن الأسفار الخفية والتلمود

- تحريف الأسفار اليهودية

عرض موجز للأسفار

قلنا إن العهد القديم هو التسمية العلمية لأسفار اليهود وليست التوراة^(١) ، إلا جزءا من العهد القديم . واخترنا تقسيم العهد القديم إلى خمسة أقسام هي :

القسم الأول :

التوراة أو الأسفار الخمسة (الموسوية)

ويشمل أسفارا خمسة هي :- (التكوين - الخروج - اللاويين [الأخبار] - العدد - التثنية) وتسمى أيضا بأسفار موسى .

١- سفر التكوين : ويسمى سفر بدء الخليقة ويتكون من خمسين إصحاحا ويمكن تقسيمه من حيث موضوعاته إلى ثلاثة أقسام :

١- مرحلة خلق العالم .

٢- تاريخ ظهور الإنسان على الأرض من آدم عليه السلام وزوجته ثم الطوفان ثم عمارة الأرض من جديد بالسكان .

٣- ولادة إبراهيم عليه السلام وأحواله وترحاله ودعوته وأحوال ذريته ثم نزول بني إسرائيل إلى أرض مصر وقصة يوسف عليه السلام مع إخوته وينتهي السفر بذكر وفاة يعقوب ويوسف عليهما السلام^(٢) .

٢- سفر الخروج :

يتكون هذا السفر من أربعين إصحاحا وسمي بذلك لتناوله مرحلة مهمة من مراحل حياة بني إسرائيل وهي خروجهم من مصر على يد سيدنا موسى عليه السلام . ويمكن تقسيمه من حيث الموضوعات إلى ثلاثة أقسام :

١- نشأة سيدنا موسى عليه السلام في مصر .

٢- خروج بني إسرائيل من مصر على يد سيدنا موسى عليه السلام .

(١) التوراة :- قيل من التوراة في اللغة العربية وهو رأي مرجوح ، والراجح أنها لكلمة عبرية معناها الشريعة أو التعاليم الدينية / اليهود عرض تاريخي وعرقان فتاح ص ٧٢ .

(٢) اليهودية والمسيحية د. محمد ضياء الأعظمي ص ١٠٨ بتصرف

٣- مرحلة التيه في صحراء سيناء ونزول الوحي بالتوراة التي فيها الوصايا العشر وكثير من المسائل التشريعية والتعاليم الدينية ولقد وردت الوصايا العشر في صيغتين إحداهما أكثر اتصالا بالعادات والتشريع في الإصحاح الرابع والثلاثين من سفر الخروج والأخرى أكثر اتصالا بالدين والعقيدة وقد ورد في الإصحاح الخامس من سفر التثنية وإليك نص الوصايا العشر من سفر الخروج إصحاح (٣٤ : ١١-٢٨) كآلاتي : [اصنع ما أنا موصيك اليوم :

- لا تسجد لإله آخر لأن الرب اسمه غيور ، إله غيور هو ...
- لا تصنع لنفسك آلهة مسبوكة .
- تحفظ عيد الفطير ، سبعة أيام تأكل فطيرا كما أمرتك في شهر أبيب ، لأنك في شهر أبيب خرجت من مصر ^(١) .
- لي كل فاتح رحم (أي أن البكري يقدم قربانا) وكل بكر من بنيك تفديه وكذلك تفدى بكر الحمار .
- أول أبكار الأرض تحضره إلى بيت الرب إلهك ^(٢) .
- ستة أيام تعمل أما اليوم السابع فتستريح فيه .
- اصنع لنفسك عيد الحصاد ، عند حصاد الحنطة وعند الجمع في آخر السنة .
- لا تذبح على خمير دم ذبيحتي .
- لا تبت إلى الغد ذبيحة عيد الفصح .
- لا تطبخ جديا بلبن أمه [.

أما الإصحاح الخامس من سفر التثنية فالوصايا العشر هي كآلاتي :

- الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر ، من بيت العبودية ، لا يكن لك آلهة أخرى أمامي ، لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة مما في الأرض ، لا تسجد لهن ولا تعبدهن لأنني أنا الرب إلهك إله غيور .
- افتقد ذنوب الآباء في الأنبياء في الجيل الثالث والرابع من مبغضي واصنع إحسانا إلى أُلوف من محبي وحافظي وصاياي .
- لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا ، لأن الرب لا يبرئ من نطق باسمه باطلا.

(١) يقع بين (١٥-٢٢) من شهر نيسان يقتصر على أكل الخبز بدون خميرة - اليهودية عرض تاريخي/ عرفان فتاح ص ١٤١ .

(٢) اليهودية د. أحمد شلبي ص ٢٩٢ .

- اذكر يوم السبت لتقدسه ، ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك ، لا تصنع عملا ما ، أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك وبهيمنتك ونزيلك الذي دخل أبوابك لأن في ستة أيام صنع الرب السماء الأرض والبحر وكل ما فيها واستراح في اليوم السابع لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه .
- أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب إلهك.
- لا تقتل ، لا تزني ، لا تسرق ، لا تشهد على قريبك شهادة زور .
- لا تشتهي بيت قريبك ولا تشتهي امرأة قريبك ولا عبده ولا أمتة ولا ثوره ولا حماره ولا شيئا مما لقريبك ^(١) .

٣- سفر اللاويين :

ويسمى أيضا سفر الأحبار وإصحاحاته سبعة وعشرون إصحاحا وسمي سفر اللاويين نسبة إلى لاوي بن يعقوب جد موسى عليهما السلام الذين يمثلون رجال الكهنوت اليهودي والمشرفين على الطقوس الدينية وفيه حكم القربان ، والطهارة وما يجوز أكله وغير ذلك من الفرائض والحدود (٢) .

٤- سفر العدد :

يتألف هذا السفر من ستة وثلاثين إصحاحا وسمي بهذا الاسم ليروز ظاهرة التعداد من خلال نصوصه فيرد إحصاء تفصيلي للشعب الراحل مع سيدنا موسى عليه السلام في الصحراء وعدد الذبائح وعدد المدن والقرى وعدد الأسباط وفيه الرجوع إلى سرد قصة مسيرة موسى عليه السلام وقومه وتذمرهم من متابعة السير وانحرافهم وعصيانهم وقصة العجل (٣) .

٥- سفر التثنية :

أي إعادة الناموس ويسمى كذلك سفر تثنية الاشتراع أي إعادة الشريعة وتكرارها . وعدد إصحاحات هذا السفر أربعة وثلاثون إصحاحا ذكرت فيه عناية الله بشعبه وأقوال موسى في الحوادث والأخبار الهامة والوصايا والفرائض والأحكام التي أوحى بها الله والإنذارات ونشيد موسى لشعبه وبركته ، وفي نهاية السفر يتحدث عن استخلاف يوشع بن نون تلميذ موسى وخادمه وعن وفاة هارون ثم وفاة موسى عليهما السلام في جبل موآب .

(١) انظر اليهودية/ أحمد شلبي ص ٢٩٣ - الديانة اليهودية موسوعة الأديان ج ٥ ص ١٤، اليهودية عرض تاريخي/ د. عرفان عبد الحميد فتاح ص ٣٠-٣١ .

(٢) اليهودية عرض تاريخي/ د. عرفان فتاح ص ٧٤ .

(٣) الفكر الديني اليهودي أطواره ومذاهبه/ د. حسن ظاظا ص ١٥-١٦ بتصرف .

ثانيا : الأسفار التاريخية

تحدث هذه الأسفار عن تاريخ بني إسرائيل بعد استيلائهم على أرض الكنعانيين واستقرارهم في أرض فلسطين الموعودة وتسير بهذا الشعب في مختلف دروب التاريخ ومنعطقاته مع خيال خصب وأساطير كثيرة حتى تصل بهذا الشعب وسيرته إلى ما قبل ظهور المسيح عليه السلام^(١) .

وتتكون الأسفار التاريخية من تسعة أسفار هي :

١- سفر يوشع بن نون :

عدد إصحاحات هذا السفر أربعة وعشرون إصحاحا ويوشع بن نون هو خليفة موسى عليه السلام ولد في مصر وكان خادما لموسى وقد عرف فيه موسى الإخلاص والكفاءة فاستخلفه^(٢) وقد تولى قيادة جيش بني إسرائيل بعد وفاة موسى عليه السلام لعبور نهر الأردن ويذكر السفر تفاصيل اقتحام العبريين أرض فلسطين والمجازر التي ارتكبت ويذكر السفر معجزته الشهيرة أثناء حربه ضد الآموريين في جبعون بوقوف الشمس إلى أن انتصر على أعدائه^(٣) ، وينتهي السفر بذكر وفاته وهو ابن مائة وعشر سنين ودفنه في غور في الأردن^(٤) .

٢- سفر القضاة :

عدد إصحاحات هذا السفر واحد وعشرون إصحاحا والقضاة هم سلسلة من الزعماء العسكريين والدينيين حاولوا على مدى أكثر من قرنين من الزمان أن يمنعوا المجتمع العبري من الانزلاق إلى الفجور والكفر وتبدأ سلسلة القضاة من يوشع بن نون إلى صموئيل وأهم ما يشمل عليه هذا السفر هو :

- ١- ذكر القضاة وبيان مدة بقاء كل واحد منهم في القضاء وكيف كانوا يأخذون الرشوة .
- ٢- ذكر انحراف الشعب الإسرائيلي عن التعاليم الدينية أكثر من سبع مرات عبدوا فيها الأوثان مثل (البعليم وعشتاروت) وعقاب الله لهم بعذاب شديد^(٥) .

(١) الفكر الديني اليهودي د. حسن ظاظا ص ٢٣ .
(٢) سفر الخروج إصحاح ١٣: ٢٤ يوشع بن نون عليه السلام كان اسمه في الأصل (هوشع ، يهوشع) ثم دعاه موسى يوشع ومعناه (يهود خلاص) .
(٣) انظر سفر يشوع (١٠: ١٣-١٤) .
(٤) الله جل جلاله والأنبياء عليهم السلام في التوراة والعهد القديم د. محمد البار ص ٣٠٢ .
(٥) انظر القضاة ٢: ١١ ، ٣: ١٢ ، ٤: ١ ، ٦: ١ ، ١٠: ٦ .

٣- ظهور الفلسنتين الذين أتوا من بحر إيجه وجزيرة كريت وسكنوا سواحل فلسطين منذ (١٢٠٠) سنة قبل الميلاد مما أدى إلى قيام الدعوة لإقامة نظام ملكي يجمع شتات بني إسرائيل ^(١) .

٣- سفر راعوث

هذا السفر يحتوي على أربعة إصحاحات فقط وهو تمهيد للدخول في قصص الملوك ، وراعوث اسم مؤابي معناه "الجميلة" وهي فتاة تركت أباهها وشعبها ولصقت ببني إسرائيل فتزوجت من سبط يهوذا وصارت من سلسلة نسب داود عليه السلام ويقال إنها جدته ^(٢) - عليه السلام .

٤-٥ سفر صموئيل ^(٣) الأول والثاني

تبدأ به فكرة النبوة في بني إسرائيل وتبلور بشكل واضح كما تتجدد صفات النبي في مفهومهم وهي صفات زعامة سياسية ودينية تعتبر امتدادا لعهد القضاة وأهم التغيرات التي يرويها سفر صموئيل انتقال صفة القاضي إلى صفة النبي عند بني إسرائيل .

وسفر صموئيل الأول يشمل واحدا وثلاثين إصحاحا ، يروي انتقال صموئيل من صفة القاضي إلى صفة النبي ونضاله من أجل توحيد كلمة العبريين بكافة أسباطهم تحت تاج واحد ، ثم اختيار شاول ليكون ملكا ، وانتهاء أمر هذا الملك بالانتحار على أثر موقعة حربية فاشلة ضد الفلسطينيين .

أما سفر صموئيل الثاني فهو مكون من أربعة وعشرين إصحاحا ويروي جهود صموئيل في تولية داود العرش وما كان من استيلاء داود على أورشليم وتشييده قلعة حربية على جبل صهيون . وينتهي السفر بالحديث عن شيخوخة داود وتفكيره في تولية ابنه سليمان ملكا من بعده ^(٤) .

(١) اليهودية والمسيحية د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي باختصار ١٢٥-١٢٧ .

(٢) المصدر السابق بتصرف ص ١٢٨ . أنظر نسب داود عليه السلام في الأسفار اليهودية - الفصل الثاني من هذه الرسالة .

(٣) صموئيل : اسم عبري معناه اسم الله أنظر ص ١٢٨ الأعظمي مرجع سابق .

(٤) الفكر الديني اليهودي د. حسن ظاظا ص ٣٥-٣٦ باختصار .

٦-٧ سفر الملوك ويتكون من جزأين :

١- سفر الملوك الأول ويحتوي على اثنين وعشرين إصحاحا .

٢- سفر الملوك الثاني ويحتوي على خمسة وعشرين إصحاحا .

وتتحدث هذه الأسفار عن سيرة شاول أول ملوك بني إسرائيل وأشبوب ابنه ، وداود عليه السلام، وتصف أبشالوم بن داود أثرا في حياة أبيه ، ثم بعد أبيه - في حياة سليمان بن داود - عليهما السلام .

كما تتحدث عن ملوك الدور الثاني بعد انقسام دولة بني إسرائيل وفي هذه الأسفار حديث فياض عن الخلاف بين شاول وداود ثم عن هروب داود ثم هزيمة شاول وانتقال الأمر إلى داود الذي احتل عاصمة شاول وهى حبرون " الخليل " ثم استيلاء داود على أورشليم التي أصبحت تسمى مدينة داود عليه السلام وفيه كذلك حديث اتصال داود بزوجة أوريا ، و عن الخلافات التي دبت ضد داود في أواخر أيامه ثم عن سليمان وتغلبه على الأحداث في مطلع عهده وبنائه الهيكل ، وصلته بملكة سبأ ، وقصص حريمه اللاتي استملن قلبه إلى آلهتهن ، ثم الأحداث عن نهاية ملك سليمان وما تلا ذلك من إنقسام دولة اليهود إلى مملكتين ، وحروب واسعة النطاق بينهما ^(١) . وينتهي سفر الملوك الثاني بسقوط أورشليم على يد (نبوخذ نصر) سنة ٥٨٧ ق.م ^(٢) .

٨ - ٩ سفر أخبار الأيام الأول والثاني :

هذان السفران هما في الحقيقة سفر واحد لوحدة الفكرة والهدف ولما جاء دور المترجمين في الترجمة السبعينية قسموا السفر إلى قسمين :

١- سفر أخبار الأيام الأول ويحتوى على تسعة وعشرين إصحاحا .

٢- سفر أخبار الأيام الثاني ويحتوى على ستة وثلاثين إصحاحا .

ويحتوى السفران على :

١- الحديث عن آدم عليه السلام وأولاده وعن الملوك الذين ملكوا أرض أدوم قبل إسرائيل ^(٣) .

٢- إحصاء وعد لبني إسرائيل من الأجداد إلى الأحفاد بتفاصيل واسعة حتى عهد داود وسليمان عليهما السلام .

٣- ذكر ملوك بني إسرائيل بعد الانقسام حتى السبي البابلي ^(٤) .

(١) الكتاب المقدس سفر أخبار الملوك لتظر موسوعة الأنبياء السماوية والوضعية / ج ٥ الديانة اليهودية دار الفكر اللبناني ص ١٠٠ بتصرف .

(٢) المدخل لدراسة العهد القديم / د. محمد البار ص ٢١٢ باختصار .

(٣) اليهودية والمسيحية / للأعظمي ص ١٣٠-١٣١ بتصرف .

(٤) موسوعة الأنبياء ص ١٠٠ - الكتاب المقدس سفر الملوك - الفكر الديني اليهودي / حسن ظاظا ص ٤٠ المدخل ص ٢١٣ .

ثالثا : سير الشخصيات

تحدث عن سير الشخصيات التي قادت اليهود في العودة من السبي البابلي لإقامة دولة صهيون في فلسطين وإعادة بناء الهيكل والتنظيم العسكري والسياسي اليهودي .

ويحتوي هذا القسم على ثلاثة أسفار : ١- سفر عزرا ، ٢- سفر نحميا ، ٣- سفر استير .

١- سفر عزرا

هو اسم عبري معناه عون وهو الكاهن الأكبر الذي كان موظفا في بلاط الفرس ولقب بالكتاب أو الوراق وكان من أحبار اليهود في الأسر البابلي وقام بقيادة الجماعة التي أذن لها ملك الفرس بالعودة إلى أورشليم ويزعم اليهود بأنه أعاد التوراة المفقودة من حفظه وبأنه هو الذي جمع أسفار الكتاب المقدس ونظمها وبأنه مؤسس اليهودية المتأخرة في القرن الخامس ق.م . أما الحياة الخاصة لعزرا فلا يعلم عنها شيء إلا ما نسجته الأساطير اللاحقة، كما لا يعرف أين قبره ^(١) ، ويحتوي سفر عزرا على عشر إصحاحات تتحدث عن دور عزرا في تخليص اليهود من السبي البابلي والسماح لهم بالعودة إلى القدس وإقامة حكم ذاتي لهم في فلسطين ويتحدث السفر عن بدء عزرا بناء الهيكل الذي خربه بخت نصر ملك بابل كما بدأ بتأليف أسفار موسى وقراءتها أمام اليهود وقبل اليهود جميع إصلاحاته ^(٢) .

ونظرا للدور الكبير الذي قام به عزرا فقد غلا فيه اليهود غلوا كبيرا حتى قالوا فيه : (عزرا أوجد حل البقاء لإسرائيل فهو من إسرائيل عن طريق التلمود كموسى عن طريق التوراة وكما أن موسى خلق أمة من العبودية كذلك عزرا خلق أمة من السبي ، وكان حريا بأن يعطى الله التوراة على يد عزرا لو لم يعطها على يد موسى) وهذا القول ينسب إلى مجلس السنهדרين ^(٣) ، لذا فليس غريبا أن يذهب فريق من اليهود إلى تعظيم عزرا إلى حد تأليهه والقول بأنه ابن الله كما ذكر ذلك في القرآن الكريم ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ﴾ ^(٤) .

كما يحتوي السفر قانونا يفرض على الشعب الطاعة العمياء لعزرا ^(٥) .

(١) سفر عزرا ، السنن القويم في تفسير العهد القديم / مجموعة من اللاهوتيين ج ٥ (٨٠-٨١) صدر عن مجمع الكنائس في الشرق الأدنى بيروت ١٩٧٣ م ، قاموس الكتاب المقدس ص ٦٢١-٦٢٢ .

(٢) اليهودية والمسيحية / الأعظمي ص ١٣١ .

(٣) مقدمة كتاب التلمود بالإنجليزية EVERY MAN'S TALMUD لكوهين . السنهدين : كلمة يونانية تعني (مجلس) وكانت تطلق على الهيئة العليا المختصة بالنظر في القضايا الدينية والسياسية والجناحية المهمة وكان السنهدين الأكبر يتكون من (٧١ عضوا) من اليهود ذوي النفوذ ليصيغوا الصياغات المناسبة للقرارات الخاصة بالحالة الاجتماعية لليهود .

(٤) سورة التوبة آية ٢٠ .

(٥) موسوعة الأديان ج ٥ اليهودية ص ١٠١ . أما المصادر الإسلامية فانه لم يثبت فيها نبوة عزير بنص صحيح بل إن كثيرا من العلماء الذين كتبوا في الأديان كابن حزم وابن القيم ينسبون إلى عزير (عزرا) تحريف التوراة وتبديلها (الفصل ج ١ ص ٢٧٨ هداية الحيارى ص ٢٠٧) وقيل إن عزرا ليس هو عزير كما يظن لأن العزير هو تعريب العازرا فأما عزرا فإنه إذا عرب لم يتغير عن حاله لأنه اسم خفيف الحركات والحروف (انظر إقحام اليهود للسموأل المغربي ص ١٥٢) والله اعلم .

٢- سفر نحميا

يتألف هذا السفر من ثلاثة عشر إصحاحا ولو تتبعنا الأحداث التاريخية لكان سفر نحميا جديرا بالتقدم على سفر عزرا لان نحميا سبق عزرا في الحضور إلى اورشليم ، ولكن قدم سفر عزرا لأهمية هذا الكاهن في التاريخ اليهودي لأنه بعد أن حضر سبق نحميا في المكانة وكان له قصب السبق في إعادة بناء الهيكل ^(١) .

يتحدث السفر عن السيرة الذاتية لنحميا وانه كان ساقيا لملك الفرس وأنه استطاع إعادة بناء سور اورشليم ثم أكمل البناء عزرا كما يتحدث السفر عن إصحاحات عزرا ونحميا الدينية وتلاوة الشريعة على مسامع الشعب في عيد المظال ثم تولى نحميا على اورشليم كاهنا أعلى لها بأمر الملك (ارتحششتا) ^(٢) .

٣- سفر استير

يتألف هذا السفر من عشرة إصحاحات ^(٣) ، ويسمى هذا السفر باسم امرأة يهودية جميلة اسمها استير . رآها ملك الفرس واتخذها زوجة له ، وقد استطاعت أن تقرب بين الملك زوجها وابن عم لها اسمه مردخاي ، وكان للملك وزير اسمه هامان تأمرت عليه استير وأهمته بأنه يدير مؤامرة للإطاحة بالملك فأصدر الملك أمرا بقتل هامان وأتباعه وبلغ عدد من قتلهم اليهود في اليوم الثالث عشر من آذار خمسة وسبعين ألفا من الفرس ، وصار اليوم الرابع عشر من آذار عيدا من الأعياد اليهودية التي يحتفلون بها إلى يومنا هذا ويعرف باسم (بوريم) أو عيد المسخرة ^(٤) .

(١) الموسوعة ج ٥ ص ١٠١ .

(٢) المدخل د. البار ص ٢١٦ .

(٣) يتألف هذا السفر من ستة عشر إصحاحا في النسخ الكاثوليكية ، د. فتحي الزغبى ص ٦٢٧ .

(٤) اليهودية د. أحمد شلبي ص ٢٤٧ ، المدخل د. البار ص ٢١٣ ، الموسوعة ج ٥ ص ١٠٢ ، اليهودية والمسيحية د. الأعظمي ص ١٣٢ ، التراث الإسرائيلي ص ٢٧٨ د. صابر طعيمة ص ٨١-٨٧ باختصار .

رابعاً : أسفار الأناشيد والحكمة

وهي عبارة عن المواعظ الدينية بأسلوب شعري وموضوعها المدائح والتضرعات والتأملات وتتكون من خمسة أسفار هي :

- ١- سفر أيوب عليه السلام .
- ٢- مزامير داود عليه السلام .
- ٣- أخبار سليمان عليه السلام ويشمل أمثال سليمان .
- ٤- الجامعة .
- ٥- نشيد الأناشيد .

أولاً : سفر أيوب^(١) عليه السلام :

يتألف هذا السفر من اثنين وأربعين إصحاحاً ويتحدث السفر عن سيرة أيوب عليه السلام الذاتية وما رزقه الله من بنين وبنات وأملاك ثم ذهبت أمواله فصبر فعوضه الرب عنها بأكثر مما ذهب ويمكن تقسيم سفر أيوب إلى أربعة أقسام :

- ١- قسم يذكر فيه تقوى أيوب عليه السلام وأملاكه وأقاربه وصفاته .
 - ٢- والثاني يتضمن ما جرى بينه وبين أصحابه الثلاثة من جدال فأيوب - عليه السلام - يجزع ويسخط ويسأل لماذا كل هذا البلاء وأصحابه الثلاثة يوصونه بالصبر ويحاولون رده إلى الإيمان بالله والرضا بقضائه .
 - ٣- والقسم الثالث أقوال الحكمة التي نطق بها إياهو أصغر أصحاب أيوب .
 - ٤- أما الرابع فيتضمن خضوعه وشقائه وتعويضه ما فقد من المال والأهل^(٢) .
- وهذه بلا شك صورة محرفة لنبي الله أيوب عليه السلام

ثانياً : سفر المزامير

المزامير لغة : جمع مزمور وهي ترجمة للاسم العبري (تهلیم) أي تساييح الذي اشتقت منه كلمة (هللوا) العبرية أي حمداً ليهوه^(٣) .

(١) أيوب بمعنى تاب ورجع وأيوب عليه السلام يضرب به المثل في الصبر فيقال صبر أيوب - اليهودية والمسيحية د. الأعظمي ص ١٣٤ انظر الكتاب المقدس .

(٢) اليهودية د. أحمد شلبي ص ٢٤٧-٢٤٨ باختصار واليهودية والمسيحية د. الأعظمي ص ١٣٤-١٣٥-١٣٦ .

(٣) التراث الإسرائيلي/ صابر طعيمة ص ١٠١ باختصار .

المزامير اصطلاحاً :

جملة الأدعية والصلوات وترنيمات الحمد منسوبة إلى الأنبياء في كتب العهد القديم . ويتكون سفر المزامير من مائة وخمسين مزموراً وأكثر هذه المزامير تنسب لداود عليه السلام فله وحده ثلاثة وسبعون مزموراً وبالسفر مزامير أخرى لسليمان عليه السلام ولآساف الذي كان رئيس المغنين في عهد داود عليه السلام وتنسب بعض المزامير لموسى عليه السلام . وهذا السفر أشبه بأن يكون موسوعة أدبية شعرية كتبت خلال ألف عام أو يزيد وترجع هذه المزامير إلى أزمنة مختلفة وبيئات مختلفة وأشخاص مختلفين . وعناوينها غير مفهومة في معظم الأحيان . ويعتبر داود عليه السلام مرثم إسرائيل وشاعر وموسيقار ومخترع آلات الطرب ومنظم أناشيد الغنائية الجماعية - ورغم أنه لم تثبت نسبة أي من هذه المزامير الموجودة لداود عليه السلام أو غيره إلا أنها أصبحت جزءاً من الفلكلور الشعبي اليهودي والمسيحي على مدى القرون والأجيال ^(١) .

تقسيم المزامير :

وتنقسم المزامير من حيث الموضوعات إلى ثلاثة مجموعات أصغرها هي :

١- مجموعة التسابيح .

٢- مجموعة صلوات الاستغاثة .

٣- مجموعة التعليم .

أولاً : مجموعة التسابيح

ومعظمها داخل في طقوس العبادة والصلوات الجماعية وهي تذكر الله على أساس أنه رب العهد الذي قطعه لإبراهيم وبنيه بإعطائهم أرض كنعان أرضاً تفيض لبناً وعسلاً وتصوره بأنه رب قبيلة يحارب من اجلها الأرباب الآخرين .

ثانياً : مجموعة صلوات الاستغاثة

وهي صلوات وأناشيد تتحدث عن حالات الضيق والكرب التي تصيب الفرد والجماعة وتطلب من الرب إنقاذها .

(١) اليهودية د. احمد شلبي ٢٤٨-٢٤٩ - اليهودية والمسيحية للأعظمي ١٣٨ - الموسوعة ج ٥ ص ١٠٤ - التراث الديني الإسرائيلي / صابر طعيمة ص ١٠٠-١٠٢ - الفكر الديني اليهودي د. ظاظا ص ٤٩-٥٠ - المدخل د. البار

ثالثاً : مجموعة التعاليم

وهي مزامير قليلة مختصة بنوع من أنواع التعاليم حيث تذكر بعض هذه المزامير الطقوس بشكل تفصيلي^(١) .

٣- سفر الأمثال

يتكون سفر الأمثال من واحد وثلاثين إصحاحاً، ثلاثون منها منسوبة لسليمان عليه السلام وواحد منسوب إلى الملك موئيل (وهو ملك مجهول) وهذا السفر يحمل عنواناً هو أطول عناوين العهد القديم على الإطلاق إذ يشغل هذا العنوان الآيات الست الأولى من الإصحاح الأول وترجمتها [١ أمثال سليمان بن داود ملك إسرائيل ٢ لمعرفة حكمة وأدب لإدراك أقوال الفهم ٣ لقبول تأديب المعرفة والعدل والحق والاستقامة ٤ لتعطي الجاهل ذكاء والشاب معرفة وتدبراً يسمعها الحكيم فيزداد علماً والفهم يكتسب تدبيراً ٦ لفهم المثل واللفظ أقوال الحكماء وغوامضهم]^(٢) ، ويحتوي السفر على موضوعات متعددة منها أمثال دينية ومنها دنيوية ومنها أمثال للتحذير والإنذار ومنها ألغاز وهجاء^(٣) .

٤- سفر الجامعة

الجامعة كلمة مؤنثة باللفظ مذكرة المعنى وهي تقابل كلمة (قوهلت) العبرية ومعناها المكان الذي يجتمع فيه الناس ليعظهم واعظ^(٤) ، والجامعة هو أحد حكماء بني إسرائيل يقال هو ابن داود عليه السلام ويرى البعض أنه أحد ملوك بني إسرائيل لأنه في الإصحاح الأول يقول : [أنا الجامعة كنت ملكاً على بني إسرائيل في اورشليم ، وجهت قلبي للسؤال والتفتيش بالحكمة عند كل عمل تحت السموات]^(٥) ، ويتألف سفر الجامعة من اثني عشر إصحاحاً تنسب إلى سليمان عليه السلام ويتميز هذا السفر بأسلوب أدبي قوي يتحدث عن رجل يائس متشائم لا يعرف الآخرة ولم يسمع عنها فالكل باطل - وقبض الريح ولا شيء غير الموت ، الموت والحياة عبث والملك عبث بل وكثرة الحكمة باطل وعبث وفيه خواطر نفسية تدل على حالة من اليأس وفقدان الأمل تتنافى مع شخصية سليمان عليه السلام وملكه فهو يتحدث أنه جرب كل لذات الحياة - نساء ، خمر ، ملكاً .. إلخ ولكنه عاد من رحلته خائباً ضائعاً تعباً فإذا الكل باطل وقبض الريح ولا منفعة تحت الشمس^(٦) .

(١) المنخل د. البار ص ٢٢٢-٢٢٣ باختصار .

(٢) سفر الأمثال (١ : ٦-١)

(٣) المنخل ٢٢٤ - الموسوعة ص ١٠٥ - اليهودية د. لحد شلبي ص ٢٤٩-٢٥٠ - الفكر الديني اليهودي / د. حسن ظاظا ص ٥٠-٥١ والتراث الإسرائيلي / د. صابر طعيمة ص ١٥١-١٥٦ .

(٤) التراث الإسرائيلي د. صابر طعيمة ص ١٥٧ .

(٥) سفر الجامعة (١ : ٢-١) .

(٦) المنخل د. البار ص ٢٢٤-٢٣٥ راجع سفر الجامعة (٦ : ١-١٢) .

٥- نشيد الإنشاد

هذا السفر يتألف من ثمانية إصحاحات . وهو عبارة عن موضوع غرامي غزلي بين يهوه وإسرائيل ويرتله اليهود حتى اليوم في عيد الفصح وينسب إلى سليمان عليه السلام لأن فيه اسمه ^(١) ، وفيه قصة راعٍ وراعية يتغزل كل واحد منهما في الآخر بطريقة الأدب المكشوف ^(٢) ، وهو أهم نشيد ديني عند اليهود ويبدأ السفر بقوله : [نشيد الإنشاد الذي لسليمان ليقبلني بقبلات فمه لان حبك أطيب من الخمر] ^(٣) .

القسم الخامس :

أسفار الأنبياء (عددها سبعة عشر سفرًا)

وتنقسم أسفار الأنبياء حسب طولها إلى قسمين :

القسم الأول الأسفار الكبار وهي :

- | | |
|-------------------|---------------|
| ١- سفر أشعياء | ٢- سفر آرميا |
| ٣- سفر مراي آرميا | ٤- سفر حزقيال |
| ٥- سفر دانيال | |

القسم الثاني الأسفار الصغار وهي :

- | | | |
|---------------|---------------|---------------|
| ١- سفر هوشع | ٢- سفر يوشع | ٣- سفر عاموس |
| ٤- سفر عوبديا | ٥- سفر يونا | ٦- سفر ميخا |
| ٧- سفر ناحوم | ٨- سفر حبقوق | ٩- سفر صفينا |
| ١٠- سفر حجي | ١١- سفر زكريا | ١٢- سفر ملاخي |

(١) الموسوعة / ص ١٠٥-١٠٦ .

(٢) المدخل/ د. البار ص ٢٣٥ باختصار .

(٣) الله جل جلاله والأنبياء عليهم السلام د. البار ص ٤٧٤ انظر سفر نشيد الإنشاد (١ : ١-٥) .

القسم الأول : (الأسفار الكبار)

١- سفر أشعيا

هو أضخم وأوسع سفر من أسفار العهد القديم لأنه يتألف من ستة وستين إصحاحا ينسب إلى أشعيا بن آموص ومعناه خلاص يهوه أو خلاص الرب ويمكن تقسيم السفر حسب الموضوعات إلى :

- ١- الحديث عن نبوة تتعلق بالخراب المتوقع على بعض الشعوب مثل خراب بابل .
- ٢- الهجوم على بني إسرائيل ورميهم بالبعد عن حكم الله .
- ٣- أسباب انتهاء دولتهم هو الظلم والعصيان وأخذ الرشوة في الحكم .
- ٤- ذكر تاريخ بعض الأنبياء والمخلصين .
- ٥- ينتهي السفر بعبارات فيها بشارة للشعب بالخلاص وأنهم سيغسلون من آثامهم وشورهم^(١).

٢- سفر آرميا

آرميا هو أحد أنبياء العهد القديم في التراث الإسرائيلي واسمه آرميا بن حلقيا الكاهن من عناثوت في أرض بنيامين^(٢) ، ويتألف هذا السفر من اثنين وخمسين إصحاحا يتحدث عن نبوة آرميا والمقاومة العنيفة التي لقيها من الحكام والكهنة والشعب وانتصر عليهم^(٣) ، واستمرت نبوته ثمان عشرة سنة في عهد الملك يوشيا في الربع الأخير من القرن السابع كان يطلب خلالها الملك النصيح من آرميا في مشكلاته مع الاستعمار^(٤) ، وفي هذا السفر إنذار بكارثة تدمير القدس بسبب عبادة الأصنام وفيه نبوات تتعلق بميثاق جديد بين الرب والشعب .

٣- مراثي آرميا

تتكون من خمسة إصحاحات وهي عبارة عن خطابات رثاء عند غزو أورشليم وخرابها وأنحبار قتل الملك (صدقيا) وأولاده بأمر الملك البابلي (نبوخذ نصر) والآلام المروعة التي عانى منها المدافعون عنها في وقت الحصار من جوع وعطش ويعلن آرميا في رثائه أن خطايا الشعب كانت سبب الكارثة الدهماء التي حلت بهم^(٥) .

(١) اليهودية والمسيحية د. الأعظمي ص ١٤٠ باختصار ، التراث الإسرائيلي د. صابر طعيمة ص ١٨٦-٧٢٢ باختصار

(٢) معناه الرب يؤسس أو الرب يثبت .

(٣) انظر سفر آرميا (٧ : ١-٧ ، ١) .

(٤) التراث الإسرائيلي / د. صابر طعيمة باختصار ص ١٨٧-٢٠٠ اليهودية / للأعظمي ص ١٤٠-١٤١ .

(٥) اليهودية والمسيحية للأعظمي ص ١٤١-١٤٣ ، التراث الإسرائيلي / د. صابر طعيمة ص ٢١٠ باختصار .

٤- سفر حزقيال

يتكون هذا السفر من ثمانية وأربعين إصحاحاً وينسب إلى حزقيال الكاهن بن بوذي ومعنى حزقيال (المتشدد بالله ، الله يقوي) وكان بين المسيبين الذين أخذهم ملك بابل مع الأسرى في عهد (يهوه يالين) وكان معاصراً لآرميا وعاش حزقيال بين المسيبين ما يقرب من اثنين وعشرين عاماً قام خلالها بدور متميز فكان لا يكف عن توبيخ الشعب الأسير وبذل الجهود من أجل شحن همته لإعادة أورشليم وتحكي الأسفار عن استمرار إنذارهم وتحذيرهم من الخطايا ودعوتهم إلى التوبة التي استمرت نحو ثلاثين سنة ^(١) .

٥- سفر دانيال

دانيال من سبط يهوذا ويمتد نسبه إلى عائلة داود بن يسي عاش في الأسر وكان عمره أربع عشرة سنة ويتألف هذا السفر من اثني عشر إصحاحاً فقط وله طابع أشبه ما يكون بالوثيقة السياسية التي تتناول أخبار الأمم غير الإسرائيلية ويمكن تقسيمه إلى قسمين :

١- علاقة دانيال بالملوك العظام الذين كانوا في عصره .

٢- الرؤى التي أعطيت لدانيال وتفسيره للأحلام .

وتوفي دانيال في عهد قورش ملك الفرس ودفن في بابل ^(٢) .

القسم الثاني : (الأسفار الصغار)

١- سفر هوشع ^(٣)

هو هوشع بن بئري عاش في زمن عزريا ويوثام وتنبأ في أيام يربعام الثاني بن يواش ملك إسرائيل في الفترة ٧٨٦-٧٤٢ ق.م ، أي الفترة التي كان فيها أشعيا وعاصر سقوط السامرة ٧٢٢ ق.م ويتكون السفر من أربعة عشر إصحاحاً . تتحدث عن صور الفساد السياسي والقهر الاجتماعي الذي كان عليه الحال في مجتمع إسرائيل وتنبأ لهم بسقوط السامرة بسبب عصيانهم ^(٤) .

(١) اليهودية والمسيحية للأعظمي ص ١٤١-١٤٣ ، التراث الإسرائيلي / د. صابر طعيمة ص ٢١٠ باختصار .
(٢) التراث الإسرائيلي / د. صابر طعيمة ص ٢١١-٢١٨ ، اليهودية والمسيحية للأعظمي ص ١٤٣-١٤٤ باختصار .
(٣) هوشع معناه الخلاص أنظر قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٠٥ .
(٤) التراث اليهودي / د. صابر طعيمة ص ٢١٩-٢٢٤ باختصار واليهودية / الأعظمي ص ١٤٤ ، ص ٢٢٥-٢٢٧ .

٢- سفر يوثيل

هو يوثيل بن فانوثيل ومعناه (يهوه مع الله) ويتكون هذا السفر من ثلاث إصحاحات فقط ويدور موضوعه حول الخراب الذي حل ببني إسرائيل ويهوذا وعن فساد بني إسرائيل ويدعوهم إلى التوبة والصوم والبكاء والرجوع إلى الله ويؤكد السفر أن يهوذا يسكن إلى الأبد في أورشليم^(١).

٣- سفر عاموس^(٢)

يتألف السفر من تسعة إصحاحات يدور جزء منها حول الشعوب الأخرى والجزء الآخر يتناول بنوع من الاستفاضة الخطيئة والمعصية التي كان يقع فيها الشعب الإسرائيلي مع ذكر العقوبة التي تنتظر الشعب بسبب معاصيهم^(٣).

٤- سفر عوبديا

معناه (عبد يهوه) من ذرية داود وكان في القرن السادس قبل الميلاد^(٤) ، يتكون هذا السفر من إصحاح واحد فقط ويتكون الإصحاح من إحدى وعشرين فقرة ويتحدث عن رؤيا عوبديا وتنبؤه بخراب أدوم لأجل كبريائهم وإساءتهم لإسرائيل وفيه وصف دقيق لكوارث القدس المشهورة ويتحدث عن اللعنة التي تحمل بعبسو وخلّاص أخيه يعقوب ونصرته^(٥).

٥- سفر يونان

معناه (حمامة) وهو ابن أمتاي من سبط زبولون . ويحتوي هذا السفر على أربعة إصحاحات فقط تتحدث عن قصة نبي أرسل إلى نينوى^(٦) ، ليقوم بالدعوة هناك فهرب إلى ترشيش^(٧) ، عبر السفينة وألقاه رئيس السفينة في البحر وابتلعه الحوت ، وذكر في الإصحاح الثاني صلاة يونان في بطن الحوت ثم قذف الحوت يونان على اليابسة ، والإصحاح الثالث يتحدث عن إرسال الرب يونان إلى نينوى ثانية وتوبة أهل نينوى وتوبة الرب عن إهلاكهم . والإصحاح الرابع يصف غضب يونان عن توبة الرب عن إهلاكهم وفيه توبيخ الرب ليونان . وكثير من الكتاب في العهد القديم من المسلمين يرون أن يونان هو يونس بن متى - عليه السلام - الذي ذكر في القرآن الكريم والله أعلم مع تحريف للقصة^(٨).

(١) اليهودية والمسيحية / للأعظمي ص ١٤٤ ، ص ٢٢٥-٢٢٧ .

(٢) عاموس معناه (حمل) وعاش في القرن الثامن قبل الميلاد اليهودية / الأعظمي ص ١٤٤ .

(٣) التراث الإسرائيلي/ د. صابر طعيمة ص ٢٢٨ .

(٤) اليهودية / الأعظمي ص ١٤٤ .

(٥) الكتاب المقدس سفر عوبديا .

(٦) نينوى : عاصمة الإمبراطورية الآشورية على الضفة الشرقية من نهر دجلة وقاموس الكتاب المقدس ص ٩٩٠ ، قال ابن كثير : هي قرية

في أرض الموصل / البداية والنهاية ج ٢ ص ٣٧٠ .

(٧) ترشيش : تقع جنوب أسبانيا قرب جبل طارق قاموس الكتاب المقدس ص ٢١٥-٢١٦ .

(٨) اليهودية والمسيحية للأعظمي ص ١٤٥ وقاموس الكتاب المقدس ص ١١٢٦ .

٦- سفر ميخا

ميخا اختصار لكلمة (ميكا يهوه) ومعناها (من مثل يهوه ، أو من هو إله مثلك) يتكون السفر من سبعة إصحاحات تتحدث الإصحاحات الثلاثة الأولى عن خطايا بني إسرائيل والتنديد بها وقسوة الملاك وجشع الأغنياء وانحراف القيادات وباقي الإصحاحات تتحدث عن تنبئه بسقوط السامرة وأورشليم وسي سكاها وتتضمن تنبؤات بخراب مدن الوثنية وتنبؤ بمجيء المسيح المنتظر^(١) .

٧- سفر ناحوم

بمعنى (الرحوم أو المعز) ويتكون هذا السفر من ثلاثة إصحاحات ويصف السفر ظهور ناحوم أثناء السبي إلى بابل بعد خراب أورشليم وقد عاش فترة قبل النفي في أورشليم وتنبأ فيها بخرابها وتخطيط الهيكل بسبب فجور بني إسرائيل ووصف الرب بأنه غيور ومنتقم وركز على أن الذنوب والمعاصي تؤدي إلى غضب الله وعقابه^(٢) .

٨- سفر حبقوق

ومعناه (يعانق) وكان أحد المغنين في الهيكل ويصل نسبه إلى اللاويين ويتكون هذا السفر من ثلاثة إصحاحات تتحدث عن نبوة حبقوق بهجوم الكلدانيين على أرض يهوذا لفساد أهلها وتوسله للرب كي لا يبيد شعبه ، وأكد في سفره أن الأشرار مهما نجحوا في حياتهم على الأرض سيلاقون جزاءهم ووصف حبقوق مجيء الله في رعب عظيم ليدين البشر^(٣) .

٩- سفر صفنيا

معناه (يهوه يستر) وهو ابن كوش بن جبرليا بن امريا بن حزقيال ، وكان في عهد الملك يوشيا ، ويتكون السفر من ثلاثة إصحاحات ركزت على التبشير بمجيء مسيح الرب وخلص البشرية على يده وأنه سيقم مملكة الرب على جبل صهيون في أورشليم وتخضع له كل شعوب الأرض بعد ما وصف أورشليم بالمدينة المتمردة النجسة لأن القضاة والأنبياء والكهنة في العهد القديم في نظر صفنيا يحملون نجاسة^(٤) .

(١) اليهودية والمسيحية للأعظمي ص ١٤٦ وقاموس الكتاب المقدس ص ٩٣٦ .

(٢) المرجع السابق ص ١٤٧ وقاموس الكتاب المقدس ص ٩٤٤ .

(٣) الأنبياء د. البار ص ٥٣٨ و اليهودية للأعظمي ص ١٤٧ وقاموس الكتاب المقدس ص ٢٨٧ .

(٤) الأنبياء د. البار ص ٥٣٧ و اليهودية للأعظمي ص ١٤٨ وقاموس الكتاب المقدس ص ٥٤٤ .

١٠- سفر حجي

معناه (عيد) أو مولود في يوم العيد ، وكان عهده بعد الرجوع من سبي بابل ، ويتكون هذا السفر من إصحاحين فقط ، فيهما بشارات إلى زر بابل الحاكم العائد من السبي ساعد حجي في بناء البيت وبناء المذبح وتأسيس هيكل للرب ، وحجي ثالث ثلاثة بعد رحلة العودة من السبي ابتدأوا أعمالهم ووظفتهم في إسرائيل وهم (حجي وزكريا وملاخي) لحثهم على إكمال الهيكل الذي توقف بناؤه لمدة خمس عشرة سنة ^(١) .

١١- سفر زكريا

وهو زكريا بن برخيا بن عدو وكان من نسل لاوي إذ تولى وظيفة الكهنة ويتكون هذا السفر من أربعة عشر إصحاحا ويتحدث عن :

١- الشعائر الدينية مثل الصوم وعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان ^(٢) .

٢- يتحدث بروح عدائية ضد الشعوب الأخرى كدمشق وحمه وصيدا وصور وفيه بشارة بمجيء المخلص المسيح ^(٣) .

٣- يتحدث عن البشارة بدمار الشعوب الأخرى وخلاص اليهود ^(٤) .

١٢- سفر ملاخي

ومعناه (رسولي أو مرسل الرب) ولا يعرف عنه إلا ما جاء في سفره ، ويتكون هذا السفر من أربعة إصحاحات ، وهو آخر سفر في العهد القديم ، وحين كتب هذا السفر لم يكن يعرف لليهود ملك ، وكان يحكمه حاكم أو وال من قبل الملك الفارسي ونبه ملاخي في سفره على فساد الكهنة بصورة خاصة واليهود بصورة عامة وركز اهتمامه على منع الزواج بالأجنبيات أو زواج الأجانب باليهوديات منذراً إياهم بغضب الله عليهم وعقابه الأليم ^(٥) .

وبهذا السفر ينتهي التعريف الموجز لأسفار العهد القديم حسب التسمية البروتستانتية التي ساعتمدها في بحثي - إن شاء الله - وينبغي التنبيه على وجود أسفار زائدة بالنسبة للتسمية الكاثوليكية اعترفت بها الكنيسة الكاثوليكية سنة ١٥٤٦م أهمها سبعة:

طوبيا - يهوديت - الحكمة - يسوع بن سيراخ - باروخ - المكابيون الأول والثاني .

(١) اليهودية / د. الأعظمي ص ١٤٨ و التراث الإسرائيلي / د. صابر طعيمة ص ٢٥٧ والأنبياء د. البار ص ٥٣٥ وقاموس الكتاب المقدس ص ٢٩٤ راجع سفر زكريا الإصحاحات (١-٨) .

(٢) اليهودية ص ١٤٨ والتراث الإسرائيلي / د. صابر طعيمة ص ٢٥٨-٢٥٩ والأنبياء / د. البار ص ٥٣٦ وقاموس الكتاب المقدس ص ٢٢٧-٢٢٩ باختصار راجع سفر زكريا الإصحاح من (١-٨) .

(٣) سفر زكريا من (٩-١١) .

(٤) أنظر سفر زكريا الإصحاحات من (١٢-١٤) باختصار

(٥) أنظر التراث الإسرائيلي / د. صابر طعيمة ص ٢٦٥ ، الأنبياء / د. البار ص ٥٣٨ واليهودية / للأعظمي ص ١٤٨ وقاموس الكتاب المقدس ص ٩١٣-٩١٤ .

١- سفر طوييا

وهو من الأسفار المنحولة (الأبوكريفا) كلمة يونانية معناها (مخفي) أو مخبأ أو سري والتي يرفضها اليهود والبروتستانت وتقبله الطائفة الكاثوليكية ويتضمن هذا السفر قصة رجل من سبط نفتالي يسمى طوييا وكان ممن سباهم الآشوريون إلى بلادهم بعد تخطيط مملكة إسرائيل في الشمال عام ٧٢٢ ق.م وفي السفر وصف لحفلة زفاف طوييا بامرأة جميلة اسمها سارة بنيوي وكذلك خطاب وصلوات وتنبؤات ^(١) .

٢- سفر يهوديت

يتضمن هذا السفر سيرة أرملة يهودية تدعى يهوديت واستطاعت إغواء القائد البابلي لجيش (نبوخذ نصر) وقتله وهذا السفر ليس تاريخياً إنما هو أسطورة تصور جيل بني إسرائيل كسفر استير ^(٢) .

٣- سفر الحكمة

ينسب هذا السفر إلى سليمان عليه السلام وهو في الحقيقة ليس له ويتجه مؤلف السفر إلى ملوك الأرض والخبائره ألا يغتروا بمكانتهم وأن يراعوا العدالة مع من يحكمون فالحكمة لا تأوي إلى جسد المذنب ، كما يتحدث السفر عن أثر الحكمة في الأحداث التاريخية منذ آدم حتى موسى عليهما السلام ^(٣) .

٤- يسوع بن سيراخ

تنسب ليسوع أمثال كتلك التي تنسب لسليمان ، ويسوع هذا رجل يهودي من أورشليم كثير التجوال والترحال ، له أسلوب رائع يصوغ به أفكاره عن الحكمة والرشد ويقرر يسوع أن مصدر الحكمة هو الله وأن الله يمنحها لبعض أحبائه وفي السفر تعاليم أخلاقية ، ويرى من الحكمة أن لا يستشير الإنسان حسوداً وألا يعطي الجسد ما يضر ^(٤) .

٥- سفر باروخ

تلميذ آرميا وقد اختفى معه في الصحراء هرباً من رجال الدين اليهودي الذين كانوا يعبدون بعللاً ويقدمون له الذبائح وسفر باروخ أشتات من الأفكار وليست به وحدة متناسقة ^(٥) .

(١) التراث الإسرائيلي ص ٢٧٦، المنخل لدراسة التوراة/د. البار ص ٢١٤ ، اليهودية/د. احمد شلبي ص ٢٥٢ وقاموس الكتاب المقدس ص ٥٨١

(٢) التراث الإسرائيلي ص ٢٧٧ ، المنخل لدراسة التوراة/د. البار ص ٢١٥ ، اليهودية ص ٢٥٣ وقاموس الكتاب المقدس ص ١٠٨٥-١٠٨٤

(٣) اليهودية/د. احمد شلبي ص ٢٥٣ و الموسوعة/ احمد شلبي ج ٥ ص ١٠٨ .

(٤) اليهودية/د. احمد شلبي ص ٢٥٣ و الموسوعة/ احمد شلبي ج ٥ ص ١٠٩ وقاموس الكتاب المقدس ص ١٠٧١ .

(٥) اليهودية/د. احمد شلبي ص ٢٥٤ و الموسوعة/ احمد شلبي ج ٥ ص ١٠٩ وقاموس الكتاب المقدس ص ١٥٨ .

(٦) اليهودية/د. احمد شلبي ص ٢٥٣ و التراث ص ٢٨٥-٢٨٦ باختصار وقاموس الكتاب المقدس ص ٩١١-٩١٣ .

٦- المكابيون الأول والثاني

هذان السفران يشيدان ببطولة الأسرة المكابية سنة ١٧٥-١٣٥ ق.م ويبدأ السفر بلمحة موجزة عن فتوحات الإسكندر ثم عن جهاد اليهود الجماعي في سبيل استقلالهم الديني والسياسي وعن ثورة المكابيين ويتحدث عن أمور العبادة والطقوس والشعائر الدينية ^(١) .

(١) اليهودية/ د. احمد شلبي ص ٢٥٣ والتراث الإسرائيلي / د. صابر طعيمة ص ٢٨٥-٢٨٦ باختصار وقاموس الكتاب المقدس ص ٩١١-٩١٣ .

ثانيا :

نبذة عن الأسفار الخفية والتلمود

وهناك أسفار يهودية أخرى رأى أحبارهم وجوب إخفائها عن الجمهور وعدم إدراجها في أسفار العهد القديم مع الاعتقاد بقدسيتها ويبلغ مجموع هذه الأسفار خمسة وثلاثين سفرا وتسمى بالكتب غير القانونية أو (الأبوكريفا) وهذه النصوص هي :

- ١ - كتابات تاريخية مثل : سفر المكابيين الأول والثاني وسفر دانيال وسفر أستير .
- ٢ - نصوص عقديّة ضد عبادة الأصنام مثل سفر يهوديت وسفر طوبيا وسفر المكابيين الثالث^(١) . ومن الأسفار المقدسة عند اليهود أيضا التلمود إذ يعتبره أكثر اليهود أنه منزل على موسى - عليه السلام - شفاهها وأن الله أعطى التوراة لموسى مدونة وبعض اليهود يقدمون التلمود على التوراة في المترلة والمكانة ويسميها البعض (بالتوراة الشفوية) .

التلمود

لفظ (تلمود) اسم عبري معناه (تعليم) وهو مجموعة من الروايات الشفوية التي كانت تنقل من جيل إلى جيل في شؤون العقيدة والشريعة ، والتاريخ ، والسير على السنة أحبار اليهود وفقهائهم شرحا وتفسيرا للتوراة . وذلك أن اليهود يقسمون الوحي إلى قسمين :

- ١ - وحي مكتوب .
- ٢ - وحي شفوي .

(١) انظر الفكر الديني اليهودي/ د. حسن ظاظا ص ٦٢-٦٥ واليهودية والمسيحية للأعظمي ص ١٥٠-١٥١ والأسفار المقدسة/ د. علي عبدالواحد ص ٢٥ .
(٢) سورة الأنعام آية ٩١ .
(٣) سورة المائدة آية ١٥ .

الوحي المكتوب :

مثل تلقي موسى اللوحين المكتوبين من صنعة الله - كما سبق ذكره .

الوحي الشفوي :

وهو عبارة عن مجموع تقاليد اليهود في شتى نواحي الحياة مع فقرات من التوراة ، ويزعم اليهود أن هذه التقاليد والتعاليم شفاهية ألقاها موسى على شعبه لما كان على الجبل ثم تداولها هارون واليعازر ويشوع حتى سلموها للأنبياء^(١) ، ثم وصلت هذه الروايات إلى الكاهن عزرا الذي بدوره قام بتعليم أعضاء المجمع الأعلى البالغ عددهم ١٢٠ شخصا ثم بقي هذا الوحي الشفوي في أولاد وأحفاد هؤلاء الأعضاء من الأحرار والربانين .

ونتيجة لهذه العقيدة الفاسدة انتشر الكذب والوضع في الروايات والأساطير الغريبة في كتب اليهود منهم من يكتب ما يشاء ويختار ثم يقول هذه من عند الله وإليه يشير قوله تعالى :
﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾^(٢) .

والتلمود مقدس لدى اليهود جميعا عداد ثلاث طوائف هي :

١- طائفة السامريين ، ٢- طائفة الصدوقيين ، ٣- طائفة القرائين^(٣) .

وهذه الطوائف لا تعترف إلا بنصوص (العهد القديم) دون (التلمود) باعتباره غير موحي به من الله تعالى .

بينما يذهب من عدا تلك الطوائف من المقرين بشرية التلمود ولا سيما طائفة (الفريسيين)^(٤) إلى أبعد من هذا ، حيث يعتبرون التلمود أكثر قداسة من التوراة نفسها^(٥) .

(١) انظر قاموس الكتاب المقدس ص ٢٢٢ .

(٢) سورة البقرة : آية ٧٩ .

(٣) سبق التعريف بالطوائف الثلاثة ، انظر ص ٢١-٢٣ من هذه الرسالة .

(٤) طائفة الفريسيين انظر ص ٢١ .

(٥) النصرانية اليهودية ، د. أحمد الزغبى ج ١ ص ١٠٠-١٠٣ .

أقسام التلمود :

يتكون (التلمود) من قسمين رئيسيين هما :

- ١- المشناة - بكسر الميم - وهي كلمة مشتقة من الفعل العبري (شانا) بمعنى يثني والمشناة معناها: (الشريعة الشفهية المكررة) وهي مجموعة من الشرائع اليهودية المروية على الألسنة والتي كان اليهود - وما يزالون - يعتبرونها مصدرا من مصادر التشريع يأتي في المقام الثاني بعد التوراة مباشرة ويظنون أنها أيضا ترتفع إلى سيدنا موسى - عليه السلام - لذلك فإنهم يسمونها (التوراة الشفهية)
- ٢- الجمارا - بكسر الجيم - كلمة آرامية معناها (الاستكمال) والجمارا هي مجموعة الشروح والتفسيرات والتعليقات التي أضافها أحبار اليهود وفقهائهم إلى نصوص (المشناة)^(١).

نسخ التلمود :

يوجد للتلمود نسختين :

- ١- نسخة تلمود أورشليم : وهو مختصر وجامع ، انتهوا في تأليفه من القرن الرابع الميلادي ويضم متن (المشناة) وزيادات وشروح علماء وحاخامات فلسطين والذين كتبوه هم حاخامو طبرية .
- ٢- نسخة تلمود بابل : وهو أكبر من التلمود الأول ثلاثة أضعاف واستعانوا في تأليفه بتلمود أورشليم واستمروا في شرحه وتفسيره حتى استكملوه في القرن السادس الميلادي من قبل حاخامات بابل ، فهذا هو التلمود الثاني المتداول بين اليهود في أنحاء العالم اليوم وهو المراد عند الإطلاق بكلمة التلمود . وأما المسائل التي جمعوها فيما بعد فقد سموها (توسفتا) و (مدراشيم) إلا أن هذه المؤلفات المتأخرة لم تلاق الرواج بين علماء اليهود وحاخاماتهم كما لاقاه التلمود . وفي التلمود تأكيد لمبدأ الاستعلاء والتفوق للعنصر اليهودي على بقية شعوب العالم واعتبارهم عبيدا لليهود لأن اليهود هم شعب الله المختار ، كما تجسم فيه انعزالية الشعب اليهودي وحقه في جميع خيرات الأرض دون غيره من الناس ولذا كان اليهود أحرص ما يكونون على أن لا يطلع على التلمود غيرهم .

(١) العنصرية اليهودية / د. أحمد الزعبي ج ١ ص ١٠٦ .

نماذج من نصوص التلمود :

العزة الإلهية في التلمود يقول التلمود : إن النهار اثنتا عشرة ساعة ، في الثلاث الأولى منها يجلس الله ، ويطالع الشريعة ، وفي الثلاث الثانية يحكم ، وفي الثلاث الثالثة يطعم العالم ، وفي الثلاث الأخيرة يجلس ويلعب مع الحوت ملك الأسماك ^(١) .

يندم الله على تركه اليهود في حالة التعاسة حتى إنه يلطم ويكي كل يوم فتسقط من عينه دمعان في البحر فيسمع دويهما في أقصى العالم إلى أقصاه وتضرب المياه وترجف الأرض في أغلب الأحيان فتحصل الزلازل ^(٢) .

وليس الله - حسب ما جاء في التلمود - معصوما من الطيش لأنه حالما يغضب يستولي عليه الطيش كما حصل له ذلك يوم غضب على بني إسرائيل ، وحلف بحرمانهم من الحياة الأبدية ، ولكنه ندم على ذلك بعد ذهاب الطيش منه ولم ينفذ ذلك اليمين لأنه عرف أنه فعلا ضد العدالة ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ^(٣) .

أرواح اليهود في التلمود :

خلق الله ستمائة ألف روح يهودية - وتتميز أرواح اليهود عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله كملأ أن الابن جزء من والده - ومن ثم كانت أرواح اليهود عزيزة عند الله بالنسبة لبقي الأرواح - لأن الأرواح غير اليهودية أرواح شيطانية شبيهة بأرواح الحيوانات ^(٤) . وفي التلمود : إن نطفة غير اليهودي كنطفة باقي الحيوانات ^(٥) .

تعليق

وماذا عن بقية اليهود الذين يربو عددهم في العالم على سبعة عشر مليونا ثلثهم تقريبا في إسرائيل والباقي موزعون في العالم ؟.

فما حقيقة أرواحهم - هل تحملها أرواح شيطانية شبيهة بأرواح الحيوانات كما في البشر كما يزعمون في التلمود ، أم أنهم بلا أرواح ؟ وهل تنتقل هذه الأرواح بالموت لغيرهم فيكون التناسخ ؟ وأيا كانت الإجابة على هذه الأسئلة فإنها تبين لنا أساس خرافة شعب الله المختار وتدحضها من جذورها .

(١) الكنز المرصود في قواعد التلمود / للسؤال المغربي ص ٤٩ .

(٢) المصدر السابق ص ٥١ .

(٣) المصدر السابق ص ٥١ .

(٤) المصدر السابق ص ٦٠ .

(٥) هذا القول يفسر استهانتهم بإزهاق أرواح غيرهم والاستمتاع بقتلهم فهم مجرد حيوانات حسب عقيدتهم !!

تحريف الأسفار اليهودية

أولا : تعريف التحريف لغة واصطلاحا

ثانيا : أنواع التحريف على ضوء آيات القرآن وأقوال المفسرين

ثالثا : أنواع التحريف على ضوء الأسفار اليهودية

رابعا : شهادة العلماء بتحريف الأسفار اليهودية

أولاً : تعريف التحريف لغة وإصطلاحاً

التحريف لغة :

هو إمالة أو صرف الشيء عن أصله من حرف عن الشيء يحرف حرفاً وانحرف وتحرف وأحرورف : عدل وإذا مال الإنسان عن الشيء يقال تحرف ^(١) كقوله تعالى : ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَيُسَّ الْمَصِيرُ﴾ ^(٢) .

التحريف اصطلاحاً :

إمالة كلام الله عن المقصود الإلهي ومعناه الحقيقي ^(٣) ، ونحوه في تفسير البيضاوي : إمالة كلام الله عن مواضعه التي وضعه الله فيها إما لفظاً بإهماله أو تغيير وضعه أو إزالتها وإثبات غيرها فيها وإما معنى بحمله على غير المراد وإجرائه في غير موردّه أو يؤولونه على ما يشتهون فيميلونه عما أنزل الله فيه ^(٤) .

ويعرف د. الطنطاوي التحريف بقوله : (التحريف أصله انحراف الشيء عن جهته وميله عنها إلى غيرها والمراد به هنا إخراج الوحي والشرعية عما جاءت به بالتغيير والتبديل في الألفاظ أو بالكتمان والتأويل الفاسد والتفسير الباطل) ^(٥) .

ثانياً : أنواع التحريف على ضوء القرآن الكريم وأقوال المفسرين

١- التحريف بالنسيان

قال تعالى : ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِّيثَاقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِمْ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ^(٦) ، جاء في تفسير هذه الآية أن الله طرد بني إسرائيل من رحمته لتحريفهم التوراة وتركهم حفظهم مما أنزل عليهم فلم ينالوه وجعل قلوبهم قاسية وزالت بشؤم التحريف أشياء منها عن حفظهم لما روى عن أن ابن مسعود قال : (قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية) ^(٧) .

(١) لسان العرب لابن منظور ج ٩ ص ٤١ والقاموس المحيط / للفيروز آبادي ج ٣ ص ١٢٦-١٢٧ ، سورة الأنفال آية ١٦ .

(٢) سورة الأنفال آية ١٦

(٣) جامع البيان في تفسير القرآن / للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري دار الفكر للطباعة ص ٢٩٢ سنة ١٩٧٨م-١٣٩٨هـ ج ١ بيروت ، الكتاب المقدس في الميزان ص ١٠٧ .

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل / عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع بيروت ج ٢ ص ١٥٠ ج ٢ ص ٩٠ بتصرف .

(٥) بنو إسرائيل في القرآن والسنة / د. طنطاوي ص ٤٦٧ .

(٦) سورة المائدة آية ١٣ .

(٧) تفسير البيضاوي ج ٢ ص ١٤١ المائدة .

٢- التحريف بالكتمان

قال تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾^(١)
المقصود هم أحبار اليهود الذين كتموا على الناس أمر محمد - صلى الله عليه وسلم - ونبوته وهم يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة برشوة كانوا أعطوها على ذلك^(٢).

٣- إثبات التحريف بالتغيير والتبديل

قال تعالى : ﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ﴾^(٣) .
وقال تعالى : ﴿ يَتَأَيَّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾^(٤) .

فإن قيل ما الفرق بين العبارتين (عن مواضعه، من بعد مواضعه) قال الإمام الزمخشري عن الأولى : (عن مواضعه) (إزالته عن مواضعه التي أوجبت حكمة الله وضعه فيها بما اقتضت شهوراتهم من إبدال غيره مكانه) وأما الثانية (من بعد مواضعه) فقال : (إنه كانت له مواضع هو قمن بأن يكون فيها فحين حرفوه تركوه كالغريب لا موضع له بعد مواضعه ومقاره)^(٥) ، وجاء في تفسير قوله تعالى ﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ﴾^(٦) ، أي من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم أي يميلونه عن مواضعه التي وضعها الله فيها بإزالته عنها وإثبات غيره فيها^(٧) ، قال ابن كثير بتأويله على غير تأويله ويفسرونه بغير مراد الله تعالى قصدا منهم وافتراء^(٨) ، قال صاحب

- (١) سورة البقرة آية ١٧٤ .
- (٢) تفسير الطبري ج ٢ ص ٥٢ .
- (٣) سورة النساء آية ٤٦ .
- (٤) سورة المائدة آية ٤١ .
- (٥) الكشاف / للزمخشري ج ١ ص ٥٣٠ .
- (٦) سورة النساء آية ٤٦ .
- (٧) تفسير البياض ج ٢ ص ١٥ .
- (٨) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥٠٧ .

الكشاف (قال تعالى : ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾) يحيلونه عنها ويزيلونه ، لأنهم بدلوه ووضعوا مكانه كلما غيره فقد أمالوه عن مواضعه التي وضعها الله فيها أزالوه عنها وذلك نحو تحريفهم (أسمر ربعة) عن موضعه في التوراة بوضعهم (آدم طوالا) مكانه ونحو تحريفهم الرجم بوضع الحد بدله (^(١)) .

٤- التحريف بالإضافة

قال تعالى : ﴿ قَوْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا قَوْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَقَوْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ (^(٢)) .

عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية في أهل الكتاب في أحبار اليهود وجدوا صفة الرسول صلى الله عليه وسلم مكتوبة في التوراة " أكحل ، أعين ، ربعة ، جعد الشعر ، حسن الوجه " فمحوه حسدا وبغيا وقالوا : نجده طويلا أزرق سبط الشعر (^(٣)) ، قال الشيخ القاسمي : قال الراغب : " فإن قيل لم ذكر " يكسبون " بلفظ المستقبل " وكتبت " بلفظ الماضي ؟ قيل تنبيها على ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم : " من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة " ، فنه بالآية إلى أن ما أثبتوه من التأويلات الفاسدة التي يعتمدها الجهلة هو اكتساب وزر يكتسبونه حالا فحالا وعبر بالكتابة دون القول لأنها متضمنة له وزيادة فهي كذب باللسان واليد وكلام اليد يبقى رسمة أما القول فقد يضمحل أثره " (^(٤)) .

وبهذا أكون قد استعرضت الآيات القرآنية التي تثبت تحريف اليهود لكتابهم المقدس على ضوء القرآن الكريم وأقوال المفسرين والآن سنتحدث عن أدلة تحريف اليهود من أسفارهم .

ثالثا : التحريف على ضوء الأسفار اليهودية :

يوجد عند أهل الكتاب (اليهود والنصارى) للكتاب المقدس ثلاث نسخ مشهورة هي :

- ١- النسخة العبرية وهي المعتمدة عند اليهود وجمهور البروتستانت وعدد أسفارها تسعة وثلاثون سفرا فقط لا غير .
- ٢- النسخة السبعينية أو اليونانية وهي المعتمدة عند الكاثوليك والأرثوذكس وعدد أسفارها ستة وأربعون سفرا وتتضمن كتب الابوكريفا التي لم تكن في الأصل العبراني .

(١) الكشاف للزمخشري ج ١ ص ٢٦٧ .

(٢) سورة البقرة آية ٧٩ .

(٣) لباب النقول في أسباب النزول للسيوطي ص ١٢ وتفسير الطبري ص ٣٠٠-٣٠١ يتصرف .

(٤) تفسير القاسمي الجزء الأول ص ١٧٤ نقلا من كتاب : بنو إسرائيل في القرآن والسنة د. سيد طنطاوى ص ٤٧٢ .

٣- النسخة السامرية وهي المعتمدة عند اليهود السامريين وتشتمل على خمسة أسفار فقط والأسفار الخمسة السامرية ليست ترجمة بل هي النص العبراني نفسه مكتوبا بالحروف السامرية أو العبرانية القديمة وهي تحوي بعض الاختلافات الطفيفة عن نص الماسوريين العبراني^(١).

وعلى ضوء المقارنة بين النسخ الثلاث سثبت التحريف اللفظي للكتاب المقدس عندهم .

أولا : إثبات التحريف اللفظي بالنقص .

١- جاء في سفر التكوين

[وحدث إذ كان إسرائيل ساكنا في تلك الأرض أن راوبين ذهب واضطجع مع بلهة سرية أبيه وسمع إسرائيل]^(٢).

قال جامعو تفسير هنري وإسكات : (اليهود يسلمون أن شيئا سقط من هذه الآية والترجمة اليونانية تتمها هكذا : [وكان قبيحا في نظره]) .

٢- وجاء في أسفارهم

[وأخذ عمرام يوكابد عمته زوجة له (فولدت له هارون وموسى)] وفي النسخة السامرية واليونانية هكذا : [فولدت له هارون وموسى ومريم أختهما]^(٣) ، فلفظ " ومريم أختهما " سقط في العبرانية ، وقال (آدم كلارك) بعد ما نقل عبارة النسخة السامرية واليونانية : (ظن بعض المحققين أن اللفظ في المتن العبري) .

ثانيا : أمثلة على التحريف اللفظي بالتبديل من العهد القديم

١- إن الزمان من خلق آدم إلى طوفان نوح عليه السلام على وفق العبرانية ١٦٥٦ عاما ، وعلى وفق اليونانية ٢٢٦٢ عاما ، وعلى وفق السامرية ١٣٠٧ عاما ، ومن هنا يتضح التبديل في عدد السنوات بحيث تزيد نحو ٦٠٠ سنة عما في العبرية وتنقص بموجب السامرية ثلاث مائة وخمسين عاما .

٢- جاء في أسفارهم في النسخة العبرية : [حين تعبرون الأردن تقيمون هذه الحجارة التي أنا أوصيكم بها اليوم في جبل عيبال]^(٤) ، وفي النسخة السامرية "جبل جزريم" وعيبال وجزريم جبلان متقابلان كما يفهم ذلك في سفر التثنية أيضا (١١ : ٢٩) .

(١) انظر قاموس الكتاب المقدس ص ٧٦٨ والكتاب المقدس في الميزان عبد السلام محمد ص ١٠٨-١٠٩ باختصار وتصرف .

(٢) سفر التكوين (٣٥ : ٢٢) .

(٣) سفر الخروج (٦ : ٢٠) .

(٤) سفر التثنية (٢٧ : ٤) .

[وإذا جاء بك الرب إلهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها لكي تمتلكها فاجعل البركة على جزرهم
واللعنة على جبل عيبال] قال آدم كلارك : "إن المحقق كتي كات يدعى صحة السامرية
والمحقق باري ودر شيور يدعيان صحة العبرانية لكن كثيرا من الناس يفهمون أدلة كتي كات
لا جواب لها يجزمون بان اليهود حرفوا لأجل عداوة السامريين والدليل على تحريف اليهود
أن (جزريم) فيه عيون وحداثق ونباتات كثيرة وعيبال جبل يابس لا شيء عليه من هذه
الأشياء فإذا كان الأمر كذلك كان الجبل الأول مناسباً لإسماع البركة والثاني اللعنة ^(١) .

ثالثا : إثبات التحريف بالزيادة

١- جاء في سفر التكوين

[وهؤلاء هم الملوك الذين ملكوا في أرض آدوم قبلما ملك ملك لبني إسرائيل] ^(٢) فظاهر النص
يدل على أن كاتبه كان يتحدث بهذا الكلام بعد أن كان لبني إسرائيل ملكا ودولة يقوم
عليها ملوك ، وهذا لم يكن إلا بعد عصر القضاة ، وكان أول ملك لبني إسرائيل هو شاول
الذي كان بعد موسى - عليه السلام - بأكثر من قرن من الزمان - بوقت طويل لذلك
فالعقل يستبعد أن يكون هذا النص من كتاب موسى الذي مات فترة التيه قبل أن يدخل بنو
إسرائيل أرض كنعان بقيادة يوشع خليفة موسى - عليه السلام - قال آدم كلارك في تفسيره
تعليقا على هذا النص : غالبا ظني أن موسى - عليه السلام - ما كتب هذه الآية والآيات
التي بعدها إلى الآية التاسعة والثلاثين بل هذه الآيات هي آيات الباب الأول من السفر الأول
من كتاب أخبار الأيام وأظن ظنا قويا قريبا من اليقين أن هذه الآيات كانت مكتوبة على
حاشية نسخة صحيحة من التوراة فظن أنها جزء من المتن فأدخلها فيه " يقول رحمت الله
الهندي تعليقا على كلام آدم كلارك "فأعترف هذا المفسر بالحاق الآيات التسع وعلى
اعترافه يلزم أن كتبهم صالحة للتحريف لأن هذه الآيات التسع مع عموم كونها من التوراة
دخلت فيه وشاعت بعد ذلك في جميع النسخ " ^(٣) .

(١) الكتاب المقدس في الميزان/ عبدالسلام محمد ص ١٠٧-١١١ .

(٢) سفر التكوين (٣ : ٣١) .

(٣) إظهار الحق رحمت الله الهندي ج ١ ص ٣٦٩-٣٧٠ .

رابعاً : شهادة أنبيائهم بتحريفهم لكلام الله

١- داود عليه السلام

وكاتب المزامير ينسب إلى داود عليه السلام قوله :

[٤ . . . ماذا يصنعه بي البشر اليوم كله يحرفون كلامي] (١) .

٢- إشعياء

وأعترف أشعياء (النبي عندهم) بأن اليهود يحرفون كلام الله في قوله : [ويل للذين يتعمقون ليكنتموا رأيهم عن الرب فتصير أعمالهم في الظلمة فيقولون من يبصرنا ومن يعرفنا ١٦ يا لتحريفكم] أشعياء (٢) .

٣- إرميا

وكاتب سفر إرميا ينسب لإرميا توبيخه لليهود : [٣٦ أما وحي الرب فلا تذكره بعد لان كلمة كل إنسان تكون وحيه إذ قد حرفتم كلام الإله الحي رب الجنود إلهنا] (٣) ، وأمثلة ذلك كثيرة فكتابهم المقدس وهي أمثله واضحة لا تحتاج إلى تعليق فالتحريف ثابت من عهد موسى عليه السلام فكيف بمن أتى بعده من الأنبياء عليهم السلام (٤) .

ثالثاً : التحريف المعنوي

١- جاء في التوراة : [١٥ يقيم لك الرب إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلي له تسمعون ١٨ أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيهم به] (٥) ، فتأولوا هذا النص وحرفوا تأويله فقالوا : هذه بشارة نبي من بني إسرائيل وبذلك جعلوا كلمة (إخوتهم) بمعنى منهم أي من بني إسرائيل أو أن هذا بشارة بني يبعث آخر الزمان ولكن حتى الآن لم يظهر هذا النبي وقد يكون المراد من النص الاستفهام الإنكاري ، كما يقول ابن القيم في كتابه هداية الحيارى (٦) .

(١) سفر المزامير (٥٦ : ٤-٥) .

(٢) سفر أشعياء (٢٩ : ١٥-١٦) .

(٣) سفر إرميا (٢٣ : ٣٦) .

(٤) الكتاب المقدس في الميزان : عبد السلام محمد ص ١١٠ .

(٥) سفر التثنية (١٨ : ١٥ و ١٨) .

(٦) هداية الحيارى لابن القيم ص ٨٧ .

أما اليهود فلهم في فهم هذا النص ثلاث طرق :

إحداها: أنه على حذف أداة الاستفهام والتقدير : أأقيم لبني إسرائيل نبيا من إخوتهم ؟ أي لا أفعل هذا ، فهو استفهام إنكاري حذفت منه أداة الاستفهام .

الثانية : أنه أخبر ووعد ولكن المراد به شمويل النبي فإنه من بني إسرائيل والبشارة إنما وقعت بنبي من إخوتهم وإخوة القوم هم بنو أبيهم وهو بنو إسرائيل .

الثالثة : أنه نبي يبعثه الله في آخر الزمان يقيم به ملك اليهود ويعلو به شأنهم وهم ينتظرونه إلى الآن . ولكن هذا التأويل بعيد عن الحقيقة وتحريف مفتعل من أجل أن يجعلوا النبوة منهم فقط .

دون بني إسماعيل بن إبراهيم - عليهما السلام - ولو كان الله يريد أن يكون هذا النبي من بني إسرائيل لقال (من أنفسهم) لأن كلمة الإخوة تستعمل في التوراة على الجماعة التي

من غير بني إسرائيل كما ورد في سفر التثنية : [أنتم مارون بتخم إخوتكم بني عيسو الساكنين في سعي . .] ^(١) ، فإذا كان بنو العيص إخوة لبني إسرائيل والروم هم بنو العيص فكذلك بنو إسماعيل إخوة لجميع ولد إبراهيم ^(٢) .

٢- ذكر في التوراة : [جاء الرب من سينا وأشرق لهم من سعي وتلألأ من جبل فاران وأتي من ربوات القدس وعن يمينه نار وشريعة لهم] ^(٣) عمد الأحبار إلى كلمة (فاران) التي هي جبل مكة وحملوها على جبال الشام وذلك صرفا لمحيء نبي من هذه الأرض .

والتوراة نفسها فيها الرد على هذا التحريف فقد جاء فيها أن :

إسماعيل أقام في بركة فاران وأنكحته أمه امرأة من أرض مصر ومعلوم أن إسماعيل كان مقيما بأرض مكة وكان يعيش على جبالها ففاران هي جبال مكة وليست جبال الشام ، [وسكن في بركة فاران وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر] ^(٤) .

(١) سفر التثنية (٤ : ٢) .

(٢) التوراة د. محمد شنيوي ص ١٠٠ - ١٠٢ وإغاثة اللهفان/ لابن القيم ج ٢ ص ٢٥٤ .

(٣) سفر التثنية (٢ : ٢٣) .

(٤) سفر التكوين (٢١ : ٢١) .

رابعاً : شهادة العلماء بتحريف الأسفار اليهودية

- ١- قرر ول ديورانت أنه لم يبق من شريعة موسى عليه السلام سوى الوصايا العشر^(١) .
- ٢- قال آدموند جاكوب : كان الكتاب المقدس قبل أن يكون مجموعة أسفار تراثاً شعبياً لا سند له إلا الذاكرة وهي العامل الوحيد الذي اعتمد عليه في نقل الأفكار . وكان هذا التراث يغنى به في مختلف المناسبات مثل أغاني الطعام والاحتفال بنهاية الحصاد وأناشيد العمل^(٢) .
- ٣- قال العالم الكاثوليكي جاميلز : اتفق أهل العلم على أن نسخة التوراة الأصلية وكذا نسخ كتب العهد القديم ضاعت في أيدي عسكري بخت نصر ولما ظهرت نقولها بواسطة عزرا - على فرض أنها موحى بها من الله لعزرا - ضاعت تلك النقول أيضاً في حادثة انيوخوس^(٣) وجاء في المجلد العاشر من دائرة المعارف (يا بني) أن الدكتور اسكندر كيدس وهو من المعتمدين لدى النصارى قال في مقدمة الكتاب المقدس ما يلي :

ثبت لي بظهور الأدلة الخفية ثلاثة أمور - جزماً :

- الأول : أن التوراة الموجودة ليست من تصنيف موسى عليه السلام
- الثاني : إنها كتبت في كنعان أو أورشليم ولم تكتب في عهد موسى حيث كان بنو إسرائيل في ذلك الوقت في الصحاري .

- الثالث : لا يثبت تأليفها قبل حكم داود ، ولا بعد زمان حزقيال بل انسب تأليفها إلى زمن سليمان " عليه السلام " أي قبل ألف سنة من ميلاد المسيح تقريباً^(٤) ، وبعد خمسة قرون من وفاة موسى عليه السلام .

(١) قصة الحضارة/ ول ديورانت ج ٢ ص ٢٧١ باختصار ، اليهودية أحمد شلبي ص ٢٥٧ الطبعة السابعة
(٢) القرآن والتوراة والإنجيل دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة سهلة لموريس بوكاي ص ١٧ باختصار دار الفتح للإعلام العربي القاهرة .
(٣) إظهار الحق/ الشيخ رحمت الله الهندي ج ١ ص ٢٢٩ .
* وهو آخر ملوك المكابيين وانتهى بقتله عام ٦٣ ق.م عهد المكابيين في اليهود بعد أن ظلوا في الحكم قرابة ١٣٠ سنة - انظر المجتمع اليهودي زكي شنودة ص ١٥٦ وما بعدها .
(٤) إظهار الحق/ الشيخ رحمت الله الهندي ج ١ ص ٦١ .

الخلاصة

أن التوراة التي بين أيدي أهل الكتاب اليوم ليست هي التوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام قطعا . إنما هي جمع وتلفيق عزرا وغيره إبان السبي البابلي وبعده ثم ألحقت بها أسفار خلفها كتاب مجهولون عاجلوا النصوص على سجيتهن وبسبب الظروف التي عاشوها والضرورات التي كان عليهم مواجهتها . دونوا التوراة ولم يقم دليل على عصمة عزرا ومن ساعده ولا على تلك الفصول التي جمعها من عين التوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام ولكن مما لا شك فيه أن بعض الوحي يختلط بتلك الكتابات وإن فيها بعض ما أنزل الله على موسى عليه السلام مثل النصوص التي تدل على الوحدانية ^(١) ، وتزيه الخالق ونحو ذلك والقرآن الكريم يخبرنا أنه كان من أهل الكتاب من قد عصمهم الله من زيغ العقيدة فأمنوا بما جاء في التوراة الصحيحة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام وأتيح لهم الاحتفاظ ببعض النقول الصحيحة عنها ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ ^(٢) ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقلوا آمنا بما أنزل إلينا وما أنزل إليكم وإلينا وإلهمكم واحد) ^(٣) ، يقول ابن حجر العسقلاني في تفسيره لهذا الحديث : أي إذا كان ما يخبرونكم به محتملا ، لئلا يكون في نفس الأمر صدقا فتكذبونه أو كذبا فتصدقونه فتقعوا في الحرج ولم يرد النهي عن تكذيبهم فيما ورد شرعا بخلافه ولا عن تصديقهم فيما ورد شرعا بوفاقه ^(٤) ، وعليه فلا بأس من أن ينكر أحد شيئا من أسفارهم إذا كان مصادما للبداهة أو يخالف للبراهين القطعية ولا سيما إذا خالف نصا ثابتا فإنكاره واجب ^(٥) والله أعلم .

(١) انظر سفر الخروج (٢٠: ٤) فيه دليل على التوحيد الخالص رغم التحريف الواضح.

(٢) سورة آل عمران آية ١٩٩ .

(٣) صحيح البخاري ج ٩ ص ١٩٣ وج ٣ ص ٢٥ بيروت دار إحياء التراث العربي بدون تاريخ .

(٤) فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٨ ص ١٧٠ .

(٥) مجموع فتاوي ابن تيمية ج ١٣ ص ٣٤٥ و إظهار الحق/ لرحمت الله الهندي ج ١ ص ٢٢٩ .

٤- القرآن الكريم

١- تعريف القرآن الكريم

٢- تدوين القرآن الكريم

٣- حفظ القرآن الكريم

أولا : تعريف القرآن الكريم

لغة : لفظ (قرآن) يختلف فيه العلماء من جهة الاشتقاق أو عدمه ، ومن جهة كونه مهموزا ، أو غير مهموز ، ومن جهة كونه مصدرا أو وصفا ^(١) ، على أقوال نجملها فيما يلي :

أما القائلون بأنه مهموز فقد اختلفوا على رأيين :

الأول : قال جماعة منهم اللحياني القرآن : مصدر قرأ بمعنى تلا كالرجاء والغفران سمي به المقروء

تسمية للمفعول بالمصدر وهو ارجح الأقوال فالقرآن لغة مصدر مرادف للقراءة ومنه قوله

تعالى : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ ^(٢) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ^(٣) ، أي قراءته ،

وقول حسان بن ثابت يرثي ذا النورين عثمان رضي الله عنه :

ضحوا بأشبط عنوان السجود به . . . يقطع الليل تسيحا وقرآنا

— أي قراءة —

الثاني : قال جماعة منهم الزجاج : إنه وصف على فعلا مشتق من القراء بمعنى الجمع . يقلل في

اللغة " قرأت الماء في الحوض " أي جمعته ثم سمي به الكلام المنزل على النبي صلى الله عليه

وسلم لجمع السور والآيات فيه أو القصص والأوامر والنواهي أو لجمعه ثمرات الكتب

السابقة .

وهو على هذين الرأيين مهموز فإذا تركت الهمزة فذلك للتخفيف ونقل حركتها إلى الساكن قبلها

والألف واللام فيه ليست للتعريف وإنما للمح الأصل فيه ^(٤) .

والقائلون بأنه غير مهموز اختلفوا في أصل اشتقاقه :

١ - فقال قوم منهم الأشعري : هو مشتق من قرنت الشيء بالشيء إذا ضمنت أحدهما إلى

الأخرى وسمي به " القرآن " لقران السور والآيات والحروف فيه .

٢ - وقال الفراء : هو مشتق من القرائن لان الآيات فيه يصدق بعضها بعضها ويشابه بعضها

بعضا وهي قرائن أي أشباه ونظائر .

وعلى هذين القولين فنونه أصلية ، بخلاف القولين الأولين

(١) المدخل لدراسة القرآن الكريم د. محمد محمد أبو شهبه الطبعة الثالثة دار اللواء للنشر ص ١٧ وما بعدها .

(٢) سورة القيامة آية ١٨ و ١٧ .

(٣) الإنتقان في علوم القرآن للسيوطي ج ١ ص ٨٧ ومباحث في علوم القرآن/ لصبحي الصالح ص ١٩ الطبعة الثامنة دار العلم للملايين

بيروت.

الرأي الثالث :-

وهو أنه اسم علم غير منقول وضع أول الأمر علما على الكلام المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم وهو غير مهموز .

وهذا القول مروي عن الإمام الشافعي ذكر في تاريخ بغداد للخطيب القرآن عند الشافعي " لم يؤخذ من قرأت ، ولو أخذ من قرأت لكان كل ما قرئ قرآنا ولكنه اسم للقرآن مثل التوراة والإنجيل" (١) .

القرآن اصطلاحا

هو كلام الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم المعجز بلفظه المتعبد بتلاوته المنقول بالتواتر، المكتوب في المصاحف من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس .

قيود التعريف :

بقولنا (المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم) خرج المنزل على غيره من الأنبياء عليهم السلام كالنوراة والإنجيل والزبور والصحف - (والمعجز بلفظه المتعبد بتلاوته) - خرجت الأحاديث القدسية - المنقولة بالتواتر وخرج جميع ما سوى القرآن المتواتر من منسوخ التلاوة والقراءات غير المتواترة سواء نقلت بطريق الشهرة كقراءة (ابن مسعود) في قوله تعالى في كفارة الإيمان (فصيام ثلاثة أيام) بزيادة (متتابعات) أو بطريق الآحاد مثل قراءه ﴿ مُتَكَيِّنَ عَلَى خُضْرٍ رَفْرَفٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴾ بالجمع فإنها ليست قرآنا ولا تأخذ حكمه (٢) .

نزول القرآن

للقرآن الكريم وجودات ثلاثة :

- ١- وجوده في اللوح المحفوظ .
 - ٢- وجوده في السماء الدنيا .
 - ٣- وجوده في الأرض بتزوله على النبي صلى الله عليه وسلم .
- ولم يقترن لفظ النزول إلا بالوجودين الثاني والثالث .

(١) تاريخ بغداد / للخطيب ج ٢ ص ٦٢ .
(٢) مباحث في علوم القرآن/ صبحي الصالح ص ١٨ الطبعة الثامنة دار العلم للملايين .

قال تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢﴾ ﴾^(١)، واللوح المحفوظ هو السجل العام الذي كتب الله فيه في الأزل كل ما كان وكل ما يكون .

أما نزول القرآن من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا فقد ذكر السيوطي في الإتقان عن القرطبي انه حكى الإجماع على أن القرآن نزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا .
الترول الثاني مفرقا وقد نزل به جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم منجما على حسب الوقائع والحوادث وحاجات الناس ومراعاة للظروف والملابسات واستمر نزول القرآن الكريم ثلاثا وعشرين سنة تقريبا (٢)

ثانيا : تدوين القرآن

مر جمع القرآن الكريم بثلاث مراحل هي :

- ١- جمعه في عهد النبي صلى الله عليه وسلم .
- ٢- جمعه في عهد الخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه .
- ٣- جمعه في عهد الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه .

وفيما يلي بيان توضيحي للمراحل الثلاث :

المرحلة الأولى :

كان للنبي صلى الله عليه وسلم كتاب يكتبون الوحي منهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وأبان بن سعيد وخالد بن الوليد ومعاوية بن أبي سفيان وزيد بن ثابت وأبي بن كعب وغيرهم .
فكان إذا نزل على النبي صلى الله عليه وسلم من الوحي شيء دعا بعض من يكتب فيأمره بكتابة ما نزل وإرشاده إلى موضعه وكيفية كتابته على حسب ما كان يرشده إليه أمين الوحي جبريل عليه السلام . ولم تكن أدوات الكتابة ميسرة في ذلك الوقت فلذلك كانوا يكتبونه على حسب ما تيسر لهم في الرقاع والعصب والأكتاف واللخاف والأقتاب^(٣)، ونحوها وقد كان القرآن كله مكتوبا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وان كان مفرقا^(٤) .

أما الصحابة رضي الله عنهم - فقد كان بعضهم لا يكتب القرآن اعتمادا على الحفظ وسيلان الأذهان كما هو شأن العرب في حفظ شعرها ونثرها وأنسابها .

(١) سورة البروج آية ٢١، ٢٢

(٢) المدخل لدراسة القرآن الكريم أبو شهبه من ٤٩-٥٦ باختصار .

(٣) الرقاع : من جلد أو قماش / العصب : طرف الجريد / الأكتاف : أكتاف الحيوان كالإبل والبقرة / اللخاف : الحجارة الرقيقة / الأقتاب : الخشب .

(٤) المدخل لدراسة القرآن د. أبو شهبه ص ٢٧ .

المرحلة الثانية :

جمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه

لما تولى أبو بكر الصديق رضي الله عنه الخلافة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أول عمل قام به محاربة أهل الردة والقضاء على هذه الفتنة وبذلك أقام عمود الإسلام وثبت دعائمه ، ولما وقعت موقعة اليمامة سنة اثني عشرة للهجرة استحر (كثر) القتل في الصحابة رضي الله عنهم ومات من حفاظ القرآن الكريم خلق كثير قيل خمسمائة وقيل سبعمائة ، فخشي الفاروق عمر رضي الله عنه - الذي جعل الله الحق على لسانه وقلبه - أن يكثر القتل في القراء في بقية المواطن وربما كان عندهم شيء من القرآن فيضيع بموتهم فأشار على أبي بكر الصديق أن يجمع القرآن في مكان واحد ، وصحف مجموعة بدلا من وجوده مفرقا في العصب والرقاع .

فتردد أبو بكر رضي الله عنه في أول الأمر ولكن لم يزل به الفاروق رضي الله عنه حتى وافق وثبت عنده أن جمع القرآن ليس من المحدثات ، وإن قواعد الدين والشرعية تدعو إليه فأرسل الصديق رضي الله عنه إلى زيد بن ثابت رضي الله عنه وندبه للقيام بهذا العمل الجليل ، فراجعهما ولم يزل به حتى ظهر له الحق واستبان له الرشد وعلم أن الحق فيما أشارا به فجمعه بعد جهد جهيد (١) .

دستور أبي بكر رضي الله عنه في كتابة المصحف

انتهج زيد رضي الله عنه طريقة دقيقة محكمة وضعها له أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فيها ضمان لحياطة كتاب الله بما يليق به من تثبت بالغ وحذر دقيق وتحريات شاملة فلم يكتف بما حفظ قلبه ولا بما كتبت يده ولا بما سمع بأذنه بل جعل يتبع ويستقصي آخذا على نفسه أن يعتمد في جمعه على مصدرين اثنين هما :

١- ما كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢- ما كان محفوظا في صدور الرجال .

وبلغ من مبالغته في الحيلة والحذر أنه لم يقبل شيئا من المكتوب حتى يشهد شاهدان عدلان أنه كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد حفظ المصحف في عهد أبي بكر رضي الله عنه ثم حفظه عمر بعده رضي الله عنه ثم حفظته أم المؤمنين حفصة بنت عمر رضي الله عنهما بعد وفاة عمر حتى طلبه منها خليفة المسلمين عثمان بن عفان رضي الله عنه حيث اعتمد عليه في استنساخ مصاحف القرآن ثم رده إليها (٢) .

(١) المدخل د. أبو شهبة ص ٢٦٩ - ٢٧١ باختصار .

(٢) مناهل العرفان للزرقاني ج ٢ ص ٦٢ .

المرحلة الثالثة :

جمع القرآن في عهد عثمان رضي الله عنه

لما كان عهد عثمان رضي الله عنه وتفرق الصحابة في البلدان وحمل كل منهم من القراءات ما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد يكون عند أحدهم من القراءات ما ليس عند غيره اختلف الناس في القراءات وصار كل قارئ ينتصر لقراءته ، فقد روى البخاري عن انس أن حذيفة ابن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق ، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال لعثمان : أدرك الأمة قبل أن يختلفوا في اختلاف اليهود والنصارى فأرسل إلى حفصة أن أرسلني إلينا الصحف لنسخها في المصاحف ثم نردها إليك ، فأرسلت بها حفصة إليه فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين ثلاثة : إذا اختلفتم انتم وزيد في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنه إنما أنزل بلسانهم ، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة رضي الله عنها ، وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق .

وقد امتاز الجمع في عهد عثمان رضي الله عنه بما يلي :

- ١- الاختصار فيه على حرف واحد وهو حرف قريش .
- ٢- الاختصار فيه على ما ثبت بالتواتر وما استقر عليه الأمر في العرضة الأخيرة .
- ٣- ترتيب آياته وسوره .
- ٤- تجريده من النقط والشكل ومن كل ما ليس بقرآن^(١) .

عدد المصاحف العثمانية :

اختلف في عدد المصاحف التي كتبت في عهد عثمان رضي الله عنه فقليل ستة وقيل أكثر وأرسل سيدنا عثمان رضي الله عنه مع هذه المصاحف من يقرئ المسلمين بما فيها فأمر زيد بن ثابت أن يقرئ بالمدني - وبعث عبد الله بن السائب مع المكّي - والمغيرة بن شهاب المخزومي مع الشامي - وأبا عبد الرحمن السلمي مع الكوفي - وعامر بن قيس مع البصري وهكذا وقد أجمع أهل كل مصر على ما في مصاحفهم وترك ماعداه وبذلك زال الخلاف بين القراء وتوحدت كلمة الأمة^(٢) .

(١) المدخل د. أبو شهبه ص ٢٧٨-٢٧٩ .

(٢) المرجع السابق ص ٢٨٠ .

ثم استمر تحسين الرسم القرآني بتدرج جيلا فجيل حتى بلغ ذروة الجمال في نهاية القرن الثالث الهجري فأضيفت إليه النقاط والشكل والألف الممدودة وغيره^(١) ، وظهر القرآن مطبوعا للمرة الأولى في البندقية في حدود سنة ١٥٣٠م ولكن السلطات الكنيسية أصدرت أمرا بإعدامه حال ظهوره .

ثم ظهرت أول طباعة إسلامية خالصة للقرآن في سانت ترسبورغ بروسيا سنة ١٧٨٧م . وأقدم نسخة من المصحف الشريف الذي كتب في عهد الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه هو أول نسخة من القرآن وتوجد في دار الكتب المصرية في مصر الإسلامية في القاهرة .

وتوجد كذلك نسخة من هذا المصحف في تركيا استنبول ، وبذلك نعلم أن القرآن الكريم متواتر بسوره وآياته وألفاظه فقد تلقاه المسلمون جيلا بعد جيل وعلمه الآباء للأبناء وعكفوا عليه بالتلاوة والترتيل والحفظ .

والحفظ والتفسير والطباعة والنشر قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾^(٢) .

(١) مباحث في علوم القرآن صبحي الصالح ص ٩٠-١٠٠ .
(٢) سورة الحجر آية ٩ .

ثالثاً : حفظ القرآن الكريم

إن الاعتماد على نقل الوحي بالحفظ في الصدور من أشرف الخصائص التي ميز الله بها هذه الأمة .
فالحفظ والنقل هو وسيلة جبريل عليه السلام من اللوح المحفوظ وهي وسيلة النبي محمد صلى الله عليه وسلم عن جبريل .

يقول الزرقاني : (قال المحقق ابن الجزري : ثم إن الاعتماد في نقل القرآن الكريم على حفظ القلوب والصدور لا على خط المصاحف والكتب)^(١) ، ففي الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (إن ربي قال لي : قم في قريش فأنذرهم فقلت له : أي رب ، إذن يثلغوا رأسي حتى يدعوه خبزة فقال : إني مبتليك ومبتل بك ، ومزل عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرؤه نائماً ويقظاناً ، فابعث جنداً أبعث مثلهم وقاتل بمن أطاعك من عصاك ، وأنفق أنفق عليك)^(٢) .

حفظه في صدر النبي صلى الله عليه وسلم :

قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾^(٣) ، فإذا كان النبي محمد صلى الله عليه وسلم أمياً والأمة التي بعث بها أمة أمية إذن فالوسيلة في النقل هي الحفظ لذا كانت همة الرسول صلى الله عليه وسلم عليه وسلم بادئ ذي بدء منصرفة إلى حفظه واستظهاره حتى كفّل الله تعالى حفظه في صدره صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ۚ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ۚ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۚ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ۚ ﴾^(٤) .

فالأمة العربية على عهد نزول القرآن الكريم كانت أمة أمية تتمتع بسرعة الحفظ وسيلان الأذهان حتى كانت قلوبهم أناجيلهم وعقولهم سجلات أنسابهم وأيامهم وحواظهم دواوين شعرهم ومفاخرهم ، حتى جاء القرآن فأخذ عليهم مشاعرهم بقوة بيانه فتسابقوا إلى حفظه في صدورهم امتثالاً لأمر الله بالقراءة والتلاوة والحفظ والترتيل :

١ - قال تعالى : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾^(٥) ، هذا أمر بالقراءة

٢ - وقال تعالى : ﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ

دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾^(٦) ، وهذا أمر بالتلاوة

(١) مناهل العرفان/ للزرقاني ج ١ ص ٢٤٢ .
(٢) رواه مسلم في كتابه الجنة باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار ج ٤ ص ١٦ طبعة الحلبي ، تحقيق / محمد فؤاد عبد الباقي .

(٣) سورة الجمعة آية (٢) .

(٤) سورة القيامة آيتا (١٦-١٩) .

(٥) سورة العلق آية (١) .

(٦) سورة الكهف آية ٢٧ .

٣- وقال تعالى ﴿أَوْزِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾^(١) ، وهذا أمر بالترتيل .

فالنبي صلى الله عليه وسلم كان جامعا للقرآن في قلبه وكان يقرؤه على أصحابه ويحيى به الليل وكان جبريل عليه السلام يعارضه به في كل عام مرة وعارضه في العام الأخير من عمره مرتين ، روت عائشة عن فاطمة رضي الله عنهما أسر إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة وإنه عارضني العام مرتين ، ولا أراه إلا حضر أجلي)^(٢) .
وكتاب الوحي يكتبون بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعرضون ما كتبوا عليه بترتيب السور والآيات والحروف فجبريل عليه السلام كان يعارضه كل عام بما أوحى إليه مرتبا في أماكنه التي هي عليه اليوم .

حفظه في صدور الصحابة :

كان حفاظ القرآن الكريم من المهاجرين في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم جما غفيرا منهم (الخلفاء الأربعة - وطلحة وسعد وابن مسعود وحذيفة وابن عباس وأبو هريرة وعائشة وحفصة وأم سلمة وغيرهم كثيرون) .

وحفظ القرآن الكريم من الأنصار في حياته صلى الله عليه وسلم كثيرون منهم (أبي بن كعب - معاذ بن جبريل - وزيد بن ثابت - وأبو الدرداء وأنس بن مالك وغيرهم . .)

واشتهر سبعة من الصحابة بإقراء القرآن هم :

(عثمان ، وعلي وأبي بن كعب وأبو الدرداء وزيد بن ثابت وعبدالله بن مسعود وأبو موسى الأشعري) رضي الله عنهم أجمعين .

وعن عبدالله بن مسعود قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (خذوا القرآن من أربعة من عبدالله بن مسعود وسالم ومعاذ وأبي بن كعب) .

وقال أبي بن كعب (أخذته من في رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٣) ، وهؤلاء الصحابة الكرام هم من جمع القرآن الكريم بعد ما عكفوا عليه بالتلاوة والحفظ والترتيل والتفسير والتدوين ، قال تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(٤) .

(١) سورة المزمل آية (٤) .

(٢) رواه البخاري في كتاب فضائل القرآن انظر فتح الباري ج ٩ ص ٣٥ .

(٣) انظر صحيح البخاري ج ٣ ص ١٦٣ .

(٤) سورة الحجر آية (٩) .

فنقل المسلمين أصح من نقل غيرهم لوجوه هي :

- ١ - أن العلم والتأليف والرواية معروفة لديهم من القرآن الكريم الأول إلى الآن .
 - ٢ - أنه لم يغلب عليهم عدو حرق كتبهم وطمس معالم الثقة بدينهم وتاريخهم .
 - ٣ - أنهم هم الذين اخترعوا وضع التاريخ للرجال من أجل معرفة صحة الرواية من عدمها ولم يكن لليهود ولا النصارى مثل هذه المزايا ^(١) .
- فالقرآن الكريم الذي بين أيدينا اليوم هو نفس القرآن الكريم الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم إلى العالم ، إذ ليس في تاريخ الإنسانية شيء أصح وأصدق من كتاب الله كيف لا والذي تكفل بحفظه خالق السموات والأرض سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ^(٢) .

(١) شبهات النصارى وحجج الإسلام / رشيد رضا ص ١٠ .
(٢) سورة الحجر آية ٩ .

الفصل الأول

نبوة داود عليه السلام - ومعجزاته

المبحث الأول

(الظروف الدينية والتاريخية لبني إسرائيل
قبل مبعث داود وسليمان عليهما السلام)

- عقيدة اليهود
- تاريخ بني إسرائيل
- نسب داود وسليمان عليهما السلام

المبحث الثاني (حياة داود عليه السلام)

- داود عليه السلام
- نبوة داود عليه السلام
- حياة داود عليه السلام

المبحث الثالث (الأسفار المنسوبة لداود عليه السلام)

- تعريف المزامير
- أقسامها
- مؤلفوها
- استعمالاتها
- تعريف الزبور
- موقف المسلم من الزبور والمزامير

المبحث الأول

(الظروف الدينية والتاريخية لبني إسرائيل
قبل مبعث داود وسليمان عليهما السلام)

- عقيدة اليهود

- تاريخ بني إسرائيل

- نسب داود وسليمان عليهما السلام

عقيدة اليهود

تمهيد

الرب في التوراة يتخذ صوراً كثيرةً ووجوهاً مختلفة عبر مسار التاريخ - في التوراة - ولكن كل هذه الوجوه تتفق في شئ واحد هو تجسيمهم لذلك الإله.

فقد عبدوا الأرواح والأحجار والأغنام والأشجار وعبدوا العجل الذهب الذي صنعوا على عهد موسى رسول الله حين تأخر عن العودة إليهم من جبل الطور في سيناء وبقيت عبادة العجل تتجدد في حياة بني إسرائيل من وقت إلى آخر ، فقد عمل يربعام ^(١) ، الملك عجلي ذهب ليعبدهما أتباعه حتى لا يذهبوا إلى الهيكل ، كما عبد أهاب ملك إسرائيل الأبقار بعد وفاة سليمان بقرن واحد ^(٢) وكان إله إسرائيل في البداية إله إبراهيم عليه السلام الذي اختص به هو وإسحاق ويعقوب الإله الواحد الخالق كما جاء في التوراة : [وقال مبارك أبرام من الله العلي مالك السماوات والأرض ومبارك الله العلي الذي أسلم أعداءك في يدك فقال أبرام لملك سدوم رفعت يدي إلى الرب الإله العلي مالك السماء والأرض لا آخذن لا خيطاً ولا شراك نعل ولا من كل ما هو لك] ^(٣) .

واله إبراهيم هو إيل وهو رب يعقوب وإسماعيل . إبراهيم عليه السلام هو خليل أي (خل إيل) أي صاحب الإله . ويعقوب هو إسرائيل إسر : أي عبد إيل الله (عبد الله) . وإسماعيل أي سميع الله .

وبقي اسم إيل يتردد منذ إبراهيم ويعقوب حتى عهد موسى وهنا بدأ يعرف باسم آخر وهو أهيه فقال موسى : [١٣ هاأنا آتي إلى بني إسرائيل وأقول لهم إله آبائكم أرسلني إليكم فإذا قالوا لي ما اسمه فماذا أقول لهم ١٤ فقال الله لموسى : أهيه الذي أهيه وقال : هكذا تقول لبني إسرائيل أهيه أرسلني إليكم ١٥ وقال الله أيضاً لموسى : هكذا تقول لبني إسرائيل يهوه إله آبائكم إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب أرسلني إليكم هذا اسمي إلى الأبد...] ^(٤) .

وبروز الاسم الثاني للرب الذي هو يهوه في زمن موسى يعني أنه ليس رب إبراهيم وإسحاق ويعقوب الخالق العلي القدير وإنما هو يهوه بني إسرائيل.

(١) يربعام اسم عبري معناه (يكثر الشعب) وهو ابن ناباط من سبط أفرام وصروعة ولد في صردة في وادي الأردن وهو الملك الأول في المملكة الشمالية بعد انقسام مملكة سليمان عليه السلام في أيام رحبعام وملك ٢٢ سنة تقريباً كان يخدم في مملكة سليمان عليه السلام وأظهر ذكاء وفطنة وتنبأ له بني إسرائيل أن مملكة سليمان ستقسم وأنه سيصبح ملكاً على عشرة أسباط فلما علم سليمان بالامر طلب قتله فهرب إلى مصر وبقي إلى بعد موت سليمان ثم تولى على الأسباط العشرة في المملكة الشمالية وأمرهم بعبادة عجلين من ذهب ومجد كذلك آلهة أخرى وخلفه ابنه ناداب ودامت الحروب على فترات متقطعة بين يهوذا والأسباط كل مدة حياة يربعام . راجع قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٥٩-١٠٦٠ .

(٢) قصة الحضارة ول ديورانت ج، ص ٢٣٨ بتصرف واختصار .

(٣) سفر التكوين (١٤ : ١٣) .

(٤) سفر الخروج (٣ : ١٢-١٥) وانظر مفصل العرب في التاريخ أحمد سوسة ص ٤٩٣ باختصار .

ويبدأ دور يهوه منذ عهد موسى ربا لإسرائيل ولكنه رب بشري غريب فيه من الصفات ما تجعله ليس مرشدا وهاديا وإنما تجعله يمثل انعكاسا لصفاتهم واتجاهاتهم^(١) .
كما تحتوي عقيد اليهود المحرفة على تطاول خطير على الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر
كما سنفصله فيما يلي :

(١) مفصل العرب واليهود في التاريخ / أحمد سوسة ص ٤٩٣ باختصار .

أولاً : عقيدة اليهود من أسفارهم

إن الباحث عن عقيدة اليهود في الله منذ نشأتهم يدرك أن القوم ما عرفوا الله طوال تاريخهم إلا في فترات نادرة^(١) ، وتعد كثرة أنبيائهم دليلاً على تجدد الشرك فيهم وبالتالي تجدد الحاجة إلى أنبياء يجددون الدعوة إلى التوحيد لأنهم كانوا يميلون إلى تعدد الآلهة تارة وإلى تقليد معبودات الأمم المجاورة تارة أخرى وإلى الاعتقاد بالأرواح الشريرة فعبدوا الأشجار والأحجار^(٢) ، والأغنام ثم خصصوا الآلهة بإله خاص بهم فقط إله بني إسرائيل ولم يسلم هذا الإله من التجسيم والغضب والندم والتعب والحقد والنفعية وحب الشواء والمخارق^(٣) ، ولذلك كثر المشككون في كون اليهود موحدين منذ نشأتهم مثل البروفيسور رفكن والعالم اليهودي سيجموند فرويد الذي قال بتطور الاعتقاد عند اليهود من التعدد إلى الوحدة^(٤) ، والمسلمون لا يوافقونهم فيما ذهبوا إليه لأن جميع الرسل جاءوا برسالة التوحيد .

فالدارس الفاحص للتوراة تجعله يعتقد أن دين اليهود الذي يمارسونه دين عجيب لا يرتبط بقيم أو أخلاق، وإلههم إله عجيب، إله جاهل حيناً وعالم حيناً آخر إله ضعيف تارة وجبار تارة أخرى. إله يفضل سكنى البيوت على سكنى السحاب... إله متعطش لسفك الدماء وحرقت شحومها لأن رائحة الشحوم المحروقة تبعث في نفسه السرور والبهجة ، إله جشع يحب للذهب إلى حد بعيد . أما قاموس الكتاب المقدس فيصف الديانة اليهودية بأنها تقوم على حقيقة عبادة الله الإله الواحد القدوس خالق الكل العارف بكل شيء والحاضر في كل مكان والقادر على كل شيء والأزلي الرحيم الرؤوف^(٥) .

وتقوم عبادة الله الروحية بدون معونة التماثيل المعدنية أو الخشبية أو الحجرية وتنتهي عن عبادة الأوثان وتعاقب كل من يعبد الأوثان عقاباً صارماً وفيها تشريعات اجتماعية وأدبية وإدارية^(٦) .

١ - واستدل مؤلفو قاموس الكتاب المقدس على ذلك بما جاء في أسفارهم : [في البدء خلق الله السموات والأرض]^(٧) ، وبذلك أثبت أن الله خالق كل شيء .

٢ - واستدل بقدرة الله تعالى : [من مثلك بين الآلهة يا رب من مثلك معتزاً في القداسة مخوفاً بالتسابيح صانعاً عجائب]^(٨) .

(١) الإسلام والأديان / د. مصطفى حلمي ص ١٧٦ بتصرف.

(٢) اليهودية / د. أحمد شلبي ص ١٨٦.

(٣) المنخل لدراسة التوراة / د. محمد البار ص ١٦ بتصرف.

(٤) التوراة تاريخها وغايتها / أنيب سهل ص ٧٩-٨٠ بتصرف و الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم / د. محمد البار ص ١٣-١٤.

(٥) حوارات الرسول صلى الله عليه وسلم مع اليهود / د. محمد بيومي ص ١٤ مكتبة الإيمان الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

(٦) قاموس الكتاب المقدس ص ٥٩٨ .

(٧) سفر التكوين (١ : ١) .

(٨) سفر الخروج (١٥ : ١١) .

٣- واستدل على أنه رحيم رؤوف: [فاجتاز الرب قدامه ونادى الرب الرب إله رحيم ورؤوف بطي الغضب وكثير الإحسان والوفاء حافظ الإحسان إلى ألاف غافر الإثم والمعصية والخطيئة ..]^(١)
 ٤- وأنه الأول لا شيء قبله بقوله : [٢ من قبل أن تولد الجبال أو أبدأت الأرض والمسكونة منذ الأزل إلى الأبد أنت الله. ٣ ترجع الإنسان إلى الغبار وتقول ارجعوا يا بني آدم ٤ لأن ألف سنة* في عينك مثل يوم أمس...]^(٢) .

٥- واستدل على عقاب الرب لمن يعبد الأوثان: [فضرب الرب الشعب لأنهم صنعوا العجل]^(٣) .

وأنا لا أوافق قاموس الكتاب المقدس فيما ذهب إليه فهناك صفات حسية للرب إلههم وردت في الأسفار اليهودية تصور اضطراب فكرة التوحيد عندهم وتحريفها بصورة واضحة ومنها :

١- التعب :

جاء في أسفارهم قولهم : [٢ وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله ٣ وبارك الله اليوم السابع وقدمه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقاً]^(٤) .

٢- الندم والحزن والنسيان :

تصور التوراة المحرفة الرب سبحانه وتعالى بأنه كثير الندم فعندما ابتداء أبناء الله (أي أبناء آدم وحواء يتزوجون بنات الناس) أي بنات آدم من زناه بالشيطانة ليليت وبنات حواء من زناها مع جمهوره من الشياطين - كما يزعمون - غضب الرب جداً لاختلاط الأنساب وقرر أن روحه لا تبقى في الإنسان كما قرر أن يبيد الأرض بمن عليها وندم انه عمل الإنسان خالقاً !!!^(٥) .

فقد ذكرت أسفارهم : [١ وحدث لما ابتداء الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا، ٢ فقال الرب لا يدين روحي في الإنسان إلى الأبد. لزيغانه هو بشر وتكون أيامه مئة وعشرين سنة]^(٦) .

(١) سفر الخروج (٣٤ : ٦ - ٧) .

(٢) سفر المزامير (٩٠ : ٢ - ٤) .

(٣) سفر الخروج (٣٢ : ٣٥) .

(٤) سفر التكوين (٢ : ٢ - ٣) .

(٥) قصة الخير والشر مأخوذة من الحضارات المجاورة للديانة اليهودية في ذلك الوقت راجع كتاب المنخل لدراسة العهد القديم د. البار ص ٢٠ ، وكذلك الديانة اليهودية لعرفان فتاح والعنصرية اليهودية/ للزغبى ج ١ ص ٣٥ .

(٦) سفر التكوين (٦ : ١ - ٢) .

* هذه بقايا من العقيدة الصحيحة التي جاء بها موسى عليه السلام وهي توافق قوله تعالى: ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾

[٥ ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض . . . ٦ فحزن الرب انه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه ٧ فقال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقتة مع بهائم وذبابات وطيور السماء لأني حزنت أنى عملتهم] (١) وبعد أن محا الحياة من على وجه الأرض بالطوفان ما عدا نوح عليه السلام ندم الرب أيضاً [٢١ وقال الرب في قلبه لا أعود العن الأرض أيضاً من أجل الإنسان لأن تصور قلب الإنسان شرير منذ حدثته ولا أعود أيضاً أميت كل حي كما فعلت] (٢) ، فكيف يصفه صاحب الكتاب المقدس بأنه بطيء الغضب ورؤوف رحيم وحتى لا ينسى الله عهده مع نوح بالا يغرق الأرض مرة أخرى تزعم التوراة المحرفة انه وضع قوسه في السحاب فعندما يرى المطر هاطلاً يضع قوس قزح فيذكر انه عقد عقداً مع نوح ألا يغرق الأرض فيكيف المطر !!

[١٣ وضعت قوسي في السحاب فتكون علامة ميثاق بيني وبين الأرض ١٤ فيكون متى انشر سحاباً على الأرض وتظهر القوس في السحاب ١٥ أنى اذكر ميثاقي الذي بيني وبينكم وبين كل نفس حيه في كل جسد فلا تكون أيضاً المياه طوفاناً لتهلك كل ذي جسد، ١٦ فمتى كانت القوس في السحاب أبصرها لأذكر ميثاقاً أبدياً بين الله وبين كل نفس حيه في كل جسد على الأرض ١٧ وقال الله لنوح هذه علامة الميثاق الذي أنا أقمته بيني وبين كل ذي جسد على الأرض] (٣) .

ورغم انهم يقرون أن الله قد ندم في مواضع كثيرة من التوراة المحرفة مثل : [وكان كلام الرب إلى صموئيل قائلاً: ١١ ندمت على أنى قد جعلت شاوول ملكاً لأنه رجع من ورائي ولم يقم كلامي . فاغتاظ صموئيل وصرخ إلى الرب الليل كله] (٤) .

[وبسط الملاك يده على اورشليم ليهلكها فندم الرب عن الشر وقال للملاك المهلك الشعب: كفى الآن رد يدك] (٥) .

وفي وسط هذا الركام الهائل من التحريف نجد كلاماً مهماً : [ليس الله إنساناً فيكذب ولا ابن إنسان فيندم . هل يقول ولا يفعل أو يتكلم ولا يفى] (٦) .

وهو كلام يدل على انه من بقايا التوراة الحقيقية وسط هذا الركام الفظيع الذي وضعه أحبار بني إسرائيل حتى غطوا على هذه الجواهر المضيئة.

(١) سفر التكوين (٦ : ٥ - ٦)

(٢) سفر التكوين (٨ : ٢١ - ٢٢) .

(٣) سفر التكوين (٩ : ١٢ - ١٧) .

(٤) سفر صموئيل الأول (١٥ : ١٠ - ١١) .

(٥) سفر صموئيل الثاني (٢٤ : ١٦) .

(٦) سفر العدد (٢٣ : ١٩) .

• وتزعم أسفارهم المحرفة رؤية الرب في الدنيا:

الرب في التوراة متجسد على هيئة بشر ولذا يمكن رؤيته في الدنيا ويصف أشعيا الرب بعد أن رآه قائلاً: [١ في سنة وفاة عزيا الملك رأيت السيد جالساً على كرسي عال مرتفع وأذياله تملأ الهيكل ٢ السرافيم واقفون فوقه لكل واحد ستة أجنحة بائنين يغطي وجهه وبائنين يغطي رجليه وبائنين يطير ٣ وهذا نادى ذاك وقال قدوس قدوس قدوس رب الجنود ومجده ملء كل الأرض] (١) .

وليس إشعيا وحده هو الذي رأى الرب فآدم وابنه القاتل قابيل و نوح وإبراهيم وإسحاق ويعقوب صارعه أيضاً وكل الأنبياء وموسى والسبعين من مشايخ إسرائيل فقد جاء في أسفارهم [ثم صعد موسى هارون وناداب أبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل ١٠ ورأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف، وكذات السماء في النقاوة ١١ ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بني إسرائيل فرأوا الله وأكلوا وشربوا] (٢) .

• وتزعم أن الله يسير أمام بني إسرائيل ليلاً ونهاراً حتى لا يضلوا الطريق

جاء في أسفارهم: [٢٠ وارتحلوا من سكوت ونزلوا في إيثام في طرف البرية وكان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود سحب ليهديهم في الطريق وليلاً في عمود نار ليضي لهم لكي يمشوا نهاراً وليلاً. ٢٢ لم يبرح عمود السحاب نهاراً وعمود النار ليلاً من أمام الشعب] (٣) .

• الرب يصارع يعقوب حسب زعمهم :

جاء في التوراة المحرفة قولهم: [٢٤ فبقي يعقوب وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر ٢٥ ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذته فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعه معه ٢٦ وقال أطلقني لأنه قد طلع الفجر فقال: لا أطلقك إن لم تباركني ٢٧ فقال له ما اسمك؟ فقال: يعقوب. ٢٨ فقال: لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل لأنك جاهدت مع الله و الناس وقدرت ... ٢٩ وسأل يعقوب وقال أخبرني باسمك؟ فقال: لماذا تسأل عن اسمي؟ وباركه هناك. فدعا يعقوب اسم المكان فنيثيل قائلاً: لأني نظرت الله وجهاً لوجه ونجيت نفسي] (٤) . فأين ما يزعمونه أنه إله قادر على

كل شيء؟!

(١) سفر اشعيا (٦ : ١-٣) .
(٢) سفر الخروج (٢٤ : ٩-١١) .
(٣) سفر الخروج (١٣ : ٢٠-٢٢) .
(٤) سفر التكوين (٣٢ : ٢٣-٣٠) .

• الرب يسكن وسط بني إسرائيل :

يعتقد اليهود أن الرب أمر موسى وهارون ببناء خيمة الاجتماع ليسكن فيها ثم بعد ذلك أمر ببناء التابوت ليكون مقره وليكون على مقربة من أبنائه اليهود ويرعاهم و يدبر أمورهم وينصرهم على أعدائهم ويسمونه رب الجنود الجالس في التابوت ويأتي وصف التابوت والمسكن والخيمة على مدار (الإصحاح ٢٥-٣٠ من سفر الخروج) فالرب في التوراة إله محسوس ^(١) .

• الرب يطلب من بني إسرائيل أن يضعوا علامة الدم على بيوتهم حتى يعرفهم :

في سفر الخروج وهو يتكلم عن وقوع العذاب على المصريين في الليل : [فإني أجتاز في أرض مصر هذه الليلة وأضرب كل بكر في أرض مصر من الناس والبهائم وأصنع أحكاماً بكل آلهة المصريين أنا الرب ١٣] ويكون لكم الدم علامة على البيوت التي أنتم فيها فأرى الدم وأعبر عنكم فلا يكون عليكم ضربة للهلاك حين اضرب أرض مصر ^(٢) .

فالرب لا يعلم بل ويطلب من إسرائيل أن تعلمه و ترشده إلى بيوتهم كي لا يهلكهم !

• الرب عندهم يأمر بالسرقة !:

وقال الرب لموسى : [٢ تكلم في مسامع الشعب أن يطلب كل رجل من صاحبه و كل امرأة من صاحبها أمتعة فضة وأمتعة ذهب ٣ وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين] ^(٣) وتمكن بنو إسرائيل من أن يسرقوا أموال المصريين .. [وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى وطلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثياباً ٢٦ وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين حتى أعاروهم فسلبوا المصريين] ^(٤) .

• الرب يعشق الخارق واللحم المشوي حسب زعمهم :

[١٧] وتقدم داود وقال للرب ها أنا أخطأت وأنا أذنبت وأما هؤلاء الخراف فماذا فعلوا فلتكن يدك علىّ وعلى بيت أبي ١٨ فجاء جاد في ذلك اليوم إلى داود وقال له اصعد وأقم للرب مذبحاً في بيدر أرونة اليبوسي ١٩ فصعد داود حسب كلام جاد كما أمر الرب ٢٤ .. فاشتري داود

(١) يعلى ج. سميث هذا بأن شبه جزيرة سيناء منطقة بركانية يكثر فيها الدخان المنبعث عن البراكين ومن المحتمل أن يكون عمود السحاب الذي يتبعه بنو إسرائيل وظنوا إلههم يسير فيه ليس في الحقيقة إلا دخاناً متجمعاً من البراكين الذي دفعته الرياح إلى الأمام اليهودية د. أحمد شلبي ص ١٨٥ وسيأتي ذكره بالتفصيل إن شاء الله .

(٢) سفر الخروج (١٢ : ١٢-١٣) .

(٣) سفر الخروج (١١ : ٢-٣) .

(٤) سفر الخروج (١٢ : ٣٥-٣٦) .

البيدر والبقر . . ٢٥ وبني داود هناك مذبحاً للرب وأصعد محرقات وذبائح سلامة واستجاب الرب من أجل الأرض فكفت الضربة عن إسرائيل [١].

فأسفارهم ترسم للرب صورة كريهة جداً فهو رب يحب اللحم المشوي جداً ومستعد أن يتنازل عن كل شيء في سبيل وجبة دسمة من اللحم المشوي تقدم له كقربان ولا تكاد تخلو الأسفار كلها من ذكر هذه القرايين ومن اللحم المشوي فلا نرى الأنبياء من لدن آدم إلى آخر أنبيائهم يعبدون الله أو يدعون الناس إلى عبادة الله ولا يأمررون بمعروف وينهون عن المنكر بل بنجدهم مشغولون جداً بقضية اللحم المشوي والذي يحصلون بموجبه على جميع طلباتهم...!!

• رب إسرائيل يسب داود عليه السلام حين يغضب عليه :

[٥ ولما جاء الملك داود إلى بحوريم إذا برجل خارج من هناك من عشيرة بيت شاول اسمه شمعي بن جيرا يسب وهو يخرج ٦ ويرشق بالحجارة داود وجميع عبيد الملك داود وجميع الشعب وجميع الجبابرة عن يمينه وعن يساره ١٠..... فقال الملك مالي ولكم يا بني صروية. دعوه يسب لأن الرب قال له سب داود..... ١١ دعوه يسب لأن الرب قال له: ١٢ لعل الرب ينظر إلى مذقتي ويكافئني الرب خيراً عوض مسبته بهذا اليوم] (١) ، هكذا هو رب إسرائيل سباب لعان ويعلم شعبه السب واللعن حتى إنه ينال أنبياءه بسببه .

(١) سفر صموئيل الثاني (٢٤ : ١٧ - ١٩ ، ٢٤ ، ٢٥).

(٢) سفر صموئيل الثاني (١٦ : ٥ - ١٢) بحذف بعض الفقرات والاكتفاء بالشاهد .

ثانيا: الإيمان بالأنبياء من أسفارهم

كثيرا ما تتشابه المصطلحات لفظا بينما تختلف في مفهومها من عقيدة لعقيدة أخرى ومن زمن إلى زمن آخر. فكلمة نبي في العقيدة اليهودية تطلق على "رجل الله" والرأي والنيي والكاهن وكلها مترادفات لمعنى النبوة يكثر ذكرها في أسفار العهد القديم.

والنبي في الترجمة السبعينية هو الشخص المدعو من الله لتوصيل رسالة إلهية إلى قومه ^(١) . ونلاحظ أن الأسفار النبوية تستغرق معظم التوراة وتركز في عرضها للأنبياء أنها نبوءات عن المستقبل القريب والبعيد وما سيحل بأمة اليهود وأمم العالم الأخرى وكما كان يوجد أنبياء من الرجال عند اليهود كانت توجد عندهم كذلك نبيات من النساء وأشهر أولئك النبيات اللاتي ورد ذكرهن في التوراة:

١- مريم أخت موسى وهارون : [فأخذت مريم النبية أخت هارون الدف وخرجت جميع النساء وراءها بدفوف ورقص] ^(٢) .

٢- ودبورة : [ودبورة امرأة نبية زوجة لفيدوت هي قاضية إسرائيل في ذلك الوقت] ^(٣) . وكان بنو إسرائيل يصعدون إليها للقضاء .

٣- خلدة : [فذهب حلقيا الكاهن وأخيقام وعكبور وشافان وعسايا إلى خلدة النبية امرأة شلوم] ^(٤) ، وكانوا يعتبرون زوجات الأنبياء نبيات أحيانا ، فالرسالة الأساسية للأنبياء هي تبليغ أرادة الله للبشر وتلقيهم تعاليمه وتحذيرهم من عبادة الأوثان ^(٥) .

وهذا ما تقره كتبهم ومؤلفوهم ولكن واقع الأسفار يشهد بعكس ذلك فنجد الأسفار اليهودية تذكر أنبياء من غير اليهود يتنبأون وهم من عباد الأوثان مثل بلعام عابد وثن في أرض فلسطين خاطبه الرب ، لا بل وجاء إليه !! تقول أسفارهم : [٩ فأتى الله إلى بلعام وقال : من هم هؤلاء الرجال الذين عندك ١٠ فقال بلعام لله بالاق بن صفور ملك موآب قد أرسل إلي يقول ١١ هوذا الشعب الخارج من مصر قد غشي وجه الأرض تعال الآن العن لي إياه لعلني أقدر أن أحاربه وأطرده ١٢ فقال الله لبلعام لا تذهب معهم ولا تلعن الشعب لأنه مبارك] ^(٦) .

(١) تاريخ الديانة اليهودية د. محمد خليفة الطبعة الأولى ١٩٩٨م ص ١١٩ ، ١٤٤ ، ١٤٥ باختصار.

(٢) سفر الخروج (٢٠ : ١٥) .

(٣) سفر القضاة (٤ : ٤) .

(٤) سفر الملوك الثاني (١٤ : ٢٢) .

(٥) المجتمع اليهودي / زكي شنودة ص ٨٦ .

(٦) سفر العدد (٢٢ : ٩-١٢) .

ونرى باعتراف الأسفار أن هناك أنبياء كذبة وأنبياء حقيقيون كقولهم : [٩ في الأنبياء . . . انسحق قلبي في وسطي ١٠ لأن الأرض امتلأت من الفاسقين ١١ لأن الأنبياء والكهنة تنجسوا جميعا بل في بيتي وجدت شرهم يقول الرب ١٣ وقد رأيت في أنبياء السامرة حماقة تنبأوا بالبعل وأضلوا شعبي إسرائيل ١٤ وفي أنبياء أورشليم رأيت ما يقشعر منه . يفسقون ويسبكون بالكذب ١٥ . . من عند أنبياء أورشليم خرج نفاق في كل الأرض ٢٥ قد سمعت ما قالت الأنبياء الذين تنبأوا باسمي بالكذب قائلين حلمت حلمت ٢٦ حتى متى يوجد في قلب الأنبياء المتبئين بالكذب هم أنبياء خداع قلبهم] ^(١) .

ويحاولون جاهدين في تفسير هذه الحقائق وإيجاد الفرق بين الأنبياء من النوعين . كما يوجد أيضا أنبياء مرتزقة فهي تنبأ مقابل القليل من المال أو الخبز .

[٧ فقال شاول للغلام هوذا نذهب فماذا نقدم للرجل لأن الخبز قد نفذ من أوعيتنا ٨ فعاد الغلام وأجاب شاول وقال هوذا : يوجد بيدي ربع شاقل فضة فأعطيه لرجل الله فيخبرنا عن طريقنا ٩ سابقا في إسرائيل هكذا كان يقول الرجل عند ذهابه ليسأل الله هلم نذهب إلى الرائي لأن النبي اليوم كان يدعى سابقا الرائي ١٠ فقال شاول لغلامه كلامك حسن هلم نذهب فذهبا إلى المدينة التي فيها رجل الله] ^(٢) .

والأنبياء في الأسفار اليهودية غير معصومين ويعلمون الغيب الماضي والحاضر والمستقبل ويمكنهم أيضا رؤية الله عز وجل!! (٣) وقد ظهر بين اليهود أنبياء كثيرون - لكثرة ردتهم وتمردهم - أرسلهم الله ليؤخّنوهم على شرورهم التي ارتكبوها ويخضوهم على العودة إلى طريق الله ورددت سيرتهم في أسفارهم ولكن بصورة محرفة لا تليق بشخص عادي فكيف بمن اختاره الله واصطفاه على جميع خلقه؟!

وسنعرض بصورة موجزة لنبيين كريمين من أنبياء الله الصالحين كما صورتهما التوراة المحرفة وكاتبوها وهما إبراهيم عليه السلام ويعقوب عليه السلام.

(١) سفر أرميا (٢٣ : ٩-١١ ، ١٢-١٥ ، ٢٥-٢٦) . الفراغ في فقرة ٩ وجدته في النسختين عندي للكتاب المقدس ولعلمهم حذفوا كلمة (كذبة) وبها يستقيم الكلام والله أعلم .

(٢) سفر صموئيل الأول (٩ : ٧-١٠)

(٣) سفر التكوين (١ : ٤٩) سنأتي على التفصيل في مبحث النبوة إن شاء الله .

(١) إبراهيم عليه السلام :

أعلنت التوراة نبوة إبراهيم عليه السلام : [٣ ف جاء الله إلى أبيمالك - ملك جرار- في حلم الليل وقال له : ها أنت ميت من أجل المرأة التي أخذتها فإنها متزوجة ببعل ٧ فالآن رد امرأة الرجل فإنه نبي فيصلي لأجلك فتحيا] ^(١) .

ومع ذلك ذكرت التوراة في صراحة تامة خطأ إبراهيم حين قال عند دخوله مصر إن سارة هي أخته مع أنها كانت زوجته مما ترتب عليه أن ملك مصر أخذها إلى قصره. [١٠ وحدث جوع في الأرض فانحدر أبرام إلى مصر ليتغرب هناك لأن الجوع في الأرض كان شديدا ١١ وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لساري امرأته: إني قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر - عمرها فوق السبعين - ١٢ فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون هذه امرأته فيقتلونني ويستبقونك. قولي إنك أختي ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي من أجلك ١٤ فحدث لما دخل أبرام إلى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جدا ١٥ و رآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون فأخذت المرأة إلى بيت فرعون ١٦ فصنع إلى أبرام خيرا بسببها وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء واتن وجمال] ^(٢) . هكذا تزعم التوراة المحرفة أن إبراهيم عليه السلام قدم زوجته لفرعون مصر حتى يصير له خير بسببها وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد.... فهم يصورون هجرته عليه السلام بسبب الجوع لا لنشر الدين الحنيف وعباده الله كما يصورونه ديوتا !! ألا لعنة الله على اليهود ، وتكرر التوراة القصة مرة أخرى بعد مضي سنين طويلة أخرى مع ملك فلسطين أبيمالك ^(٣) .

(٢) يعقوب عليه السلام

سمى الله عز وجل يعقوب بإسرائيل في القصة المشهورة التي سبق ذكرها (٤) وذكرت أسفارهم المحرفة ارتكابه لكثير من الذنوب والخطايا منها:

١ - استغل فرصة جوع أخيه الأكبر عيسو فاشتري منه بكوريته نظير وجبة عدس ^(٥) ، وكانت للابن البكر امتيازات على سائر إخوته في التقاليد السائدة في ذلك العصر ^(٦) .

(١) سفر التكوين (٢٠ : ٣ ، ٧) .

(٢) سفر التكوين (١٢ : ١٠ - ١٦) .

(٣) الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم د. البار ص ٧٥ باختصار وسفر التكوين (٢٠ : ١ - ١٦) .

(٤) راجع الفصل الأول من الرسالة مبحث أسماء اليهود في التاريخ (بنو إسرائيل) .

(٥) سفر التكوين (٢٥ : ٢٧ - ٢٤) .

(٦) الإسلام لا يفرق بين الأبناء ويحث الوالدين على المساواة بينهم في العطاء وحتى القبل.

٢- كما تذكر التوراة احتيال يعقوب على أبيه إسحاق ليحصل لنفسه على البركة التي كان سيمناها ليعسو [١] حدث لما شاخ إسحاق وكلت عيناه عن النظر أنه دعا عيسو ابنه الأكبر وقال له : يا ابني فقال له : هانذا ٢ فقال : إنني قد شخت ولست أعرف يوم وفاتي . . ٤ واصنع لي أطعمة كما أحب وأتني بها لأكل حتى تباركك نفسي قبل أن أموت ^(١) ، ٥ وكانت رفقة ^(٢)

-زوجة إسحاق- سامعة إذ تكلم إسحاق مع عيسو ابنه فذهب عيسو إلى البرية كي يصطاد صيدا ليأتي به ٦ وأما رفقة فكلمت يعقوب ابنها قائلة إني قد سمعت أباك يكلم عيسو أخاك قائلا ٧ أأنتي بصيد واصنع لي أطعمة لأكل وأباركك أمام الرب قبل وفاتي ٨ فالآن يا ابني اسمع لقولي في ما أنا آمرك به ٩ اذهب إلى الغنم وخذي من هناك جديين جيدين من المعزى فأصنعهما أطعمة لأبيك كما يجب ١٥ وأخذت رفقة ثياب عيسو ابنها الأكبر الفاخرة التي كانت عندها في البيت وألبست يعقوب ابنها الأصغر ١٦ وألبست يديه و ملاسة عنقه جلود جديين المعزى ^(٣) ، ١٨ فدخل إلى أبيه وقال : يا أبي فقال : هانذا من أنت يا ابني ١٩ فقال يعقوب لأبيه أنا عيسو بكرك قد فعلت كما كلمتني قم وأجلس وكل من صيدي لكى تباركني نفسك ^(٤) ، ٢٥ فقال قدم لي لأكل من صيد ابني حتى تباركك نفسي فقدم له فأكل وأحضر له خمرا فشرب ٢٦ فقال له إسحاق أبوه تقدم وقبلني يا ابني ٢٧ فتقدم وقبله فشم رائحة ثيابه وباركه وقال انظر رائحة ابني كرائحة حقل قد باركه الرب ٢٨ فليعطك الله من ندى السماء ومن دسم الأرض وكثرة حنطة وخر ٢٩ ليستعبد لك شعوب وتسجد لك قبائل كن سيدا لإخوتك وليسجد لك بنو أمك ليكون لا عنوك ملعونين ومباركوك مباركين ^(٥) ، هذه هي البركة حنطة وخر وملك متاع دنيا ولا أثمر للآخرة ونعيمها - في التوراة - ولكن ماذا حصل عندما عاد عيسو ؟؟ [٣٤ فعندما سمع عيسو كلام أبيه صرخ صرخة عظيمة و مرة جدا وقال لأبيه باركني أنا أيضا يا أبي ٣٥ فقال قد جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك ٣٦ فقال ألا إن اسمه دعي يعقوب فقد تعقبني الآن مرتين أخذ بكوريقي وهو ذا الآن قد أخذ بركتي] ^(٦) .

وإذا تابعنا قراءة هذا السفر نجد أن يعقوب عليه السلام -الذي سبق وأن ذكرنا انه صار مع الرب- جبن وخاف وهرب إلى خاله لابان حتى يهدأ أخوه عيسو ، ويستمر السفر في وصف مكر يعقوب - حاشا لأنبياء الله- وأنه استطاع أن يكثر غنمه وماشيته على حساب خاله لابان

(١) البركة لا تحدث إلا بعد الشبع من الطعام .
(٢) رفقة زوجة إسحاق عليه السلام كما تذكر أسفارهم اليهودية وعنها نقلت كتب التفسير والله أعلم .
(٣) كذب وتلفيق على إسحاق عليه السلام من زوجة نبي تفرق بين تولم كذا في بطنها لماذا ؟ وهذا إرضاء للعنصرية اليهودية .
(٤) حتى يعقوب عليه السلام يكذب صراحة مع أبيه وأرى ملامح شعارات اليهود في هذا النص فلا مانع من الكذب لأن الغاية تبرر الوسيلة عندهم .
(٥) سفر التكوين (٢٧ : ١-٢٩) .
(٦) سفر التكوين (٢٧ : ٣٤-٣٦) .

وقد جازاه الله أثناء حياته على ما ارتكب من أخطاء فاحشة إذ أذاقه كثيرا من الآلام - كقصّة ابنه يوسف عليه السلام ومكر أولاده له - ويبلغ التحريف مداه حتى وصفوه وأهل بيته بعبادة الأوثان ، وهذا يتناقض مع مهمة الرسل في الدعوة إلى التوحيد ويتناقض مع عصمة الأنبياء أيضا .

[فقال يعقوب لبيته ولكل من كان معه اعزلوا الآلهة الغريبة التي بينكم وتطهروا وأبدلوا ثيابكم ٣ ولنقم ونصعد إلى بيت إيل فأصنع هناك مذبحا لله ٤ فأعطوا يعقوب كل الآلهة الغريبة التي في أيديهم والأقراط التي في آذانهم فطمرها يعقوب تحت البطمة التي عند شكيم] (١) ، هكذا تصور التوراة المحرفة أنبياء الله الكرام بأفطع وأبشع الصور!!.

ثالثا : الإيمان بالملائكة

لم يرد ذكر الإيمان بالملائكة في التوراة كركن من أركان العقيدة عندهم ولكن كثيرا ما يختلط على كاتب الأسفار في العهد القديم موضوع ملاك الرب بالرب ذاته فتراه تارة يتحدث عن الملاك ثم فجأة يصبح الملاك هو الرب ذاته ! ومن أمثلة ذلك ما جاء في قصة إبراهيم عليه السلام :

[١ ظهر له الرب عند بلوطات ممرا وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار ٢ فرفع عينيه ونظر إذا ثلاثة رجال واقفون لديه. فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض .. ٨ ثم أخذ زبدا ولبنا والعجل الذي عمله ووضعها قدامهم وإذا كان هو واقفا لديهم تحت الشجرة أكلوا ... ١٦ ثم قام الرجال من هناك وتطلعوا نحو سدوم وكان إبراهيم ماشيا معهم ليشيعهم ١٧ فقال الرب هل أخفي عن إبراهيم ما أنا فاعله ... ٢٢ وأنصرف الرجال من هناك وذهبوا نحو سدوم وأما إبراهيم فكان لم يزل قائما أمام الرب] وطلب منهم أن يدخلوا عنده ويسندون قلوبهم بوجبة سمينة فدخلوا وأكلوا من العجل والسمن والخبز ... وأنصرف الرجال من هناك وذهبوا نحو سدوم وأما إبراهيم فكان لم يزل قائما أمام الرب (٢).

ويتكرر ذلك الخلط بين الرب وملاك الرب في أمثلة كثيرة من أسفار اليهود المحرفة ففي قصّة هاجر: [٧ فوجدها ملاك الرب على عين الماء في البرية ... ٨ وقال : يا هاجر جارية ساراي من أين أتيت وإلى أين تذهبين فقالت أنا هاربة من وجه مولاي ساراي ٩ فقال لها ملاك الرب ارجعي إلى مولاتك وأخضعي تحت يدها ١٠ وقال لها ملاك الرب تكثيرا أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة ١١ فقال لها

(١) سفر التكوين (٣٥ : ٢-٤) .
(٢) سفر التكوين (١٨ : ١-٢٢) ذكرت موضع الشاهد فقط .

ملاك الرب : ها أنت حبلى فتلدين ابنا ١٣ فدعت اسم الرب الذي تكلم معها : أنت إيل رئي لأنها قالت : أهنا أيضا رأيت بعد رؤية ١٤ لذلك دعيت البئر بئر لحي رئي . هاهي بين قادش وبارد^(١) . وكذا في قصة شمشون عندما تكلم ملاك الرب مع أم شمشون ثم ذكر أن الذي تكلم هو الرب ذاته . [٢ وكان رجل من صرعة من عشيرة الدانيين اسمه منوح وامرأته عاقر لم تلد ٣ فترأى ملاك الرب للمرأة وقال لها : ها أنت عاقر لم تلدي لكنك تحبلين وتلدين ابنا ٦ فدخلت المرأة وكلمت رجلها قائلة : جاء إلي رجل الله ومنظره كمنظر ملاك الله مرهب جدا ٢١ حينئذ عرف منوح أنه ملاك الرب ٢٢ فقلل منوح لامرأته : غوت موتا لأننا قد رأينا الله ٢٣ فقالت له امرأته ، لو أراد الرب أن يميتنا لما أخذ من يدنا محرقة وتقدمة ولما أرانا كل هذه ولما كان في مثل هذا الوقت أسمعنا مثل هذه]^(٢) ، وأما التلمود فيذكر أن الملائكة تقضي ساعات مع الشياطين في الليل لتذاكر التلمود مع الإله^(٣) .

رابعاً: الإيمان بالكتب السماوية

تتبع الأسفار اليهودية فلم أجد ذكراً لصحف إبراهيم عليه السلام التي كانت قبل تورا موسى عليه السلام ولكن بالنسبة لعقيدتهم في الكتب التي أنزلت من عند الله بعد موسى عليه السلام كالإنجيل والقرآن فهم لا يؤمنون بها ولا يعتبرونها مقدسة ويؤمنون بما أنزل على داود عليه السلام ويسمونهم مزامير داود وتذكر كتبهم أن سليمان عليه السلام كان ينطق بالحكمة وله أسفار عديدة في كتابهم المقدس سنشرحها في حينها - إن شاء الله - .

خامساً: الإيمان باليوم الآخر

الديانة اليهودية - كما تصورها أسفارهم - دين أعمال لا دين إيمان فالثواب والعقاب يتم في الحياة الدنيا^(٤) ، فتكاد الأسفار اليهودية التي بين أيدينا اليوم - تخلو من ذكر اليوم الآخر والتلمود يذكر بعض فقرات تصور الجنة والنار بصورة مضطربة أقرب ما تكون إلى الخرافة منها إلى حقائق العقيدة ، مع إيماننا بأن الدين اليهودي السماوي قبل تحريفه كان يؤمن باليوم الآخر لأنه ركن من أركان العقيدة الصحيحة التي دعا إليها جميع الرسل والأنبياء عليهم السلام .

(١) سفر التكوين (١٦ : ٧-١٤) مع اختصار بعض الفقرات وقادش يعني مقدس ويرجح أنها عين قديس التي تبعد مسافة خمسين ميلاً من بئر السبع إلى الجنوب / انظر قاموس الكتاب المقدس ص ٧٠٩ ، بارد : لم أقف على موقعه في التفسير الخاصة بالكتاب المقدس .
(٢) سفر القضاة (١٣ : ٢-٢٣) الله والأنبياء في العهد القديم د. البار ص ٣٥ بتصرف .
(٣) الأسفار المقدسة / د. عبدالواحد وافي ص ٣٢ .
(٤) الأسفار المقدسة / د. عبدالواحد وافي ص ٣٨ بتصرف واليهودية / أحمد شلبي ص ٢٠٥ بتصرف .

فالنعم مادى والمؤمنون فى النعم يأكلون لحم الحوت المملح ولا يدخل الجنة إلا اليهودى. أما الجحيم عندهم فهو أوسع من النعم ستين مرة لأنه يدخله المسلمون والمسيحيون ^(١) :

وهناك أمثلة كثيرة فى الأسفار تدل على أن الجزاء دنيوى ولا ذكر للآخرة والبعث والنشور
١- [١ فالآن يا إسرائيل اسمع الفرائض والأحكام التى أنا أعلمكم لتعملوها لكي تحيوا وتدخلوا وتملكوا الأرض التى الرب إله آبائكم يعطيكم ٢ لا تزيدوا على الكلام الذى أنا أوصيكم به ولا تنقصوا منه لكي تحفظوا وصايا الرب إلهكم التى أنا أوصيكم بها] ^(٢) .

٢- [١ لا تصنعوا لكم أوثانا ولا تقيموا لكم تمثالا منحوتا أو نصبا ولا تجعلوا فى أرضكم حجرا مصورا لتسجدوا له لأنى أنا الرب إلهكم ٢ سبوتى تحفظون ومقدسى قهابون أنا الرب ٣ إذا سلكتم فى فرائضى وحفظتم وصاياى وعملتكم بها ٤ أعطى مطركم فى حينه وتعطى الأرض غلتها وتعطى أشجار الحقل أثمارها ٥ يلحق دراسكم بالقطف ويلحق القطف بالزرع فتأكلون خبزكم للشبع وتسكنون فى أرضكم آمنين ٦ وأجعل سلاما فى الأرض فتنامون وليس من يزعجكم وأبىد الوحوش الرديئة من الأرض ولا يعبر سيف فى أرضكم ٧ وتطردون أعداءكم فيسقطون أمامكم بالسيف] ^(٣) .

هذا بالنسبة للجزاء مطر وخبز ونوم متاع دنيا ولا شيء عن الآخرة!

أما العقاب : [١٤ لكن إن لم تسمعوا لى ولم تعملوا كل هذه الوصايا ١٦ فإني أعمل هذه بكم. أسلط عليكم رعبا وسلا وحى تفنى العينين وتلف النفس وتزرعون باطلا زرعكم فيأكله أعداؤكم ١٧ وأجعل وجهي ضدكم فتتهزمون أمام أعدائكم ويتسلط عليكم مبغضوكم وقربون وليس من يطردكم ١٨ وإن كنتم مع ذلك لا تسمعون لى أزيد على تأديبكم سبعة أضعاف حسب خطاياكم ٢١ وإن سلكتم معى بالخلاف ولم تشاءوا أن تسمعوا لى أزيد عليكم ضربات سبعة أضعاف حسب خطاياكم ٢٣ وإن لم تتأدبوا منى بذلك بل سلكتم معى بالخلاف فإني أسلك معكم بالخلاف وأضربكم سبعة أضعاف حسب خطاياكم] ^(٤) .

لماذا العقاب سبعة أضعاف الخطيئة أين العدل فى هذا الرب المزعوم ؟ ونجد المعصية تلو المعصية والخلاف وعدم الاتباع فهذا تصوير واقعى لشدة عنادهم ورفضهم اتباع طريق الحق والهدى وبذلك تنبأ موسى عليه السلام .

(١) موسوعة الأديان السماوية الوضعية ج ٥ ص ١٥٤ الديانة اليهودية بتصرف موسوعات الوافى بالمعلومات دار الفكر اللبنانى.

(٢) سفر التثنية (٤ : ٢-١) .

(٣) سفر اللاويين (٢٦ : ١-٧) .

(٤) سفر اللاويين (٢٦ : ١٤-٢٣) .

سادسا: الإيمان بالقضاء والقدر

القارئ للأسفار اليهودية المتأمل في حال رسلهم مع أقوامهم يجد التذمر والضيق واضحا من كلا الجانبين فالأسفار اليهودية تصور تدمير واعتراض بني إسرائيل على موسى خلال رحلة التيه وهذا يتنافى مع التسليم بقضاء الله وقدره ، جاء في أسفارهم : [فرفعت كل الجماعة صوتها وصرخت وبكى الشعب تلك الليلة ٢ وتذمر على موسى وعلى هارون جميع بني إسرائيل وقال لهما كل الجماعة: ليتنا متنا في أرض مصر]^(١) ، ويتكرر التذمر منهم . واعتراضهم وسخطهم حتى على الطعام فهو شعب مدلل كما تصوره أسفارهم : [وتكلم الشعب على الله وعلى موسى قائلين: لماذا اصعدتنا من مصر لنموت في البرية؟! وقد كرهت أنفسنا الطعام السخيف - فأرسل الرب على الشعب الحيات المخرقة فلدغت الشعب فمات قوما كثيرون من إسرائيل]^(٢) .

حتى الأنبياء الكرام عليهم صلوات الله وسلامه في أسفارهم يتذمرون ويعترضون على قضاء الله وقدره فنسبوا إلى موسى عليه السلام قوله : وقال موسى : [١١ ... لماذا يا رب يحمي غضبك على شعبك الذي أخرجته من أرض مصر بقوة عظيمة ويد شديدة؟!]^(٣) .

والأدهى من ذلك تصور التوراة موسى عليه السلام وهو يعترض على الوحي وحمل الرسالة والتبليغ التي هي اصطفاء ورفعة ومكانة : [١٠ فقال موسى للرب : استمع أيها السيد لست أنا صاحب كلام منذ أمس ولا أول أمس ولا من حين كلمت عبدك بل أنا ثقیل الفم واللسان ١١ فقال له الرب من صنع للإنسان فما أو من يصنع أخرس أو أصم أو بصيرا أو أعمى أما هو أنا الرب ١٢ فالآن اذهب وأنا أكون مع فمك وأعلمك ما تتكلم به ١٣ فقال استمع أيها السيد أرسل بيد من ترسل ١٤ فحمني غضب الرب على موسى وقال : أليس هارون اللاوي أخاك.]^(٤) ويتكرر هذا الاعتراض وصوره مع كثيرين من الأنبياء وأشدهم أيوب عليه السلام في السفر المنسوب إليه وكذلك مع إسحاق وإسماعيل ويعقوب ويوسف عليهم السلام أجمعين ... ألا لعنة الله على اليهود ..

(١) سفر العدد (١٤ : ٣-١) .

(٢) سفر العدد (٢١ : ٤-٦) .

(٣) سفر الخروج (١١ : ٣٢) .

(٤) سفر الخروج (٤ : ١٠-١٤) .

الوصايا العشر

وخلاصة العقيدة اليهودية موجودة في الوصايا العشر ^(١) .

[ثم تكلم الله بجميع هذه الكلمات قائلا :

[أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر من بيت العبودية] .

[لا يكن لك آلهة أخرى أمامي] ^(٢) . الوصية الأولى الوحدانية .

[لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من

تحت الأرض] ^(٣) . الوصية الثانية تحريم التصوير و نحت التماثيل

[لا تسجد لمن ولا تعبدن لأني أنا الرب إلهك إله غيور أفنقذ ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث

والرابع من مبغضي] ^(٤) . الوصية الثالثة النهي عن الشرك.

[٦ واصنع إحسانا إلى ألو ف من محبي وحافظي وصاياي] .

[٧ لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا لأن الرب لا يبرئ من نطق باسمه باطلا] ^(٥) . الوصية الرابعة تحريم

الحلف بالله كاذبا .

[٨ اذكر يوم السبت لتقدسه] .

[٩ ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك] .

[١٠ فأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك لأن ١١ في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر

وكل ما فيها واستراح* في اليوم السابع] ^(٦) ، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا تحريم العمل يوم

السبت

[١٢ أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب إلهك] ^(٧) ، الوصية الخامسة

بر الوالدين .

[١٣ لا تقتل] ^(٨) الوصية السادسة تحريم القتل .

[١٤ لا تزن] ^(٩) الوصية السابعة تحريم الزنا .

[١٥ لا تسرق] ^(١٠) الوصية الثامنة تحريم السرقة .

(١) الوصايا العشري ذكرت في سفر الخروج ذكرت في سفر التثنية .

(٢) سفر الخروج (٢٠ : ١-٣) .

(٣) سفر الخروج (٢٠ : ٤) .

(٤) سفر الخروج (٢٠ : ٥) .

(٥) سفر الخروج (٢٠ : ٦-٧) .

(٦) سفر الخروج (٢٠ : ٨-١١) .

(٧) سفر الخروج (٢٠ : ١٢) .

(٨) سفر الخروج (٢٠ : ١٣) .

(٩) سفر الخروج (٢٠ : ١٤) .

(١٠) سفر الخروج (٢٠ : ١٥) .

* هذا منافع للعقيدة الصحيحة ، لأن الله تعالى لا يتعب .

- [١٦] لا تشهد على قريبك شهادة زور ^(١) ، الوصية التاسعة تحريم شهادة الزور .
- [١٧] لا تشته بيت قريبك لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا أمتة ولا ثوره ولا حماره ولا شيئا مما لقريبك ^(٢) . الوصية العاشرة تحريم الحسد .
- وهذه الوصايا العشر فيها الكثير من الحق فهي كالجواهر اللامعة وسط ركام التحريف .
الذي سبق أن أشرنا إليه ، وهناك قيم أخرى سامية أثبتتها التوراة نذكر منها:
- [٢٢] لا تسي إلى أرملة ولا يتيم ^(٣) ، الإحسان إلى الأرملة
- [١] ولا تقبل خبرا كاذبا ولا تضع يدك مع المنافق لتكون شاهد ظلم ^(٤) ولا تتبع الكثيرين إلى فعل الشر ، ولا تجب في دعوى مائلا وراء الكثيرين للتحريف ^(٥) ولا تحاب مع المسكين في دعواه ^(٦) إذا صادفت ثور عدوك أو حماره شاردة تردده إليه ^(٧) ، الحث على الأمانة والابتعاد عن الكذب والنفاق والمحافظة على أموال الآخرين .
- [١٣...] لا تبت أجرة أجير عندك إلى الغد ^(٨) ، الإسراع في أداء حقوق الآخرين
- [١٤] لا تشتم الأعمى وقدام الأعمى لا تجعل معثرة ^(٩) ، الرفق بالمعاقين
- [لا يكن متاع رجل على امرأة ولا يلبس رجل ثوب امرأة] ^(١٠) ، النهي عن تشبه المرأة بالرجل وتشبه الرجل بالمرأة في اللباس .
- وهذه التوجيهات توافق الرسائل السماوية بما فيها الرسالة الخاتمة ^(١١) .

(١) سفر الخروج (٢٠ : ١٦) .
(٢) سفر الخروج (٢٠ : ١٧) .
* على اختلاف في تفسير معنى لا تشته بيت قريبك قيل تكرار بالنهي عن الزنا ولكن الراجح - عندي - النهي عن الحسد لاشتغال اليهود بذلك فيكون المقصود لا تشته ما عند قريبك من النعم بأن تزول من عنده وتنتقل إليك .
(٣) سفر الخروج (٢٢ : ٢٢) .
(٤) سفر الخروج (٢٣ : ١-٤) .
(٥) سفر اللاويين (١٩ : ١٣) .
(٦) سفر اللاويين (١٩ : ١٣) .
(٧) سفر التثنية (٢٢ : ٥) .
(٨) اليهود تاريخ وعقيدة د. كامل سعيان دار الاعتصام الطبعة الثانية ص ١٩٢ باختصار و تصرف .

الشعائر اليهودية

بنيت الشعائر الدينية على أساس تصور صحيح للعقيدة السماوية وبانحراف العقيدة الصحيحة تنحرف الشعائر الدينية تبعاً لها وهذه إشارة إلى شعائرهم الدينية :

فالديانة اليهودية أصلها دين سماوي صحيح لذا نجد عندهم معظم شعائر الإسلام و لكن طراً عليها الكثير من التحريف و التبديل و من هذه الشعائر :

١. الصلاة : ثلاث مرات في اليوم و يجب أن يسبقها طقوس خاصة للطهارة أما عن كيفية الصلاة و مواعيدها فشرحها في التلمود مفصل ^(١).
 ٢. الزكاة : يوجبون إخراج العشر من جميع الممتلكات إذا بلغ عدده أو وزنه مائة و يخرج مرة فقط في العمر ^(٢).
 ٣. الحج : يجب الحج ثلاث مرات على اليهودي في أعياد الفصح و الحصاد و الظل و الإقامة في كل مرة أسبوع كامل و يجب اشتراكه في الاحتفالات التي يقودها الكهنة لتكون الفرصة متاحة ليتعرف يهود العالم بعضهم ببعض ^(٣).
 ٤. الصيام : يطلق عليه : تذليل النفس وهو نوعان صيام تطوع و صيام فرض ^(٤).
- كما لهم أحكام في الطلاق و الزواج و الحدود و كذلك في المعاملات من رهن و بيع و قرض وإيجار موضحة في التلمود.

(١) تاريخ اليهود و آثارهم في مصر/ للمقرئزي ص ٢٥. المجتمع اليهودي زكي شنودة ص ٢١١- ٢١٢ الفكر الديني اليهودي و أطواره ص ١٤١- ١٥٣ باختصار و تصرف.

(٢) كان تبلغ الغنم مئة رأس وكذلك باقي الأنعام وأن يبلغ الذهب مئة وزنة فيوجبون إخراج العشر منها وهكذا. راجع التناقص في تاريخ و أحداث التوراة/ محمد قاسم ص ٢٥٠- ٢٦٩ باختصار. الفكر الديني اليهودي حسن ظاظا ص ١٩٦.

(٣) راجع اليهود تاريخ و عقيدة د. كامل سغان ص ٢٢٤ و الفكر الديني اليهودي حسن ظاظا ص ١٩ و تاريخ اليهود للمقرئزي ص ١٤١.

(٤) المجتمع اليهودي زكي شنودة ص ٢١٣ - الفكر الديني اليهودي حسن ظاظا ص ١٩٠ و تاريخ اليهود للمقرئزي ص ١٤٢.

الأعياد و المواسم

تكثر الأعياد عند اليهود لاتصالها بالأحداث التاريخية و اتصالها بمواسم الزراعة و الحصاد وكذلك اتصالها بالهلل و التوبة و التكفير عن الذنوب و هذا طرف منها:

١- السبت : يوم السبت من الأيام المقدسة عند اليهود التي تجب مراعاة حرمتها مراعاة تامة فلا يجوز العمل فيه و من خالف ذلك تقضى عليه الشريعة بالموت : [فتحفظون السبت لأنه مقدس لكم ، من دنسه يقتل قتلا] ^(١) .

و سبب تقديسه أن الرب خلق السموات و الأرض وما فيهما ثم استراح يوم السبت-تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا - و أمر عباده بالاستراحة فيه وباركه ، أما المفكرون اليهود فيقولون إن تشبه الإنسان بالرب أسمى غايات العبادة فالله عمل ثم استراح و الإنسان يعمل دوره في الخلق ثم عليه أن يستريح و هو مصدر للروحانيات كما يزعمون ^(٢) .

٢- عيد الهلال : كان الشهر العبري هو الشهر القمري و كان أول أيامه هو الذي يظهر فيه الهلال في بدايته و لذلك كانت أوائل الشهر مقدسة يذهبون فيها إلى الهيكل ويسجدون لله [ويكون من هلال إلى هلال ومن سبت إلى سبت أن كل ذي جسد يأتي ليسجد أمامي قال الرب] ^(٣) . وكانوا ينفخون فيه بالأبواق : [انفخوا في رأس الشهر بالبوق عند الهلال ليوم عيدنا] لأن هذا فريضة لإسرائيل ^(٤) .

٣- عيد الفصح* : هذا العيد هو يوم الذكرى لخروج بني إسرائيل من مصر ومن العبودية التي كانوا يخضعون لها. وقته : الأسبوع الثالث من شهر أبريل .

مظاهر الاحتفال: أكل الخبز غير المختمر وتلاوة أدعية وإقامة الصلوات وتقدم قرايين: [٢ فتذبح الفصح للرب إلهك غنما وبقر ٣ لا تأكل عليه خميرا سبعة أيام تأكل عليه فطيرا خبز] ^(٥) .

(١) سفر الخروج (٣١ : ١٤) .

(٢) المجتمع اليهودي/ زكي شنودة ص ٢٥٨-٢٥٩ واليهودية / أحمد شلبي ص ٣٠٤ نقلا عن Judaismplo والفكر الديني اليهودي/ حسن ظاظا ص ١٦٦ .

(٣) سفر أشعيا (١٦ : ٣) .

(٤) سفر المزمير (٨١ : ٣-٤) .

(٥) المجتمع اليهودي/ زكي شنودة ص ٢٦٢ واليهودية/ أحمد شلبي ص ٣٠٣ والفكر الديني/ حسن ظاظا ص ١٦٨ واليهود تاريخ و عقيدة/ زكي سغفان ص ٢٢٢ .

* الفصح: اسم عبري معناه العبور وهو أول الأعياد السنوية التي فرض فيها على جميع الرجال الظهور أمام الرب في بيت العبادة ويعرف أيضا بعيد الفطر / أنظر قاموس الكتاب المقدس ص ٦٧٨-٦٧٩ .

(٦) سفر التثنية (١٦ : ٣-٢) وأنظر المجتمع اليهودي/ زكي شنودة ص ٢٦٨ واليهودية تاريخ و عقيدة/ كامل سغفان ص ٢٢٠ واليهودية/ لأحمد شلبي ص ٣٠٣ .

٤ - يوم الكفارة : هذا يوم في السنة للتكفير عن الخطايا ويسمى يوم الغفران .

وقته: الشهر السابع من السنة اليهودية في اليوم العاشر منه.

مظاهر الاحتفال: الصوم ذلك اليوم و الصلاة و تعظيم الله و تسبقه تسعة أيام تسمى أيام

التوبة حيث يظهر اليهودي خلالها تطهيرا يكفل له النقاء خلال العام القادم ^(١) .

و في هذا اليوم ينقض العهد و الموائيق لغير اليهود و شاع بين عوام اليهود أن يوم الغفران

هذا يجوز فيه أكل الديون ^(٢) .

٥ - عيد المظال: الأصل فيه أنه عيد زراعي كان يحتفل فيه بتخزين المحصولات الزراعية الغذائية

للسنة كلها . وقته : شهر أكتوبر ومدته تسعة أيام.

مظاهر الاحتفال: إقامة أكواخ مصنوعة من أغصان الشجر و يدخلون المعبد و في يد كل واحد

منهم غصن و يضربون على الكراسي بهذه الأغصان حتى تتساقط أوراقها كلها وبذلك تسقط

ذنوبهم التي ارتكبوها طول السنة ^(٣) .

(١) المجتمع اليهودي زكي شنودة ص ٢٦٥ واليهودية تاريخ وعقيدة كامل سغان ص ٢٢٣ و ٢٢٤ و اليهودية لأحمد شلبي ص ٣٠٥ .

(٢) الفكر الديني اليهودي / حسن ظاظا ص ١٦٩ .

(٣) الفكر الديني اليهودي / حسن ظاظا ص ١٧٠ انظر سفر التثنية (١٣: ١٦) .

ثانيا : عقيدة اليهود من القرآن الكريم

إن العقائد السماوية التي أنزلت على رسل الله وأنبيائه - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين- واحدة في حقيقة التوحيد لله تعالى وإثبات البعث بعد الموت والدعوة إلى مكارم الأخلاق قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ لِأَنَّهُ إِلَهُ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (١) .

وكذلك العقيدة الأصلية لبني إسرائيل كانت الإيمان بالله الواحد الأحد الفرد الصمد إله الناس جميعا وخالقهم العالم بكل شيء القادر على كل شيء والإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر وما يتصل بذلك من الحساب والثواب أو العقاب قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٢) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمَ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٣) وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَلْنَى إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (٤) أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٥) .

وعن التوحيد واليوم الآخر والحساب يقول الله تعالى مخاطبا موسى عليه السلام : ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ (٦) إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى (٧) فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَى (٨) .

(١) سورة الأنبياء آية (٢٥) .

(٢) سورة البقرة من آية (١٣٠-١٣٣) .

(٣) سورة طه آية (١٤-١٦) .

ولكن بني إسرائيل لم تقو عقولهم على الإيمان الغيبي بالله تعالى و تعنتوا في الاستسلام و الانقياد الخالص لله حتى إنهم أشركوا بالله تعالى و كفروا به و موسى عليه السلام بين ظهرائهم و قد صور القرآن الكريم هذه المواقف في عدة آيات منها:

۱- شرکھم باللہ و کفرھم بہ :

عبادة العجل : بعد نجات موسى عليه السلام و قومه من فرعون و جنده و بعد مشاهدتهم
لآيات الله المعجزة من انفلاق البحر و غرق فرعون مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم
فطلبوا من موسى عليه السلام أن يجعل لهم أصناما مثلهم!!! قال تعالى : ﴿ وَجَوَزْنَا بِبَنِي
إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا
لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا مَا هُمْ فِيهِ وَيَبْطِلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٥﴾
قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٢٦﴾ ۝

فنفوسهم لم تطمئن إلى عبادة إله لا يستطيعون رؤيته فطلبوا إلها يحسنه كما يحسن هؤلاء آلهتهم (٧) .

٢- طلبهم رؤية الله عز و جل:

أخبرنا القرآن الكريم أن عقولهم لم تقو على الإيمان الغيبي بالله فطلبوا من موسى - عليه السلام - رؤية الله جهرة (أي عياناً) قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ٥٠ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٥١ ﴾ (٣) .

(١). سورة الأعراف آية ١٣٨-١٤٠

(١) سورة الأعراف آية ١٣٨-١٤٠
(٢) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام د. علي عبد الواحد وافي دار النهضة- مصر - للطباعة ص ٢٦ باختصار و تصرف
(٣) سورة البقرة آيتا ٥٥-٥٦.

(٣) سورة البقرة آيتا ٥٥-٥٦.

ثانيا : سوء أدبهم مع الله

١- قولهم يد الله مغلولة : قال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ ^(١) .

ذكرت الآية الكريمة دعوة اليهود الباطلة وزعمهم أن يد الله مغلولة وهي كناية عن البخل وهذه الدعوى الباطلة تدل على جرأهم على الله تعالى وسوء أدبهم معه ووصفهم إياه بما لا يليق . قال ابن عباس رضي الله عنه : (قال رجل من اليهود يقال له شاس بن قيس ، يا محمد إن ربك بخيل لا ينفق فأنزل الله تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ وقد أضاف القرآن الكريم المقالة إلى اليهود لأنهم لم ينكروا على القائل ما قاله ورضوا به وقاله تعالى حكاية عنهم : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴾ إخبارا من الله تعالى على جرأة اليهود عليه سبحانه وتوبيخا لهم على جحود النعمة) ^(٢) .

قال صاحب الكشف : قال تعالى : ﴿ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ﴾ الدعاء عليهم بالبخل وانقباض الأيدي وهو تكذيب لهم فيما قالوه ، ويجوز أن يكون دعاء عليهم بغل الأيدي حقيقة يغفلون في الدنيا أسارى وفي الآخرة معذنين بأغلال جهنم ، ثم رد الله عليهم ما قالوه وأثبت لذاته نهاية الجود والعطاء فقال تعالى ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴾ ^(٣) ،

أي ليس بخيلا كما زعموا بل هو واسع الفضل جزيل العطاء الذي ما من شيء إلا عنده خزائنه ، وعبر سبحانه عن سعة جوده ببسط اليدين ، وتثنيتهما ليكون أبلغ في رد قولهم : (يد الله مغلولة) وفي إنكاره وليكون أدل على إثبات غاية السخاء له ونفى البخل عنه لأن الجواد السخي إذا أراد أن يبالغ في العطاء أعطى بكلتي يديه ^(٤) .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار ، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض فإنه

(١) سورة المائدة آية ٦٤ .

(٢) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥٣٢ .

(٣) تفسير الكشف / للزمخشري ج ١ ص ٤٢٤ .

(٤) تفسير الكشف / للزمخشري ج ١ ص ٤٢٤ .

لم يغض - لم ينقص - ما في يمينه و كان عرشه على الماء و في يده الأخرى الفيض أو القبض يرفع و يخفض و قال : يقول الله تعالى : " انفق أنفق عليك " (١) .

قال تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا ٱلتَّوْرَةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ (٢) ، أي يكون ما أتك الله يا محمد من النعمة نعمة في حق أعدائك من اليهود وأشباههم فكما يزيد به المؤمنون تصديقا وعملا صالحا وعلما نافعا يزداد به الكافرون الحاسدون لك ولأمتك طغيانا وكفرا وتكديبا كقوله تعالى : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَٰرًا ﴾ (٣) ، وقوله تعالى ﴿ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيَمَةِ ﴾ (٤) .

يعني أنهم لا تجتمع قلوبهم بل العداوة واقعة بين فرقهم.

وما تزال الفرق اليهودية إلى يومنا هذا متناحرة ومتعادية منقسمة إلى أحزاب مختلفة يميننا ويسارا . ﴿ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ﴾ أي (كلما عقدوا أسبابا يكيدونك بها وكلما أبرموا أمورا يحاربونك بها أبطلها الله ورد كيدهم عليهم وحق مكرهم السيء بهم .

﴿ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ أي من سجيتهم أنهم دائما يسعون في الإفساد في الأرض فسادا و الله لا يحب من هذه صفته (٥) .

٢- قولهم إن الله فقير :

ذكر القرآن الكريم سوء أدهم مع الله تعالى كما سجل لهم كثيرا من الرذائل لينبه المؤمنين كي يأخذوا حذرهم فلا يتصفوا بهذه الصفات أولا و يحذروا من اليهود ثانيا . قال تعالى : ﴿ لَقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنْبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ (٦) .

(١) رواه البخاري ومسلم ، وذكر في صحيح البخاري في كتاب التفسير في سورة هود ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ أخرجه في الصحيحين

(٢) سورة المائدة آية ٦٨ .

(٣) سورة الإسراء آية ٨٢ .

(٤) سورة المائدة آية ٦٤ .

(٥) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٥٣٢ .

(٦) سورة آل عمران آية ١٨١ .

وجاء في أسباب النزول

(قال عكرمة والسدي ومقاتل ومحمد بن إسحاق ^(١) ، دخل أبو بكر الصديق رضي الله عنه ذات يوم بيت مدراس ^(٢) ، اليهودي فوجد ناسا من اليهود قد اجتمعوا على رجل منهم يقال له : فنحاص بن عازورا ، وكان من علمائهم فقال أبو بكر لفنحاص : اتق الله وأسلم فوالله إنك لتعلم أن محمدا رسول الله قد جاءكم بالحق من عند الله تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة فآمن وصدق وأقرض الله قرضا حسنا يدخلك الجنة ويضاعف لك الثواب ، فقال فنحاص : يا أبا بكر تزعم أن ربنا يستقرضنا أموالنا ، وما يستقرض إلا الفقير من الغني ، فإن كان ما تقول حقا فإن الله إذا لفقير ونحن الأغنياء ولو كان غنيا ما استقرضنا أموالنا . فغضب أبو بكر رضي الله عنه وضرب وجه فنحاص ضربة شديدة و قال: والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينك لضربت عنقك يا عدو الله ، فذهب فنحاص إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد انظر إلى ما صنع بي صاحبك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : ما الذي حملك على ما صنعت؟ فقال يا رسول الله : إنه عدو الله قال قولا عظيما زعم أن الله فقير وأنهم أغنياء فغضبت لله وضربت وجهه فجحد ذلك فنحاص . فأنزل الله عز وجل ردًا على فنحاص وتصديقا لأبي بكر ^(٣) ، " : ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾

وقوله تعالى : ﴿ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا ﴾ تهديد ووعيد ولهذا قرنه تعالى بقوله : ﴿ وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ أي هذا قولهم في الله وهذه معاملتهم رسل الله وسيجزئهم الله على ذلك شر الجزاء ^(٤) .
لقد بين سبحانه أنه سميع لأقوالهم وأفعالهم عليم بما لا تخفى عليه فقال تعالى : ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ ﴾ أي سمع قول أولئك اليهود نطقوا بالفحش والزور فزعموا أن الله تعالى فقير وهم أغنياء ^(٥) .

(١) الدر المنثور/ للسيوطي ج ٢ ص ١٠٥ وتفسير الطبري ج ٧ ص ٤٤١ وسيرة ابن هشام ج ٢ ص ٢٠٥.
(٢) المدراس : البيت الذي يتدارس اليهود فيه كتابهم وهي كلمة عبرية مشتقة من الفعل العبري (درش) أي استطلع أوبحث أودرس فالكلمة معناها المرساة / سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٥٥٨ - دار الكنوز الأدبية . وموسوعة المفاهيم ص ٣٦٠.
(٣) أسباب نزول القرآن لأبي الحسن علي الواحدي ص ١٢٨ تحقيق السيد أحمد صقر دار القبلة للثقافة الإسلامية بالمملكة العربية السعودية.
(٤) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٤٢ .
(٥) بنو إسرائيل في القرآن و السنة سيد طنطاوي ص ٤١٧.

٣- قولهم عزيز ابن الله:

حكى القرآن الكريم كثيرا من العقائد الباطلة و الأقاويل الفاسدة التي ردها أهل الكتاب ومن ذلك ما ذكره عن اليهود بأنهم قالوا : "عزيز ابن الله" قال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلْنَاهُمْ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (١) .

أخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : "أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم و نعمان بن أوفى وساس بن قيس و مالك بن الصيف فقالوا : كيف نتبعك يا محمد - و قد تركت قبلتنا و أنت لا تزعم عزيزا ابن الله فأنزل الله في ذلك من قولهم : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ﴾ (٢) .

قال الإمام البيضاوي : (وإنما قالوا ذلك ، عزيز ابن الله ، لأنه لم يبق فيهم بعد وقعة بختنصر من يحفظ التوراة وهو لما أحياه الله بعد مائة عام أملى عليه التوراة حفظا فتعجبوا من ذلك و قالوا: "ما هذا إلا أنه ابن الله" ، والدليل على أن هذا القول كان فيهم أن الآية قرئت عليهم فلم يكذبوا مع هالكهم على التكذيب) (٣) .

ثم بين الله تعالى أن هذا الإفك الذي لا دليل عليه سببه تقليدهم لمن سبقوهم من أهل الكفر ﴿ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ ﴾ والمضاهاة المشابهة .

والمعنى أن هؤلاء اليهود مضاهون بقولهم هذا في الكفر و الشناعة قول الذين كفروا قبلهم من الأمم و هم المشركون الذين قالوا إن الملائكة بنات الله . ﴿ قَتَلْنَاهُمْ اللَّهُ ﴾ دعاء عليهم بالهلاك لشناعة ما تفوهوا به. و عن ابن عباس أن معنى ﴿ قَتَلْنَاهُمْ اللَّهُ ﴾ لعنهم الله و كل شيء في القرآن قتل فهو لعن. ﴿ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ معناه كيف يصرفون عن الحق إلى الباطل فيتركون توحيد الله وتزييه الذي تجزم به العقول إلى ما لا يقبله عقل (٤) .

(١) سورة التوبة (آية ٣٠) .

(٢) تفسير الطبري ج ١ ص ١١٠ .

(٣) تفسير البيضاوي ج ٣ ص ١٢٣ .

(٤) بنو اسرائيل في القرآن/ سيد طنطاوي باختصار ص ٥٨١ - ٥٨٢ و تصرف .

ثالثا : سوء أدبهم مع الملائكة :

سجل القرآن الكريم سوء أدبهم مع الملائكة فادعوا أن جبريل عليه السلام ملك الفضاظة والغلظة وهو منزل العذاب في زعمهم فاتخذوه عدوا لهم كما جاء في قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(١) ، قال الطبري : أجمع أهل العلم بالتأويل جميعا أن هذه الآية نزلت جوابا لليهود من بني إسرائيل إذ زعموا أن جبريل عدو لهم ، وأن ميكائيل ولي لهم . ثم اختلفوا في سبب النزول إلى ثلاثة أسباب :

(١) أقبلت اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا أبا القاسم نسألك عن أشياء فإن أحببنا عليها اتبعناك ، أخبرنا من الذي يأتيك من الملائكة ؟ فإنه ليس من نبي إلا ويأتيه ملك من عند ربه عز وجل بالرسالة وبالوحي من صاحبك؟ قال : جبريل ، قالوا : ذاك الذي يتزل بالحرب والقتال ، ذاك عدونا ، لو قلت ميكائيل الذي يتزل بالقطر والرحمة تابعناك . فأنزل الله تعالى ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ ﴾ ^(٢) .

(٢) أخرج البخاري عن أنس بن مالك قال : (سمع عبد الله بن سلام بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أرض يخترف ^(٣) ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي : ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما يتزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه ؟ قال: أخبرني بهذه جبريل آنفا. قال : جبريل ؟ قال : نعم قال : ذاك عدو اليهود من الملائكة ، فقرأ هذه الآية ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ ﴾ .

وأما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب ، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزع الولد . قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله ، يا رسول الله إن اليهود قوم بهت وإنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم يبهتوني ، فجاءت اليهود فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم " أي رجل عبد الله بن سلام فيكم؟" قالوا : خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا قال : رأيتم إن أسلم قالوا : أعاده الله من ذلك فخرج عبد الله فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقالوا: هو شرنا وابن شرنا وانتقصوه فقال : هذا الذي كنت أخاف يارسول الله ^(٤)

(١) سورة البقرة آية ٩٧ .

(٢) أسباب النزول للواحدي ص ٢٦ .

(٣) يخترف : يلقط النخل يسرا كان أو رطبا / لمان العرب لابن منظور ، ج ٤ ص ٦٩-٧٠ باختصار .

(٤) تفسير ابن كثير ص ٩٢ رواه البخاري و أخرجه مسلم قريبا من هذا السياق البخاري في كتب التفسير ج ٦ ص ٢٣ .

(٣) و قال آخرون بل كان السبب من أجل مناظرة جرت بينهم وبين عمر بن الخطاب في أمر النبي صلى الله عليه وسلم . (قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : كنت آتي اليهود عند دراستهم التوراة ، فأعجب من موافقة القرآن التوراة وموافقة التوراة القرآن ، فقالوا : يا عمر ما أحب إلينا منك قلت : ولم ؟ قالوا : لأنك تأتينا وتغشانا . قلت : إنما أجيء لأعجب من تصديق كتاب الله بعضه بعضاً وموافقة التوراة القرآن وموافقة القرآن التوراة ، فبينما أنا عندهم ذات يوم إذ مر رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف ظهري فقالوا : هذا صاحبك فقم إليه ، فالتفت إليه فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد دخل خوخة من المدينة فأقبلت عليهم فقلت : أنشدكم الله وما أنزل عليكم من كتاب أتعلمون أنه رسول الله ؟ فقال سيدهم : قد نشدكم بالله فأخبروه فقالوا : أنت سيدنا فأخبره ؟ فقال سيدهم : إنا نعلم أنه رسول الله .

قال : قلت : فأنت أهلكتهم إن كنتم تعلمون أنه رسول الله ثم لم تتبعوه قالوا : إن لنا عدوا من الملائكة ، وسلمنا من الملائكة فقلت : من عدوكم ومن سلمكم ؟ قالوا : عدونا جبريل وهو ملك الملك الفظاظ والغلظة والآصار والتشديد ، قلت : ومن سلمكم ؟ قالوا : ميكائيل ، وهو ملك الرأفة واللين والتيسير ، قلت : فإني أشهد ما يحل لجبريل أن يعادي سلم ميكائيل وما يحل لميكائيل أن يسلم عدو جبريل ، فإنهما جميعاً ومن معهما أعداء لمن عادوا وسلم لمن سالموا ثم قمت فدخلت الخوخة التي دخلها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقبلني فقال : يا ابن الخطاب ألا أقرئك آيات أنزلت علي قبل ؟ قلت : بلى ، قال : فقرأ : ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ ﴾ قلت : والذي بعثك بالحق نبيا ما جئت إلا أخبرك بقول اليهود فإذا اللطيف الخبير قد سبقني بالخبر قال عمر : فقد رأيتني أشد في دين الله من حجر ^(١) .

فالأيتان تكشفان عن رذيلة عجيبة حقا من رذائل اليهود وهي عداوتهم لملك من ملائكة الله لا يأكل مما يأكلون منه ولا يشرب مما يشربون وإنما هو من الملائكة المقربين الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون وإذا فليس هناك أي مقتضى لعداوتهم إلا الحقد والكراهية والحسد أن يترل الله من فضله على من يشاء من عباده .

﴿ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴾ قال صاحب المنار : (فهذه الآية وعيد لهم بعد بيان فساد العلّة التي جاءوا بها فهم لم يدعوا عداوة هؤلاء كلهم ، ولكنهم كذلك في نفس الأمر فأراد أن يبين حقيقة حالهم في الواقع وهي أنهم أعداء الحق وأعداء كل من يمثل به ويدعو إليه فالتصريح بعداوة

(١) أسباب النزول للواحد ص ٢٦ .

جبريل كالتصريح بعداوة ميكائيل الذي يزعمون أنهم يحبونه و أنهم كانوا يؤمنون بالنبي صلى الله عليه وسلم لو كان الذي يتزل الوحي عليه.

ومعاداة جبريل عليه السلام كمعاداة سائر رسل الله لأن وظيفتهم واحدة ، فقولهم السابق وحالهم يدلان على معاداة كل من ذكر وهذا حق من ضروب إيجاز القرآن الكريم التي انفرد بها^(١).

رابعا : كفرهم بالكتب السماوية:

سجل القرآن الكريم كفرهم بآيات القرآن الكريم التي أنزلت على محمد صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ۖ﴾^(٢)

أخرج ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤساء من أحبار اليهود منهم عبد الله بن صوريا وكعب بن أسد فقال : يا معشر اليهود : اتقوا الله وأسلموا فوالله إنكم لتعلمون أن الذي جئتم به الحق ، فقالوا : ما نعرف ذلك يا محمد ، ووجدوا ما عرفوا وأصروا على الكفر فأنزل الله فيهم : ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ...﴾^(٣).

ففي هذه الآيات يأمر الله تعالى أهل الكتاب بالإيمان بما أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم من الكتاب العظيم الذي فيه تصديق الأخبار التي بأيديهم من البشارات ، وتهديدا لهم إن لم يفعلوا بقوله ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا﴾ قال ابن عباس : طمسها أن تعمى ، قال السدي : ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا﴾ فمنعها عن الحق قال : نرجعهم كفارا ونردهم قردة ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾ يعني الذين اعتدوا في سبتهم بالحيلة على الاصطياد وقد مسخوها قردة وخنازير ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ أي إذا أمر بأمر فلا يخالف ولا يمانع ثم أخبر تعالى أنه لا يغفر أن يشرك به أي لا يغفر لعبد لقيه وهو مشرك به و يغفر ما دون ذلك أي من الذنوب لمن يشاء أي من عباده^(٤).

(١) تفسير المنار/ رشيد رضا ج ١ ص ٣٩٤.

(٢) سورة النساء آية ٤٧-٤٨ .

(٣) تفسير الطبري ج ٥ ص ١٢٤.

(٤) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٤٠٠-٤٠١ باختصار.

خامسا : تحريفهم كلام الله

اليهود أمة اعتادت على التحريف من زمن موسى عليه السلام إلى يومنا الحاضر واتخذ تحريفهم ألوانا شتى ، منها تحريفهم لصفات نبي آخر الزمان محمد صلى الله عليه وسلم وتحريفهم لتعاليم التوراة التي جاء بها نبيهم موسى عليه السلام وتحريفهم للكتاب الذي أنزل عليهم ؛ بالإضافة والحذف والتبديل أو التأويل بما يوافق هواهم قال تعالى : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ^(١) .

وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتُرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴾ ^(٢) وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَابِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ^(٣) مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعِنَا لَيْتَ بِالْسِتِّهِمْ وَطَعْنًا فِي الَّذِينَ لَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمِعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ^(٤) .

يخبر الله تعالى عن اليهود - عليهم لعائن الله المتابعة إلى يوم القيامة - أنهم يشترون الضلالة بالهدى ويعرضون عما أنزل الله على رسوله و يتركون ما بأيديهم من العلم عن الأنبياء الأولين في صفة محمد صلى الله عليه وسلم ليشتروا به ثمنا قليلا من حطام الدنيا ﴿ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴾ أي يودون لو تكفروا بما أنزل عليكم أيها المؤمنون و تتركون ما أنتم عليه من الهدى و العلم النافع. ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَابِكُمْ ﴾ أي هو أعلم بهم و يحذرهم منه ، ﴿ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾ ، أي يتأولونه على غير تأويله ويفسرونه بغير مراد الله عز وجل قصدا منهم وافتراء ﴿ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا ﴾ ، أي سمعنا ما قلته يا محمد ولا نطيعك فيه ... هكذا فسر مجاهد وهو المراد وهذا أبلغ في كفرهم وعنادهم وأنهم يتولون عن كتاب الله بعدما عقلوه وهم يعلمون ما عليهم في ذلك من الإثم والعقوبة ، وقولهم ﴿ وَاسْمِعْ غَيْرَ مُسْمِعٍ ﴾ ، أي اسمع غير مقبول منك وهذا استهزاء منهم واستهتار - عليهم لعنة الله ﴿ وَرَاعِنَا لَيْتَ بِالْسِتِّهِمْ وَطَعْنًا فِي الَّذِينَ ﴾ أي يوهمون أنهم يقولون راعنا سمعك بقولهم راعنا وإنما يريدون الرعونة بسبهم النبي صلى الله عليه وسلم .

(١) سورة البقرة آية ٧٥ .
(٢) سورة النساء الآيات (٤٤-٤٦).

ولهذا قال تعالى عن هؤلاء اليهود الذين يريدون بكلامهم خلاف ما يظهرونه : ﴿ لَيْتَا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي أَلْدِينِ ﴾ يعني بسبهم النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعَ وَأَنْظَرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ .
أي قلوبهم مطرودة عن الخير مبعدة منه فلا يدخلها من الإيمان شيء نافع لهم ^(١) .

كما ذكر القرآن الكريم تحريفهم للتوراة في أكثر من موضع قال تعالى : ﴿ فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْسِيَّةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِمْ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ^(٢) .

وذكر إلياسهم الحق بالباطل وتزوير الحق في قوله تعالى : ﴿ يَأْهَلُ الْكِتَابِ لِمَ تَلْسُونُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ^(٣) .

قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُونُ أَلْسِنَتَهُمُ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ^(٤) .

وعن إخفائهم لأحكام الله قال تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ لِيَجْزِلُوهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ ^(٥) ، ويصف عدم تطبيقهم لأحكام الشريعة بقوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا مَثَلُ بَنِي الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ ^(٦) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءً فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُوا وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ ^(٧) .

(١) تفسير ابن كثير ج ١ ٣٩٩ - ٤٠٠ باختصار.

(٢) سورة المائدة آية ١٣ .

(٣) سورة آل عمران آية ٧١ .

(٤) سورة آل عمران آية ٧٨ .

(٥) سورة الأنعام آية ٩١ .

(٦) سورة الجمعة آية ٥ .

(٧) سورة المائدة آية ٤٤ .

سادسا : قتلهم الأنبياء :

بلغ الحقد من اليهود كل مبلغ حتى أنبياء الله وصفوة خلقه نالهم من حقدهم الشيء الكثير ، فحقدهم لم يتمثل في تكذيب الأنبياء فقط بل تعداه إلى الصلب والقتل ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا وقد سجل القرآن الكريم قتلهم الأنبياء في قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾ (١) وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿ (٢) ، والآية الكريمة توضح أن الله قد أخذ العهد الموثوق على بني إسرائيل بأن يعبدوا الله وحده وأن يعملوا بما أمرهم به وأن ينتهوا عما نهاهم عنه وأرسل إليهم رسلا ليبشروهم وينذروهم ولكنهم كانوا كلما جاءهم رسول من رسولنا بما يخالف أهواءهم ويضاد شهواتهم قابله تارة بالعصيان والتكذيب و تارة بالقتل والترهيب ، وحسب أولئك الفاسقون من بني إسرائيل ألا يصيبهم بلاء وعذاب بقتل الأنبياء وتكذيبهم فعموا عن الحق وأمنوا بأس الله فتمادوا في فنون الغي وصموا عن سماع المواعظ والعبر من الهداة الأخيار ثم تابوا فتاب الله عليهم ولكن عاد أكثرهم إلى العمى ولإعراض عن الانقياد للحق ورفض العمل بما أمرهم به رسلهم ﴿ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ لا تخفى عليه خافية من أعمالهم وسيحاسبهم عليها يوم القيامة وسيجازيهم بما يستحقونه من العقاب جزاء كفرهم واعتدائهم على رسل الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا ﴾ معناها أرسلنا رسلا ذوي عدد كثير وأولي شأن خطير ليهدوهم إلى صراط الله المستقيم ، ولكن كعادتهم كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم قابله بأحد أمرين ، التكذيب أو القتل فالآية الكريمة أفادت أن هؤلاء اليهود قد بلغوا من الفساد نهايته ومن تحجر القلب غايته حتى لم يعد يؤثر في نفوسهم وعظ الرسل وهديهم بل صار هذا الوعظ يغريهم بزيادة الكفر والتكذيب وقتل أولئك المصطفين الأخيار كما صور القرآن الكريم إيذاءهم لنبي الله موسى عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَرْجِعُ بَلَدُكُم بِغَيْرِكُمْ وَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظَيِّرَ لَكُمْ سَبِيلًا ﴾ (٣) وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿ (٤) .

(١) سورة المائدة لية ٧٠-٧١.

(٢) سورة الصف لية ٥-٦.

سابعاً : عقيدة اليوم الآخر عند اليهود كما يصورها القرآن الكريم

زعم اليهود أنهم أبناء الله وأحباؤه وأن الجنة لهم وحدهم دون سواهم فناقشهم القرآن الكريم وطالبهم بالبرهان ، قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (١) بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿ (٢)

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ (٣)

وقال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٤) وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ (٥) وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَخْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحِّزٍهُ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿ (٦)

(١) سورة البقرة آية ١١١-١١٢ .

(٢) سورة المائدة آية ٨١ .

(٣) سورة البقرة آية ٩٤-٩٦ .

تاريخ بني إسرائيل

أولاً : تاريخ بني إسرائيل من الأسفار اليهودية

ثانياً : تاريخ بني إسرائيل على ضوء القرآن الكريم

تمهيد

سأعرض بإيجاز شديد لتاريخ اليهود من أسفارهم التي يدعون فيها امتداد تاريخهم من إبراهيم عليه السلام إلى داود وسليمان - عليهما السلام - ثم أفند دعواه بما ورد في القرآن الكريم عن بني إسرائيل وأنبياءهم الكرام - عليهم السلام - لأن القرآن الكريم يضع أنبياء بني إسرائيل ورسولهم في الموضع الكريم اللائق بهم كرسل من عند الله العزيز الحكيم ويزيل التهم والشناعات التي ألصقت بأنبياء الله - عليهم السلام - نتيجة لتحريف اليهود كتاب ربهم واتباعهم للديانات الوثنية التي استعبدتهم فترات طويلة من الزمن .

أولاً : تاريخ بني إسرائيل من الأسفار اليهودية

ورد ذكر تاريخ اليهود في التوراة في سبعة عشر سفرًا من أصل تسعة وثلاثين سفرًا كلها تقصص حوادث تاريخية مر بها بنو إسرائيل لذا قسمتها إلى ثلاث مراحل زمنية :

١- عهد إبراهيم عليه السلام وبنيه :

جاء في الأسفار اليهودية عن الأصول لبني إسرائيل أن وجودهم بدأ منذ ظهور الجماعة العبرية الأولى - كما تسميهم التوراة - في جنوب بلاد الرافدين عندما هاجر أبرام - إبراهيم عليه السلام - وهو جد يعقوب - (إسرائيل) عليه السلام من مدينة (أور) الكلدانية في القرن العشرين قبل الميلاد متوجهاً إلى (حاران) شمال سورية بعد أن عبر نهر الفرات ^(١) ثم تابع سيره مرتحلاً إلى أرض كنعان برفقة زوجته سارا وأبيه فأقام في مدينة شكيم ^(٢) - ثم توجه إلى بيت إيل ونزل عند أهلها ضيفاً فقد جاء في سفر التكوين [٥ فأخذ أبرام ساراي امرأته ولوطاً ابناً أخيه وكل مقتنيائهما التي اقتنيا والنفوس التي امتلکا في حاران وخرجوا ليذهبوا إلى أرض كنعان فأتوا إلى أرض كنعان ٦ و اجتاز أبرام في الأرض إلى مكان شكيم إلى بلوطة مورة وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض ٧ وظهر الرب لأبرام وقال : لنسلك أعطي هذه الأرض فبنى هناك مذبحاً للرب الذي ظهر له ٨ ثم نقل من هناك إلى الجبل شرقي بيت إيل و نصب خيمته ... فبنى هناك مذبحاً للرب ودعا باسم الرب ٩ ثم ارتحل أبرام ارتحالاً متوالياً نحو الجنوب] (٣) ، ولكن إقامته لم تطل في

(١) حقائق وأباطيل في تاريخ بني إسرائيل/ فوزي محمد حميد ص ٣-١٧ .

(٢) شكيم مدينة نابلس اليوم في فلسطين .

(٣) سفر التكوين (١٢ : ٥-٩) .

أرض كنعان بسبب القحط الذي أصاب البلاد. [١٠ ... فانحدر أبرام إلى مصر ليتغرب هناك لأن الجوع في الأرض كان شديداً ١١ وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراي امرأته : إني قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر ١٢ فكيف يكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون هذه امرأته فيقتلونني و يستبقونك ١٣ قولي إنك أختي ليكون لي خير بسببك و تحيا نفسي من أجلك ١٤ فحدث لما دخل أبرام مصر أن المصريين رأوا المرأة حسنة جداً ١٥ ورآها رؤساء فرعون و مدحوها لدى فرعون فأخذت المرأة إلى بيت فرعون ١٦ فصنع إلى أبرام خيراً بسببها و صار له غنم و بقر و حمير و عبيد و إماء و أتني و جمال ١٧ فضرب الرب فرعون و بيته ضربات عظيمة بسبب ساراي امرأة أبرام ١٨ فدعا فرعون أبرام وقال ما هذا الذي صنعت بي لماذا لم تخبرني أنها امرأتك ١٩ لماذا قلت هي أختي حتى أخذتها لي لتكون زوجتي والآن هو ذا امرأتك خذها و اذهب ٢٠ فأوصى عليه فرعون رجالاً فشيعوه وامرأته و كل ما كان له] (١).

هكذا تصور التوراة أبا الأنبياء و خليل الله عليه السلام بأنه تاجر يعرضه ليحفظ حياته و يحصل على الأغنام و الأنعام !! ألا لعنة الله على اليهود المخرفين لسيرة أبي الأنبياء عليه السلام . ثم عاد إلى فلسطين و أقام في حبرون (الخليل) بينما أقام لوط عليه السلام في سدوم (٢) كما تذكر أسفارهم و لم تكن لأبرام ذرية في هذه الأرض و لم يكن له أولاد حتى جاء ابنه البكر من هاجر وهو في السادسة و الثمانين من عمره كما تحكي التوراة ثم جاء إسحاق من سارة وهو على مشارف المائة سنة وهو أول من فرض عليه الختان (٣) أما إسماعيل عليه السلام فقد عاش و نما و كثر نسله خارج أرض كنعان - في مكة - و بقي إسحاق و ذريته لاجئين في أرض كنعان عند أهلها يعملون برعي الأغنام بدون استقرار و قد أنجب إسحاق عليه السلام يعقوب عليه السلام و عيسو: [و صلى إسحاق إلى الرب لأجل امرأته لأنها كانت عاقراً فاستجاب له الرب فحبلت رفقة امرأته ٢٢ و تزاوج الولدان في بطنها.... ٢٥ فخرج الأول أحمر كله كفروة شعر فدعوا اسمه عيسو ٢٦ و بعد ذلك خرج أخوه و يده قابضة بعقب عيسو فدعي اسمه يعقوب و كان إسحاق ابن ستين سنة لما ولدتهما] (٤).

(١) سفر التكوين (١٢ : ١٠ - ٢٠) .
(٢) راجع سفر التكوين (١٨ : ١٣) و سدوم تقع تحت البحر الميت و تجري المحاولات لكثف مكانها بواسطة الغواصين و المعدات الحديثة قاموس الكتاب المقدس ص ٤٦١ .
(٣) راجع سفر التكوين إصحاح (١٦ : ١٧) .
(٤) سفر التكوين (٢٥ : ٢١ - ٢٦) .

تعليق:

مما تقدم يتضح أنه لا وجود لبني إسرائيل قبل ولادة يعقوب (إسرائيل) عليه السلام على أرض فلسطين لأن إبراهيم عليه السلام اشترى قطعة أرض ليدفن فيها زوجته سارة التي ماتت في حبرون في أرض كنعان [١] كانت حياة سارة مئة وسبعاً وعشرين سنةً سني حياة سارة ٢ وماتت سارة في قرية أربع التي هي حبرون في أرض كنعان فأتى إبراهيم ليندب سارة ويبكي عليها ٣ وقام إبراهيم من أمام ميتة وكلم بني حث قائلاً ٤ أنا غريب ونزيل عندكم أعطوني ملك قبر معكم لأدفن ميتي من أمامي [٥] .

كذلك وعد الله لإبراهيم أن نسله الذي يخرج من صلبه سيرثه و سيتغرب و يستعبد لمدة ٤٠٠ سنة ثم يعود في الجيل الرابع [١٢] ولما صارت الشمس إلى المغرب وقع على أبرام سبات و إذا رعبه مظلمة عظيمة واقعة عليه ١٣ فقال لأبرام : أعلم يقينا أن نسلك سيكون غريباً في أرض ليست لهم و يستعبدون لهم فيذلونهم أربع مئة سنة ١٦ وفي الجيل الرابع يرجعون إلى ههنا [١٧] ، وقد توفي إبراهيم عليه السلام بعد ذلك وأشترك إبناه في دفنه كما جاء في أسفارهم [وأسلم إبراهيم روحه ... ودفنه إسحاق وإسماعيل ابناه] [١٨] ، وقد أنجب إسحاق عليه السلام ابنين توأمين (عيسو ويعقوب عليهما السلام) .

ويعقوب عليه السلام المعروف بإسرائيل وأبنائه الأسباط الاثنا عشر الذين منهم بدأ تاريخ بني إسرائيل ودخلوا بالبيئة المصرية .

تعقيب

فهم بعد نبي الله إبراهيم عليه السلام لم يكن لهم وجود في أرض فلسطين ولا علاقة لهم بالأرض المقدسة فكيف يدعون أن بداية نسبهم وأصولهم تعود إلى إبراهيم عليه السلام ؟ فضلاً عن الادعاء التاريخي لهم في تلك الأرض المقدسة ؟!

(١) سفر التكوين (٢٣ : ١ - ٤) .
(٢) سفر التكوين (١٥ : ١٢ - ١٦) .
(٣) سفر التكوين (٢٥ : ٨ - ٩) .

الفترة الثانية : دخولهم مصر

حسب ادعاءات التوراة تبدأ الفترة الثانية من تاريخ بني إسرائيل بهجرة يعقوب بن إسحاق عليه السلام وجميع آل بيته إلى مصر عندما لحقوا بيوسف -عليه السلام- أحد أبناء يعقوب عليه السلام الذي أصبح يشغل منصب الوزير الأول عند فرعون في منتصف القرن الرابع عشر قبل الميلاد . وذكرت أسفارهم هذا المنصب: [٤١] ثم قال فرعون ليوسف انظر قد جعلتك على كل أرض مصر . ٤٢ وخلص فرعون خاتمه من يده وجعله في يد يوسف وألبسه ثياب بوص^(١) ووضع طوق ذهب في عنقه ٤٣ وأركبه مركبته الثانية ونادوا أمامه اركعوا . وجعله على كل أرض مصر [٤٣] . وفي سنين القحط جاء بنو إسرائيل إلى مصر ليبتاعوا القمح فتعرف عليهم يوسف عليه السلام^(٢) ثم أقاموا مع أخيه يوسف عليه السلام في دلتا مصر في أخصب البقاع في أرض جاسان^(٤) [٢٧ وسكن إسرائيل في أرض مصر في أرض جاسان وملكوا فيها وأثروا وكثروا جداً]^(٥) . ووصلوا إلى أعلى المستويات والمناصب ولم يبق ليعقوب ولا لذريته وجود في أرض كنعان وعاشوا في مصر وتكاثر عددهم واستفحل نفوذهم فخشيتهم فرعون فاستخدمهم واستعبدهم وأخذ يسومهم سوء العذاب حتى إنه أمر القابلات بقتل كل مولود ذكر يولد لهم وأمر بإلقاء كل مولود منهم في النهر حتى لا ينمون ولا يقوون^(٦) [٢٢] ثم أمر فرعون جميع شعبه قائلاً كل ابن يولد تطرحونه في النهر لكن كل بنت تستحيوها [٢٢]^(٧) .

(١) بوص : نوع فاخر من الكتان .

(٢) سفر التكوين (٤١ : ٤١-٤٣) .

(٣) قصة يوسف عليه السلام في الأسفار اليهودية مشابهة كثيراً لقصته في القرآن الكريم .

(٤) جاسان: هي منطقة خصيبة في مصر كثيرة المرعى للقطعان والمواشي واقعة شرق الدلتا وهي المعروفة الآن بالشرقية الممتدة من جوار أبي زعبل إلى البحر ومن برية جعفر إلى وادي توصيلات ، انظر قاموس الكتاب المقدس . الطبعة السابعة ، دار الثقافة ص ٢٤٢ .

(٥) سفر التكوين (٤٧ : ٢٧) .

(٦) بنو إسرائيل في القرآن والسنة/ د. طنطاوي ص ٢٠-٣٠ باختصار ، وحقائق وإباطيل في تاريخ بني إسرائيل/ فوزي محمد حميد ص ١٣-١٧ والكتاب المقدس وتاريخ اليهود/ د. صابر طعيمة ص ٢٣١ ، الفصل في تاريخ العرب اليهود/ د. أحمد سوسة ص ٤٠٠-٥٠٠ باختصار وتصرف .

(٧) سفر الخروج (١ : ٢٢) .

الفترة الثالثة :

بدأت بخروجهم من مصر في القرن الثالث عشر قبل الميلاد ^(١) بقيادة موسى عليه السلام وخليفته يوشع بن نون هاريين بأرواحهم من فرعون وجنوده تحت جناح الظلام إلى صحراء سيناء حيث أنزلت الشريعة السماوية تدعوهم إلى توحيد الله وترك عبادة الأوثان : [١٥ وقال الله أيضاً لموسى هكذا تقول لبني إسرائيل يهوه إله آبائكم إله إبراهيم وإله إسحاق وإله يعقوب أرسلني إليكم هذا اسمي إلى الأبد وهذا ذكري إلى دورٍ فدورٍ] ^(٢) .

بعد أن أرسله الله إلى فرعون يسأله أن يطلق بني إسرائيل من مصر [١١ ادخل قل لفرعون ملك مصر أن يطلق بني إسرائيل من أرضه] ^(٣) .

ورفض فرعون فأراه موسى عليه السلام آيات الله ومعجزاته وابتلي فرعون بالدم والضفادع والجراد فلم يذعن لطلب موسى عليه السلام فأمر الإله بني إسرائيل أن يستعيروا أمتعة الذهب من المصريين وأن يخرجوا في منتصف الليل من مصر وأن يضعوا دماء على الأبواب وأعتاب بيوتهم ليعرفهم الرب فلا يبدهم (٤) ، [فإني اجتاز في أرض مصر الليلة وأضرب كل بكرٍ في أرض مصر من الناس والبهائم وأصنع أحكاماً بكل آلهة المصريين أنا الرب ١٣ ويكون لكم الدم علامة على البيوت التي أنتم فيها فأرى الدم وأعبر عنكم فلا يكون عليكم ضربةٌ للهلاك حين أضرب أرض مصر] ^(٥) .

وبعد أن نجى الله موسى ومن معه من بني إسرائيل وأهلك فرعون وقومه غرقاً في اليم سار موسى وقومه في برية سيناء متجهين إلى فلسطين وكانت فلسطين عامرة بالسكان فأرسل موسى - عليه السلام - من قومه اثني عشر نقيباً ليتجسسوا أرض كنعان [١ ثم كلم الرب موسى قائلاً ٢ أرسل رجالاً ليتجسسوا أرض كنعان التي أنا معطيها لبني إسرائيل . ٢٥ ثم رجعوا من تجسس الأرض بعد أربعين يوماً . ٢٧ وأخبروه وقالوا ذهبنا إلى الأرض التي أرسلتنا إليها وحقاً إنها تفيض لبناً وعسلاً وهذا ثمرها ٢٨ غير أن الشعب الساكن في الأرض معتر والمدن حصينة عظيمة جداً ٣٣ وقد رأينا هناك الجبابرة بنى عناقٍ من الجبابرة فكنا في أعيننا كالجراد وهكذا كنا في أعينهم] ^(٦) .

(١) وجدت اختلافاً كبيراً في تدوين تاريخ الخروج بين الكتابات المختصين فمنهم من حاول ربط تاريخهم بالهكسوس أي خروج الهكسوس من مصر والرأي الآخر يرى أن خروجهم كان في عهد تحتمس الثالث ، يرى أصحاب هذا الرأي أن الخروج قد وقع في عهد رمسيس الثاني وابنه مونتحات . ومنهم من يرى أنه لخريات أيام الأسرة التاسعة عشرة الفرعونية ، انظر كتاب بنو إسرائيل في العصور الغابرة ، د. جمال محمد سعيد مكتبة الزهراء ص ٤٣-٥٥ ، وانظر المدخل لدراسة التوراة / د. محمد البار ص ٦٣-٦٦ .

(٢) سفر الخروج (٣ : ١٥) .
(٣) سفر الخروج (٦ : ١١) وهذا مخالف لما ورد في القرآن الكريم فالله أرسل موسى إلى فرعون يدعوه إلى التوحيد والإيمان هو وقومه ثم يخرج بمن آمن منهم إلى الأرض المقدسة .

(٤) نسبوا لله عز وجل الجهل تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ، والأمر بالسرقة كذلك ألا لعنة الله عليهم .

(٥) سفر الخروج (١٢ : ١٢-١٤) .

(٦) سفر العدد (١٣ : ١-٢ ، ٢٥-٢٨ ، ٣٣) ذكرت موضع الشاهد فقط .

وتمكن الخوف من قوم موسى عليه السلام وتقاعسوا عن دخولها وقتال أهلها وتمنوا الموت والرجوع إلى فرعون الظالم فكانت نتيجة جبنهم وعصيانهم أن ابتلاههم الله بالتيه أربعين سنة مات خلالها موسى عليه السلام وعمره مئة وعشرين سنة : [٢٦ وكلم الرب موسى وهارون قائلاً ٢٧ حتى متى أغفر لهذه الجماعة الشريرة المتدمرة على ٢٩ في هذا القفر تسقط جثثكم جميع المعدودين منكم حسب عددكم من ابن عشرين سنة فصاعداً الذين تدمروا على ٣٠ لن تدخلوا الأرض التي رفعت يدي لأسكنكم فيها ٣١ وأما أطفالكم الذين قلتهم يكونون غنيمة فلبي سأدخلهم فيعرفون الأرض التي احترقوها ٣٣ وبنوكم يكونون رعاة في القفر أربعين سنة ويحملون فجوركم حتى تفنى جثثكم في القفر ٣٤ كعدد الأيام التي تجسستم فيها الأرض أربعين يوماً للسنة يوم تحملون ذنوبكم أربعين سنة فتعرفون ابتعادي] (١) .

[١ وصعد موسى من عربات موآب* إلى جبل نبو إلى رأس الفسجة الذي قبالة أريحا فأراه الرب جميع الأرض من جلعاد** إلى دان ٤ وقال له الرب هذه هي الأرض التي أقسمت لإبراهيم وإسحاق ويعقوب قائلاً لنسلك أعطيها . قد أريتك إياها بعينيك ولكنك إلى هناك لا تعبر ٥ فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب ٦ ودفنه في الجواء في أرض موآب مقابل بيت فغور ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم ٧ وكان موسى ابن مئة وعشرين سنة حين مات ولم تكل عينه ولا ذهب نضارته ٨ فبكى بنو إسرائيل موسى ثلاثين يوماً] (٢) ، وبعد خروج بني إسرائيل من مصر بدأت متاعب موسى عليه السلام وهذا مما يوحي بأن التفات أكثرتهم حول موسى لا لصفته رسولاً ولكن بصفته قائداً يرجى على يديه الخلاص من استعباد الفراعنة ولذلك لم يكادوا يتحققون من نجاحهم من فرعون حتى شغبوا على موسى عليه السلام (٣) .

(١) سفر العدد (١٤ : ٢٦-٣٤) .

(٢) سفر التثنية (٣٤ : ١-٨) .

* عربات موآب وهي في وادي الأردن مقابل أريحا بين مصب يبرق والبحر الميت / قاموس الكتاب المقدس ص ٩٢٨ .

** جلعاد : قطر جبلي شرق الأردن يشتمل على البلقاء الحديثة ، أرضه صخرية وعرة / قاموس الكتاب المقدس ص ٢٦٤ .

(٣) اليهودية/ أحمد شلبي ص ٧١ .

ومر تاريخ اليهود بعد موسى عليه السلام بعدة مراحل أهمها :

١- عهد يوشع بن نون (عليه السلام) ^(١)

بعد وفاة موسى وهارون عليهما السلام تولى رئاسة بني إسرائيل يوشع بن نون وتحكي التوراة أن يوشع عبر ببني إسرائيل نهر الأردن إلى الأرض المقدسة وأن أول مدينة استطاع يوشع ومن معه أن يدخلوها هي مدينة (أريحا) ثم مدينة العي ^(٢) وأن بني إسرائيل بعد أن دخلوا هاتين المدينتين قتلوا معظم سكانها ثم صلبوا ملك العي (عاي) على باب المدينة ^(٣) .

[٢٤] وكان لما انتهى إسرائيل ^(٤) من قتل جميع سكان عاي في الحقل في البرية حيث حقوهم وسقطوا جميعاً بحد السيف حتى فنوا أن جميع إسرائيل رجع إلى عاي وضربوها بحد السيف ٢٥ فكان جميع الذين سقطوا في ذلك اليوم من رجال ونساء أثنى عشر ألفاً جميع أهل عاي ٢٩ وملك عاي علقه على الخشبة إلى وقت المساء وعند غروب الشمس أمر يشوع فأنزّلوا جثته عن الخشبة وطرحوها عند مدخل باب المدينة وأقاموا عليها رجمة حجارة عظيمة إلى هذا اليوم] ^(٥) .

والذي نأخذه من نصوص التوراة أن بني إسرائيل بعد انتصارهم على الكنعانيين أعملوا فيهم السيف وحرقوا بلادهم ولم ينج من أيديهم إلا من فر من وجوهم ، ويصف صاحب قصة الحضارة ما فعله بنو إسرائيل بالكنعانيين قائلاً (كانت هزيمة العبرانيين للكنعانيين مثلاً واضحاً لانقضاء جموع جياح على جماعة مستقرين آمنين ، وقد قتل العبرانيون من الكنعانيين أكثر من استطاعوا قتلهم وسبوا من بقي من نسائهم وجرت دماء القتلى أثاراً وكان هذا القتل - كما تقول نصوص الكتاب المقدس - فريضة الشريعة التي أمر بها الرب موسى وزكاة للرب ، ولما استولوا على إحدى المدن قتلوا من أهلها اثني عشر ألفاً وأحرقوا وصلبوا حاكمها ... ولسنا نعرف في تاريخ الحروب مثل هذا الإسراف في القتل والاستمتاع به ، وطبق يوشع ^(٦) قانون الطبيعة الذي يقول : " إن أكثر الناس قتلاً هو الذي يبقى حياً " وبهذه الطريقة التي لا أثر فيها للعواطف استولى اليهود على الأرض الموعودة) ^(٧) .

(١) هو يوشع بن نون بن أفرايم بن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام فتى موسى الذي ورد ذكره في سورة الكهف وكان اسمه هوشع غير أن موسى غيّرهُ إلى يوشع انظر سفر العدد (١٣ : ١٦) نقلاً عن كتاب البداية والنهاية / لابن كثير ج ١ ص ٣٧٢ .

(٢) العي: نقلاً من الكتب ولكنها تكتب في الكتاب المقدس عندهم (عاي) وهو اسم عبري معناه (خراب) تعرف اليوم باسم التل في أرض كنعان شرق بيت إيل انظر قاموس الكتاب المقدس ٥٩١ .

(٣) بنو إسرائيل في القرآن والسنة د. محمد سيد طنطاوي انظر سفر يشوع (١: ١-٧) .

(٤) يخاطب الرب بني إسرائيل بصيغة المفرد في أحيان كثيرة .

(٥) سفر يشوع (٨ : ٢٤-٢٩) .

(٦) ملاحظة : سفر يوشع من أكثر الأسفار قراءة وحفظاً وشيوعاً بين الطلاب في المدارس الإسرائيلية اليوم وكلهم يتمنون أن يكونوا مثل يوشع بن نون ، المدخل لدراسة العهد القديم / د. البار ص ٦٨ .

(٧) قصة الحضارة / ول ديورانت ج ٢ ص ٣٢٦ باختصار .

٢- عهد القضاة :

وبعد وفاة يوشع بن نون انقطعت القيادة الجماعية لبني إسرائيل وتفرقت الأسباط إلى مجموعات ترتبط بأحلاف دفاعية واهية فهي فترة قلق مضطربة ضعفت فيها الأسباط وغزقهم القوات الكنعانية ، والقضاة كانوا من الكهنة ينتخبهم كبار الشعب حكاماً لبني إسرائيل إذا أملت بهم الأخطار المحدقة وقد بلغ عدد القضاة سبعة عشر قاضياً وكان بعض القضاة أحياناً من النساء^(١) وهم كآآتي :

- | | | |
|----------------------|-----------------------------------|---------------------|
| ١- عثيئيل بن قناز | ٢- أهود بن حيرا | ٣- شمعون بن عناة |
| ٤- دبورة (من النساء) | ٥- جدعون بن يواشي | ٦- أييمالك بن جدعون |
| ٧- تولع بن فواه | ٨- يائير الجلعاوي | ٩- يفتاح الجلعاوي |
| ١٠- أبصان | ١١- أيلول الزبلوني | ١٢- عبدون بن هليل |
| ١٣- شمشون | ١٤- عالي الكاهن | ١٥- صموئيل |
| ١٦- يوثيل بن صموئيل | ١٧- أبيا بن صموئيل ^(٢) | |

● دبورة كانت نبية وهو ما يخالف ما أقره القرآن الكريم في قوله تعالى :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾^(٣) ، وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾^(٤) . وفي قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾^(٥) .

ولم تكن طاعة القضاة واجبة لذلك ارتد بنو إسرائيل عن عبادة الله في هذه الفترة سبع مرات على الأقل وعبدوا فيها الأوثان مثل البعل (البعليم) وعشتاروت وملكوم والتراقيم وشيدوا لها المعابد وقدموا القرابين والنذور لهذه الأصنام حتى إنهم قدموا أبناءهم وبناتهم لهذه المعابد قرباناً^(٦) فانتقم الله منهم وسلط عليهم أعداءهم وآل أمر القضاة إلى صموئيل فلما شاخ جعل بنيه قضاة ولكنهم

(١) سفر القضاة (١-٢١) وسفر صموئيل الأول (١: ٨) .

(٢) التناقض في تواريخ التوراة / محمد قاسم ص ٣٠٦-٣٣٦ .

(٣) سورة يوسف آية ١٠٩ .

(٤) سورة النحل آية ٤٣ .

(٥) سورة الأنبياء آية ٧ .

(٦) المدخل لدراسة التوراة/ د. البار ص ٧٢ .

أخذوا الرشوة وظلموا في القضاء فطلب شيوخ بني إسرائيل من صموئيل أن يعين لهم ملكاً وبذلك بدأ عهد الملوك بأول ملك وهو شاول ^(١) .
وهناك خلاف في المدة التي حكم فيها القضاة والتي تخللها استعباد بني إسرائيل من قبل الكنعانيين وسنحقق في هذه المدة في الفصل القادم - إن شاء الله ^(٢) .

(١) موسوعة الأديان السماوية والوضعية ص ٩٨-٩٩ .
(٢) حقق الموضوع صاحب كتاب التناقض في تواريخ وأحداث التوراة من أمم حتى سبي بابل إعداد / محمد قاسم محمد ، جامعة قطر ،
وانتبهت اجتماع أكثر من قاضي في أكثر من مكان لكثرة فسادهم وأكد أن الفترة الزمنية لعهد القضاة لا تزيد عن ١٢٠ سنة وأن بقاءهم في
الأرض المقدسة لا يزيد عن قرنين من الزمان فأين حقهم المزعوم فيها !! انظر ص ٢٨٣-٣٥٤ .

ثانيا : تاريخ بني إسرائيل على ضوء القرآن الكريم

القرآن هو الحكم في قضية التاريخ الإسرائيلي وما يتعلق به من دعوى أو افتراء لأن القرآن محفوظ بحفظ الله تعالى له حيث قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ^(١) .

ولقد فند القرآن الكريم ادعاء بني إسرائيل بأن جذورهم الدينية تمتد إلى إبراهيم عليه السلام بقوله تعالى : ﴿ يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِىٓ إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ^(٢) هَتَأْتُمْ هَٰؤُلَاءِ حَلَجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ^(٣) ، وما زال اليهود إلى اليوم يصرون على تزييف التاريخ والمطالبة بحقوقهم المزعومة في التوراة بشتى الوسائل الإعلامية اليوم ^(٤) .

أولا : إبراهيم عليه السلام :

جميع الأديان السماوية تفخر بأن تنتسب إلى إبراهيم عليه السلام فهو بلا شك أبو الأنبياء - على التغليب فمعظم الأنبياء من نسله - فقد كان حنيفا مسلما ولم يك من المشركين .

عقيدته

نزل الوحي الإلهي على قلب الأنبياء والرسل من آدم عليه السلام حتى محمد صلى الله عليه وسلم بعقيدة التوحيد وهى عبادة الله وحده ولكن لم يلبث أبناء آدم قرونا حتى نسوا ما عاهدوا الله عليه فبعث الله إليهم الرسل ليذكروهم بهذه العقيدة . قال تعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأُنزِلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَىٰ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ ^(٥) فعقيدة إبراهيم عليه السلام كانت العقيدة الصحيحة وهى عبادة الله وحده

(١) سورة الحجر آية ٩ .
(٢) سورة آل عمران آية ٦٥-٦٦ .
(٣) في يوم ١٠/١/١٩٩٩م تم افتتاح معرض ديزني لاند للأطفال بأمريكا وفى جزء العالم عام ٢٠٠٠ قررت الحكومة اليهودية إعلان القدس عاصمة لدولة إسرائيل متجاهلة حق النصارى والمسلمين فى هذه المنطقة المقدسة ولم يكن منا نحن المسلمين إلا توزيع منشورات ورقية تثبت حقنا فى فلسطين بعد أن أعلن رئيس مجلس الجامعة العربية عدم مقاطعته لديزني لاند بحجة أنه تلقى وعدا يهودية تكفل عدم إعلان ذلك / راجع جريدة الشرق الأوسط بتاريخ ١٩٩٩/٩/٢٥ الموافق ١٥/٦/١٤٢٠هـ .
(٤) سورة البقرة آية ٢١٢ .

لَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ^(١) .

موطنه

ويذكر أهل السير والتاريخ والأخبار أن إبراهيم عليه السلام ولد ببابل بالعراق في قوم كانوا يعبدون الأصنام والكواكب ^(٢) ، فاصطفاه الله واختاره لحمل رسالة الإسلام إلى قومه عبدة الأوثان من أهل أور الكلدانية قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ^(٣) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٤) .

دعوته :

بدأ إبراهيم عليه السلام دعوته بأبيه فهو أقرب الناس إليه وكان أبوه ^(٥) ممن يعبد ويصنع الأصنام قال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾ ^(٦) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴾ ^(٧) يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴾ ^(٨) يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴾ ^(٩) يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴾ ^(١٠) قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لِنِ لَمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾ ^(١١) قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾ ^(١٢) وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴾ ^(١٣) ، فذكر تعالى ما كان بينه وبين أبيه من المحاوراة والمجادلة وكيف بدأ بدعوة أبيه إلى الحق بالطف عبارة وأحسن إشارة لبيان بطلان ما هو عليه ثم انطلق يدعو قومه ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾ ^(١٤) وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴾ ^(١٥) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ ^(١٦) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُّ لَهَا مِنْ سَحَابٍ مُبَارَكٍ قَالُوا هَلْ يَسْمَعُونَكُمُ إِذْ تَدْعُونَ ﴾ ^(١٧) أَوْ يَنْفَعُونَكُمُ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾ ^(١٨) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ ^(١٩) قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴾ ^(٢٠) أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ

(١) سورة العنكبوت آية ١٦ .
(٢) قصص الأنبياء ابن كثير ص ٨٦ الناشر ابن خلدون تحقيق ومراجعة لجنة من العلماء بإشراف الناشر الإسكندرية .
(٣) سورة البقرة الآيتان ١٣٠-١٣١ .
(٤) ويقال أن أزرعه راجع الخلاف في ذلك تفسير الرازي ج ٢٠ ص ١٤٥ .
(٥) سورة مريم من آيه ٤١-٤٨ .

فَانَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيَ إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّنِي بِالصَّلَاحِينَ ﴿٨٣﴾ .

وفي هذه الآيات الكريمات يعلن إبراهيم عليه السلام براءته من عبادة الأوثان التي لا تضر ولا تنفع وإخلاصه عبادة الرحمن وتوضيح أسباب هذه البراءة من خلال إثبات عجز الأوثان عن النفع أو الضر وإثبات صفات الخالق عز وجل بعدة أساليب منها :

١ - المناظرة العقلية بين إبراهيم عليه السلام وقومه

قال تعالى ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْسَ لِي بِهِ يَهْدِينِ رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٨﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَنْفُومِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٩﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٠﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحْجِّجُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨١﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٤﴾ .

(١) سورة الشعراء الآيات ٦٨-٨٣ .

(٢) سورة الأنعام الآيات ٧٥-٨٣ .

قال ابن كثير : (إن إبراهيم عليه السلام كان في هذا المقام مناظرا * لقومه مبينا لهم بطلان ما كانوا عليه من عبادة الهياكل والأصنام) (١) .

فبين في المقام الأول مع أبيه خطأهم في عبادة الأصنام التي صنعوها على صور السماوية ليشفعوا لهم إلى الخالق العظيم الذي هم عند أنفسهم أحقر من أن يعبدوه وإنما يتوسلون إليه بعبادة ملائكته ليشفعوا لهم عنده في الرزق والنصر وغير ذلك بما يحتاجون إليه . وبين في المقام الثاني خطأهم وضلالهم في عبادة الهياكل وهي الكواكب السيارة السبعة المتميزة وهي الزهرة ، والقمر ، وعطارد ، والشمس ، والمريخ ، والمشتري ، وزحل) وأشدها إضاعة وأشرفها عندهم الشمس ثم القمر ثم الزهرة فبين عليه السلام أن هذه الزهرة لا تصلح للإلهية فإنها مسخرة مقدرة بسير معين لا تزيع عنه يمينا ولا شمالا ولا تملك لنفسها تصرفا بل هي جرم من الأجرام خلقها الله منيرة لما له في ذلك من الحكم العظيمة وهي تطلع من المشرق ثم تسير فيما بينه وبين المغرب حتى تغيب عن الأبصار فيه ثم تبدو في الليلة المقبلة على هذا المنوال ومثل هذه لا تصلح للإلهية ثم انتقل إلى القمر فبين فيه مثل ما بين في النجم ثم انتقل إلى الشمس كذلك فلما انتفت الإلهية عن هذه الأجرام الثلاثة التي هي أنور ما تقع عليه الأبصار وتحقق ذلك بالدليل القطع : ﴿ قَالَ يَلْقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ أي بريء من عبادتهم وموالاهن (٢) .

وقال الزمخشري : (كان أبوه وقومه يعبدون الأصنام والكواكب فأراد أن ينبههم على ضلالهم ويرشدهم إلى الحق من طريق النظر والاستدلال ويعرفهم أن النظر الصحيح مؤد إلى ألا يكون شيء منها إلها وأن وراءها محدثا أحدثها ومدبرا دبر طلوعها وأفولها وانتقالها ومسيرها وقوله : ﴿ هَذَا رَبِّي ﴾ قول من ينصف خصمه مع علمه بأنه مبطل فيحكي قوله كما هو غير متعصب لمذهبه ، لأن ذلك أدعى إلى الحق ثم يكر عليه فيبطله بالحجة (٣) .

* بالرجوع إلى كتب المفسرين نجد أنهم اختلفوا أولا في وقت هذه الرواية هل كانت قبل البلوغ أم قبل الرسالة واختلفوا ثانيا هل هذا كان في مقام النظر والاستدلال لنفسه أم كان في مقام المناظرة والحجاج لقومه ؟؟ وهذا الخلاف مذكور في تفسير الطبري ج ١١ ص ٤٧٠-٥٠٦ وتفسير النسفي ج ٢ ص ١٩ ولم أذكر الرأي المرجوح في صلب الرسالة لمناقشته مع مفهوم العصمة للأنبياء، واكتفيت بذكر الرأي الراجح والله أعلم .

(١) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٢٤٠-٢٤٧ وتفسير الكشاف/ للزمخشري ج ٢ ص ٣٠-٣٣ .
(٢) تفسير ابن كثير ج ٢/٢٤٢-٢٤٣ وتفسير الكشاف/ للزمخشري ج ٢ ص ٣٠-٣٣ وتفسير المنار/ رشيد رضا ج ٣ ص ١٠٢ .
(٣) تفسير الكشاف/ للزمخشري ج ٢ ص ٣١ .

٢- إقامته الحجة العملية على بطلان عبادتهم

استخدم إبراهيم عليه السلام أسلوباً آخر غير المناظرة العقلية وهو المجادلة الكلامية ثم إثبات بطلان ما يدعون بالحجة العملية وقد صورها القرآن الكريم في قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُسُدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَلِيمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عِبَادِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾

فأخبر الله تعالى أن إبراهيم عليه السلام أنكر على قومه عبادة الأوثان وحرقها ثم كسرهما لبيان بطلانها وإثبات أنها لا تنطق فضلاً عن أن تدفع الأذى عنها أو تنفع أو تضر فلم تبق لهم حجة ولا شبهة إلا استعمال القوة والسلطان لينصروا ما هم عليه من سفه وطمغيان فكادهم الرب جل جلاله وأعلى كلمته ودينه وبرهانه ^(١).

(١) سورة الأنبياء الآيات ٥١-٧٠ .

(٢) قصص الأنبياء لابن كثير ص ٩١-٩٢ بتصريف واختصار .

٣- دعوته للملك

يذكر القرآن الكريم مناظرة إبراهيم الخليل عليه السلام مع ملك جبار متمرّد ادعى لنفسه الربوبية فأبطل الخليل عليه السلام دليّله وبين كثرة جهله وقلة عقله وألجمه الحجة وأوضح له طريق المحجة قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ ءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (١) .

٣- هجرته

هاجر إبراهيم عليه السلام فرارا بعقيدته وناشرا لها فهاجر من العراق إلى فلسطين ثم إلى مصر ثم إلى مكة واستقر في أرض الشام كي يتمكن من عبادة ربه ودعوة الخلق إليه (٢) . قال تعالى : ﴿ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (٣) . وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَاهُ لُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ (٤) . وهكذا نرى أن القرآن الكريم أنصف الأنبياء ودافع عن سيرتهم وطهرها من كل ما لطخته يد اليهود والذين يدعون نسبهم إلى إبراهيم عليه السلام ويدعون أن هجرته كانت بسبب الجذب والقحط والبحث عن الأموال وأغفلوا رسالة التوحيد التي دعا إليها جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

(١) سورة البقرة آية ٢٥٨ .
(٢) قصص الأنبياء ص ٩٣-٩٦ باختصار وتصرف .
(٣) سورة النكبات آية ٢٦ .
(٤) سورة الأنبياء آية ٧١ .

أبنائه

أنعم الله على نبيه إبراهيم عليه السلام بالذرية الطيبة المباركة فوهب له إسماعيل وإسحاق وجعلهما من الصالحين قال تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَءَاتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ^(١). وقوله تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴾ ^(٢) وفي ذكر إسماعيل عليه السلام قال تعالى : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ ^(٣).

ابتلاؤه

رزق إبراهيم عليه السلام بابنه البكر الأول إسماعيل عليه السلام وهو شيخ كبير على رأس ست وثمانين سنة من عمره قال تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ ^(٤) وأمر أن يسكن إسماعيل وأمه هاجر في واد غير ذي زرع لحكمة يعلمها الله ، فقد جاء في البخاري عن ابن عباس (أن هاجر سألت إبراهيم عليه السلام حين وضعها وابنها هناك في مكة عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد ثم قفى منطلقا : " آله أمرك بهذا ؟ فقال : نعم ، قالت إذا لا يضيعنا) ^(٥).

(١) سورة العنكبوت آية ٢٧ .

(٢) سورة الأنبياء آية ٧٢ .

(٣) سورة البقرة آية ١٢٧ .

(٤) سورة إبراهيم آية ٣٩ .

(٥) صحيح البخاري كتاب الأنبياء حديث رقم ٣٣٦٤ وفي الفتح ج ٦ ص ٣٩٦

وكان إبراهيم عليه السلام يزوره بين الحين والحين ولما شب وبلغ السعي رأى في المنام أنه يذبحه ورؤيا الأنبياء حق ، قال تعالى :

﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ (١) رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿٣﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبُنَىٰ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَتَأْتِيَ أَفْعَلٌ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٤﴾ ، يذكر الله تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام — أنه لما هاجر من بلاد قومه سأل ربه أن يهب له ولدا صالحا ، فبشره الله بغلام حلیم ، وهو إسماعيل عليه السلام لأنه أول من ولد له على رأس ست وثمانين سنة من عمر الخليل وهذا ما لا خلاف فيه بين أهل الملل لأنه أول ولده وبكره وقوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ ﴾ أي شب وارتحل وأطلق ما يفعله أبوه من السعي والعمل . فلما كان هذا رأى إبراهيم عليه السلام في المنام أنه يأمر بذبح ولده هذا وفي الحديث عن ابن عباس : (رؤيا الأنبياء وحي) . وهذا اختبار من الله عز وجل لخليله في أن يذبح هذا الولد العزيز الذي جاءه على كبر ، وقد طعن في السن بعدما أمر أن يسكنه هو وأمه في بلاد قفر ، وواد ليس به حسيس ولا أنيس ، ولا زرع ولا ضرع فامتثل أمر الله في ذلك وتركهما هناك ثقة بالله وتوكلا عليه فجعل الله لهما فرجا ومخرجا ورزقهما من حيث لا يحتسبان ثم أمره بعد هذا كله بذبح ولده وهو بكره ووحيد الذي ليس له غيره ، فأجاب ربه وامتثل أمره وسارع إلى طاعته ثم عرض ذلك على ولده ليكون أطيب لقلبه وأهون عليه من أن يأخذه قسرا أو يذبحه قهرا قال : ﴿ يَبُنَىٰ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴾ فبادر الغلام الحلیم سر والده الخليل إبراهيم فقال : ﴿ يَتَأْتِيَ أَفْعَلٌ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ وهذا الجواب في غاية السداد والطاعة للوالد ولرب العباد قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا ﴾ أي استسلما لأمر الله وعزما على ذلك .

قال ابن عباس ومجاهد وسعيد ابن جبیر وقتادة والضحاك : أضجعه كما تضجع الذبائح وبقي طرف جبينه لاصقا على الأرض وأسلما أي سمى إبراهيم وكبر وتشهد الولد للموت فعند ذلك نودي من الله عز وجل : ﴿ أَنْ يَتَابَرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا ﴾ أي قد حصل المقصود من اختبارك وطاعتك ومبادرتك إلى أمر ربك وبذلك سلم ولدك من القربان كما سلم بدنك من النيران

(١) سورة الصافات آية ٩٩-١٠٢ .

وكما بذلت مالك للضيفان ولهذا قال تعالى ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ أَلْبَتَأُ الْمُبِينُ﴾ أي الاختبار الظاهر المبين^(١).

فضله :

قال تعالى : ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾^(٢).

فإبراهيم - عليه السلام - هو أبو الأنبياء وهو الجد الأكبر لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذ إنه من ولد إسماعيل ، وإسماعيل هو ابن إبراهيم فيكون إبراهيم هو الجد الأعلى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خص الله تبارك وتعالى إبراهيم عليه السلام بخصائص ومزايا فريدة فجعله أبا للأنبياء وإماما للأتقياء وقدوة للمرسلين واختاره من بين الرسل والأنبياء بالخلة والاصطفاء فهو خليل الرحمن ومنه تناسل الأنبياء وتتابعوا الأجيال عقب الأجيال فجميع أنبياء بني إسرائيل من نسله لأنهم من أولاد يعقوب بن إسحاق قال تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ وإسحاق هو ابن إبراهيم فمن إبراهيم تتفرع شجرة النبوة حتى خاتم الرسل صلوات الله عليه من نسله لأنه من ولد إسماعيل قال تعالى : ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَءَاتَيْنَاهُ أُجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٣).

وقد ابتلي الخليل بأنواع من الابتلاء وامتنحن بضروب من الامتحان فصبر وكان في إيمانه مثل الجبال الرواسخ لم يتزعزع ولم يضطرب ولم يدخل إليه وهن أو ضعف وكان ابتلاؤه بنفسه أولا بإحراقه في النار فنجاه الله منها ، وثانيا ابتلاؤه بأهله فقد روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (أن إبراهيم لم يكذب قط إلا ثلاث كذبات كل ذلك في ذات الله قوله : ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ وقوله : ﴿بَلْ فَعَلَهُم كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ وبينما هو يسير في أرض جبار من الجبابرة إذ نزل متزلا فأتي الجبار فقيل له : إنه قد نزل هاهنا رجل معه امرأة من أحسن الناس فأرسل إليه فسأله عنها فقال : من هذه ؟ قال : أختي ، فلما رجع إليها قال : إن هذا سألني عنك فقلت : إنك أختي وإنه ليس اليوم مسلم غيري وغيرك وإنك أختي فلا تكذبيني فأرسل إليها فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فأخذ فقال ادعي الله لي ولا أضرك فدعت الله فأطلق ثم تناولها

(١) الأنبياء / لابن كثير ج ١ ص ١٢٤

(٢) سورة مريم آية ٤١ .

(٣) سورة العنكبوت آية ٢٧ .

الثانية فأخذ مثلها أو أشد فقال: ادعي الله لي ولا أضرك فدعت فأطلق فدعا بعض حجبته فقال: إنك لم تأتني بإنسان ، ولكنك أتيتني بشيطان فأخرجها وأعطاهها هاجر فجاءت إبراهيم وهو قائم يصلي فلما أحس بها انصرف فقال : مهيم ؟ فقالت كفى الله كيد الظالم وأخدمني هاجر (^١) ، ثالثا ابتلاؤه بولده إسماعيل عليه السلام حين أمر أن يذبحه وفداه الله بذبح عظيم وكان مثالا للعبودية والطاعة والإذعان لأوامر الله ولهذا جعله الله قدوة للأنبياء بل جعله أمة بمفرده قال تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ^(٢) ، فكان عبدا وفيما فاختاره الله خليلا : ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ ^(٣) ، وأكرمه الله وشرفه ببناء الكعبة بيت الله الحرام مع ولده إسماعيل قال تعالى : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ ^(٤) .

الخلاصة

يتضح لنا مما سبق أن القرآن الكريم - بعكس الأسفار اليهودية - قدم لنا إبراهيم عليه السلام صاحب دعوة وحامل رسالة فهاجر من أرض العراق إلى أرض كنعان لنشر دينه في مكان غير هذه الأرض التي لم تتقبل دعوته بقبول حسن ، وتقص علينا الآيات كيف بدأ إبراهيم عليه السلام دعوته مع أبيه يهديه بها صراطا مستقيما غير أن أباه رفض الدعوة بل هددته إن لم ينته عنها ليرجمه وليهجرنه مليا فما كان من الخليل تأدبا مع أبيه إلا أن يدعو له بالمغفرة على عكس ما ذكر في أسفارهم من أن إبراهيم عليه السلام هاجر مع والده إلى أرض كنعان بسبب القحط وطمعاً في مزيد من الأنعام كما تحرف وتصف إبراهيم عليه السلام في هجرته إلى أرض مصر بالجبان الذي يتاجر بزوجه خوفا من فرعونها وطمعاً في الغنيمة على عكس ما صورته الأحاديث الصحيحة أنه مهاجر في أرض جبار من الجبابرة لنشر دين الله . كما ذكر القرآن الكريم أخبار إبراهيم ورحلته إلى الحجاز وترك ولده إسماعيل وزوجه هاجر فيها امتثالا لأمر الله ورغبة في نشر الإيمان بالله في بيئة جديدة وفي مناخ جديد بعد أن قام بذلك في العراق وسوريا وفلسطين ومصر . وأرى أن اليهود طمست ذكر رحلته إلى أرض الحجاز للطعن في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم فالقرآن

(١) رواه البخاري في كتاب الأنبياء ج ٦ ص ٣٣٦ في كتاب الفضائل والنكاح . وكتمان إبراهيم عليه السلام أمر زوجته ليس لكسب الغنم والمال كما في الأسفار اليهودية بل دفاعا عن النفس وحرصا على نشر الدعوة إلى الله .

(٢) سورة النحل آية ١٢٠ .

(٣) سورة النساء آية ١٢٥ .

(٤) سورة البقرة آية ١٢٤ .

الكريم على عكس التوراة ينظر إلى إبراهيم عليه السلام على أنه خليل الرحمن فكان أمة قانتا لله وهو الأسوة الحسنة للمؤمنين جميعا قال تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١) .

وقرن الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله بالصلاة على خليل الله إبراهيم وآله وجعلها مفروضة خمس مرات يوميا في التشهد الأخير من الصلوات المفروضة وكذلك في السنن النافلة.

ومن ثم فقد أوحى الله إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ (٢) .

ومن هنا فلا يرغب عن ملته إلا من سفه نفسه فهو عليه السلام أول من أعطى المسلمين اسمهم وأول من دعا لهم ربهم أن يبعث فيهم رسولا منهم يهديهم سواء السبيل وهو رافع أساس كعبتهم الشريفة في مكة أقدس بقاع الأرض قاطبة ودعا لهم بالبركة فيها : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴾ (٣) .

وهو أول من أذن في الناس بالحج .

وفند القرآن الكريم مزاعم أهل الكتاب في كون إبراهيم عليه السلام يهوديا أو نصرانيا قال تعالى ﴿ يٰٓأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِتْنَةَ إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِيهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٤) هَاتُنتُمْ هَؤُلَاءِ حُجَجَكُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٥) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٦) .

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (اجتمعت نصارى بجران وأخبار اليهود عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنازعوا عنده فقالت الأخبار : ما كان إبراهيم إلا يهوديا وقالت النصارى : ما كان إبراهيم إلا نصرانيا فأنزل الله تعالى الآية) (٧) .

(١) سورة النحل آية ١٢٠ .
(٢) سورة النساء آية ١٢٥ .
(٣) سورة البقرة آية ١٢٥ .
(٤) سورة آل عمران آية ٦٥-٦٨ .
(٥) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٧٢ .

فالآيات الكريمة صرحت ببراءة إبراهيم عليه السلام من كل دين يخالف الوجدانية وتنفي عنه صفة اليهودية والنصرانية وأثبتت له صفة الحنيفية ونفت عنه الشرك وأعلنت الآيات أن أولى الناس بإبراهيم هم الذين اتبعوه في وحدانية الله والابتعاد عن الشرك أولاً ثم محمد صلى الله عليه وسلم ثانياً والذين آمنوا معه ثالثاً فعن ابن مسعود عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال (لكل نبي ولاية من النبيين وإن وليي منهم أبي و خليل ربي ثم قرأ) : ﴿ إِنِّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١) .

ولا شك أن جميع أصحاب الشرائع السماوية -اليهودية والمسيحية والإسلامية - تتشرف بالانتساب إلى خليل الرحمن عليه السلام لمكانته السامية التي حرفت في التوراة فلم توفه حقه عليه السلام والذي أوفاه حقه هو كتاب الله العزيز الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قال تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (٢) .

(١) سورة آل عمران آية ٦٨ .

(٢) سورة النحل آية ١٢٠ .

تعليق :

ذكر القرآن الكريم العهد الذي أعطاه الله لإبراهيم عليه السلام ونسله بصورة منطقية مشرفة مختلفة عن تلك الصورة التي ترسمها أسفارهم المحرفة قال تعالى : ﴿ وَإِذْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُسُودَهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾^(١).

لما وفى إبراهيم عليه السلام ما أمره به ربه من التكاليف العظيمة جعله للناس إماما يقتدون به ويهتدون بهديه وسأل الله أن تكون هذه الإمامة متصلة بسببه وباقية في نسبه فأجيب إلى ما سأل واستثنى من نيلها الظالمون واختص بها من ذريته العلماء العاملون على عكس ما تصور التوراة العهد من الله بتملك الأرض مقابل ختان إبراهيم عليه السلام : [٧ وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهدا أبديا ٨ أعطي لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكا أبديا وأكون إلههم ٩ وقال الله لإبراهيم وأما أنت فتحفظ عهدي أنت ونسلك من بعدك في أجيالهم ١٠ هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم وبين نسلك من بعدك يختن منكم كل ذكر ١١ فتختون في لحم غرلتكم فيكون علامة عهد بيني وبينكم]^(٢).

وكانت العهود الربانية إلى إبراهيم عليه السلام في التوراة أكثر من عشر مرات بصيغ شتى منها [٤ واكثر نسلك كنجوم السماء وأعطي نسلك جميع هذه البلاد وتبارك في نسلك جميع أمم الأرض ٥ من اجل أن إبراهيم سمع لقولي وحفظ ما يحفظ لي أوامري وفرائضي وشرائعي]^(٣) ، وبفضل هذه العهود المزعومة في التوراة طالبوا بحقوقهم المشروع في أرض فلسطين لأن الرب عهد إلى أبيهم إبراهيم تملك هذه الأرض !! وهي صورة مشوهة لعقيدة محرفة باطلة لا تقوم على أساس من توحيد أو إيمان يتبعه صلاح وعمل بل مجرد عهود لذرية إبراهيم لا علاقة لها بالالتزام الصحيح بعقيدة التوحيد .

(١) سورة البقرة آية ١٢٤ .

(٢) سفر التكوين (١٧ : ٧-١١) .

(٣) سفر التكوين (٢٦ : ٤-٥) وانظر كذلك تكوين (١٢ : ١-٣) خروج (١٤ : ١-١٠) .

ثانيا : دخولهم مصر

ذكر القرآن الكريم دخول بني إسرائيل إلى أرض مصر في عهد يوسف عليه السلام ابن يعقوب - إسرائيل - عليه السلام على إثر ما حاق بفلسطين من مجاعة وما أصاب مراعيها من جلدب وقحط .

وقد أكرم يوسف عليه السلام مثنى أبيه وإخوته ورقق عليهم قلب ملك مصر ، في ذلك الوقت طلب بنو إسرائيل من ملك مصر أن يسكنهم فيها . بعد أن تحققت رؤيا يوسف عليه السلام قال تعالى : ﴿ وَرَفَعَ أَبُوتَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَأْتُوتُنِي هَذَا تَأْوِيلُ رُءُوسِي مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ (١) .

واستقرت الأسرة الكبيرة في مصر يعقوب والأسباط الاثنا عشر وشاخ يعقوب وحضرته الوفاة . فجمع أبنائه حوله موصيا لهم : ﴿ وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (٢) أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (٣) .

واطمأنت نفس يعقوب ومات قرير العين وتذكر التوراة أنه أوصى بنقل جثمانه لكي يدفن مع آبائه إبراهيم وإسحاق في الخليل وكذلك يوسف عليه السلام أعلن تمسكه بالإسلام في لحظة وفاته كما أعلنها من قبل أبوه يعقوب قال : ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّيَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ (٤) ، وعاش بنو إسرائيل بعد ذلك في مصر - ودفعهم إلى المكث فيها ما اكتسبوه من خيرات وما نالوه من أمن واستقرار بعد طول ترحال ومجاعات حلت بهم قبل ذلك .

(١) سورة يوسف آية ١٠٠ والتفاصيل من آية ١-١٠٢ .

(٢) سورة البقرة آية ١٣٢-١٣٣ .

(٣) سورة يوسف آية ١٠١ .

ثالثا : موسى عليه السلام مع اليهود في مصر على ضوء القرآن الكريم

عاش بنو إسرائيل بمصر بعد سيدنا يوسف عليه السلام الذي عطف عليهم وأقطعهم أرضا في أخصب البقاع وظلت سلالاتهم كذلك حينما من الدهر ثم تغير موقف المصريين منهم فيما بعد إلى نقيض ما كانوا عليه من تكريم إلى استعباد وذل بناء على النبوة القائلة بأن هلاك طاغيتهم على يد أحد أبناء بني إسرائيل وأسباب أخرى محتملة هي :

(١) أما خوفا من تكاثر عددهم وبالتالي بسط نفوذهم على أرض مصر .

(٢) أو لأن ملكا من الفراعنة جاء بعد يوسف عليه السلام ولم يعرف شأنه فاسترق قومه — بني إسرائيل .

(٣) والراجح الذي ذكر في القرآن الكريم هو تركهم عبادة الله ومخالفة ما أوصاهم به يعقوب ويوسف عليهما السلام من التمسك بالإسلام كما سبق ذكره .

فأرسل الله في بني إسرائيل موسى عليه السلام ليدعوهم إلى عبادة الله ونبذ عبادة الأوثان والكواكب والحيوان فأمن بنو إسرائيل بموسى وكذب فرعون وقومه إلا قليلا منهم.

وقد ذكر القرآن الكريم استضعاف بني إسرائيل في الأرض ^(١) قال تعالى : ﴿ نَتَلَوُا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ ^(٢) إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يذِبحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ^(٣) وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ^(٤) وَنُفَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَثُرَى فِرْعَوْنَ وَهَمْلَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ^(٥) فَأَمَرَ اللَّهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِإِخْرَاجِ قَوْمِهِ مِنْ مِصْرَ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكَ مُتَّبَعُونَ ﴾ ^(٦) .

ولم يكن الخروج من مصر سهلا قال تعالى : ﴿ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴾ ^(٧) فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ^(٨) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ^(٩) فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ^(١٠) وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ ^(١١) وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ^(١٢) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ^(١٣) .

(١) تاريخ ابن خلدون ج ١ ص ١٢٠ وبنو إسرائيل في القرآن الكريم والسنة / سيد طنطاوي ص ٢٠-٢٢.

(٢) سورة القصص آية ٦٣ .

(٣) سورة الشعراء آية ٥٢ .

(٤) سورة الشعراء آيات من ٦٠-٦٦ .

وبعد أن رأى بنو إسرائيل غرق فرعون بأعينهم ساروا مع موسى عليه السلام إلى صحراء سيناء وشاهدوا قوما يعبدون أصناما لهم فقالوا لموسى : اجعل لنا أصناما نعبدها كما لهؤلاء وذلك لأن الوثنية التي عاشوها في مصر مازالت عالقة بنفوسهم الضعيفة حتى بعد مشاهدتهم آيات الله الكثيرة ووصف القرآن الكريم ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ ^(١) ، فوعظهم موسى - عليه السلام - وذكرهم بالله وآياته في إغراق فرعون وقومه ثم سار بهم سيدنا موسى عليه السلام صابرا على ضياع عقولهم وخبث نفوسهم بما طلبوه من عبادة الأصنام فأجهدهم السير فطلبوا من موسى - عليه السلام - الماء للشرب قال تعالى : ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ ^(٢) .

وبعد ما نعموا بالماء قالوا : يا موسى أين الطعام فاتجه عليه السلام إلى ربه ثانية يسأله الطعام واستجاب الله دعاءه وأنزل على بني إسرائيل المن ^(٣) والسلوى ^(٤) قال تعالى : ﴿ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ قَدْ أَجَيْنَاكُمْ مِنْ عَذَابِكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ﴾ ^(٥) .

وخلال سير موسى عليه السلام بقومه في صحراء سيناء إلى بلاد الشام واعد الله موسى عليه السلام أن يعطيه التوراة لتكون هدى لبني إسرائيل بعد أربعين يوما يصومها ، فلما حل الموعد ترك موسى بني إسرائيل مستخلفا عليهم أخاه هارون عليه السلام وذهب إلى الطور لتلقي التوراة قال تعالى : ﴿ وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْنٍ مِيقَلَتْ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ ^(٦) .

(١) سورة الأعراف آية ١٣٨ .

(٢) سورة البقرة آية ٦٠ .

(٣) المن : مادة صمغية حلوة كالعسل قال قتادة : كان المن ينزل عليهم في محلهم سقوط الثلج أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل / تفسير

ابن كثير ج ١ ص ٦٦-٦٧ .

(٤) السلوى : طائر السمان .

(٥) سورة طه الآيات ٨٠-٨١ .

(٦) سورة الأعراف آية ١٤٢ .

قال ابن كثير : (إن الله واعد موسى ثلاثين ليلة فصامها موسى - عليه السلام - فلما تم الميقات استاك بلحاء شجرة فأمره الله تعالى أن يكمل بعشر واختلف في العشر ما هي : فالأكثر على أن الثلاثين هي ذو القعدة ، والعشر ذو الحجة قاله مجاهد ومسروق وابن جرير وروي عن ابن عباس وغيره وعلى هذا يكون قد كمل الميقات يوم النحر وحصل فيه التكليم لموسى عليه السلام وأخذ الألواح) (١) ، قال تعالى : ﴿ قَالَ يَمُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَأَمْرِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (٢) وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (٣).

ولكن ماذا حصل من بنى إسرائيل بعد أن تركهم موسى لتلقي التوراة ؟

انتكسوا وعبدوا العجل الذي صنعه لهم السامري من حلي نساء مصر المستعار وحاول هارون عليه السلام أن يصدّهم عما تردوا فيه من ضلال وكفر ولكنهم أعرضوا عنه وتمادوا في غيهم قال تعالى : ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِن بَعْدِهِ مِن حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ (٤).

ونزه القرآن الكريم أن يكون هارون هو صانع العجل كما تدعي التوراة المحرفة قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَقَوْمُ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِيَ ﴾ (٥) قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَنكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴾ (٦) .

فلما اشتد عليهم هارون عليه السلام في النهي عن عبادة العجل تناولوا عليه وكادوا يقتلونه وعاد موسى - عليه السلام - إلى قومه - بعد أن أعلمه الله تعالى بفتنة السامري - غضبانا قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسِيفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَابَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (٧) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (٨) .

(١) تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٢٤٣ .

(٢) سورة الأعراف آيتي ١٤٤-١٤٥ .

(٣) سورة الأعراف آيه ١٤٨ .

(٤) سورة طه الآيتان ٩٠-٩١ .

(٥) سورة الأعراف الآيتان ١٥٠-١٥١ .

وأحرق موسى - عليه السلام - العجل على مشهد من بني إسرائيل وألقى ترابه في البحر وأثبت للجميع أن المستحق الوحيد للعبادة هو الله وأن العجل الذي عبدوه لا يملك لهم ضرا ولا نفعا^(١) ، قال تعالى : ﴿ قَالَ فَأَذْهَبَ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴾^(٢) ، وأخبر الله تعالى أن توبة بني إسرائيل لا تقبل إلا بقتل أنفسهم فلما نفذوا ما كلفوا به قبل الله توبتهم وعفا عنهم قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَنْقُومُ إِنَّاكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾^(٣) .

بعد كل هذه الأحداث والإساءات من بني إسرائيل واصل بهم موسى - عليه السلام - سيره إلى أرض الشام وقبل أن يصل إلى الأرض المقدسة التي كان يسكنها الجبابرة الكنعانيون أمرهم أن يعدوا أنفسهم لدخولها وأن يوطنوا أنفسهم على الجهاد في سبيل الله واختار منهم اثني عشر نقيبا أمرهم أن يتقدموه في دخول الأرض المقدسة ليعرفوا أحوالها وأحوال سكانها ونفذ النقباء ما كلفهم به موسى عليه السلام ثم عادوا بعد تعرفهم على أحوالها وأحوال سكانها ليقولوا لهم إن الأرض المقدسة تدر لبنا وعسلا إلا أن سكانها من الجبارين فخافوا وجنبوا عن القتال قال تعالى : ﴿ يَنْقُومِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾^(٤) قَالُوا يَمُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنْدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ^(٥) .

وأخذ كل نقيب يخذل جماعته عن دخولها إلا رجلين منهم فإنهما أمرا بني إسرائيل بأن يطيعوا نبيهم موسى ويدخلوا الأرض المقدسة التي كتبها الله لهم وبشراهم بالنصر إذا اعتمدوا على الله وأخلصوا النية في الجهاد ولكن بني إسرائيل عصوا نصيحة الرجلين الناصحين لهم كما عصوا نبيهم موسى عليه السلام فكانت نتيجة جبنهم وعصيانهم أن الله ابتلاهم بالتيه أربعين سنة ؛

(١) بنو إسرائيل في القرآن الكريم د. سيد طنطاوى ص ٢٩-٣٠ .

(٢) سورة طه آية ٩٧ .

(٣) سورة البقرة آية ٥٤ .

(٤) سورة المائدة آية (٢١-٢٢) .

قال تعالى : ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أُنْعِمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا يَمُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ (١) .

هذه هي نهاية الجهد الجهاد لسيدنا موسى عليه السلام ، احتمل ما احتمل من فرعون ومن سخافات بني إسرائيل على طول الطريق من مصر إلى أبواب الأرض المقدسة ، أبواب الغاية التي ينشدون هاهم أولاء لجميع آماله يخيبون وعن الغاية يتقاعسون فلم يكن إلا أن يلجأ إلى ربه يثبه شكواه ويدعو أن يفصل بينه وبين هؤلاء الفاسقين فقد تحمل فوق الطاقة ولم تعد له حيلة . وأعلن عليه السلام أنه لا يملك أمر أحد يحمله على طاعته إلا أمر نفسه وأمر أخيه هارون فأجاب الله موسى بأن الأرض المقدسة محرمة عليهم مدة أربعين سنة يظلون خلالها تائهين حائرين فلا تحزن على هؤلاء القوم الفاسقين .

وقد ظل بنو إسرائيل هذه الحقة ، يسيرون في قطعة من صحراء سيناء لا تتجاوز ثلاثين فرسخا في تسعة فراسخ ، وكانوا يسيرون الليل كله كادحين فإذا أصبحوا إذا هم في الموضع الذي ابتدأوا منه ولم يكن حالهم بالنهار خيرا من حالهم بالليل قال تعالى : ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ (٢) .

(١) سورة المائدة آية (٢٣-٢٥) .
(٢) سورة المائدة آية ٢٦ .

تعليق

ومن المناسب في هذا المقام أن نرد دعوى اليهود في أن الأرض المقدسة - فلسطين - ملك لهم مستندين إلى قوله تعالى ﴿ يَنْقُومِ آذْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾^(١) حيث فهموا من (كتب أي قدر وقضى و الرد من وجوه :

١- أن معنى كتب الله لكم : أي أمركم بدخولها وفرضه عليكم كما أمركم بالصلاة والصيام فالكتب هنا مثله في قوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾^(٢) أي فرض عليكم ولزمكم وهذا قول قتادة والسدي .

٢- أن معنى ﴿ كُتِبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ قدرها وقضى أن تكون مساكن لكم دون الجبارين وهذا قضاء مشروط بالإيمان وطاعة الأنبياء والجهاد في سبيل نصرته الحق . فإن لم يكونوا كذلك - وهم لم يكونوا كذلك فعلا - لم يتحقق لهم التمكن في الأرض المقدسة قال ابن عباس : (كانت هبة من الله ثم حرمها عليهم بشؤم تمردهم وعصيانهم) (٣) وقال الرازي إن الوعد بقوله : ﴿ كُتِبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ مشروط بقيد الطاعة فلما لم يوجد الشرط لا جرم لم يوجد المشروط^(٤) .

ونخلص إلى أن الكتابة في قوله تعالى : ﴿ كُتِبَ اللَّهُ لَكُمْ ﴾ إما أن تكون كتابة تكليفية على معنى كتب عليكم وفرض أن تدخلوها مجاهدين مطيعين لنببيكم وإما أن تكون كتابة قدرية أي قضى وقدر الله أن تكون لكم وهي في هذه الحالة مشروطة بالإيمان وامتنال الأوامر وقيامهم بواجب الجهاد والطاعة لنببيهم ، وبنو إسرائيل لم يتحقق فيهم هذا الشرط بل الذي تحقق منهم أنهم كفروا بالله وعصوا أنبياءهم وجنبوا عن الجهاد في سبيل الله إلا ما كان في عهد يوشع بن نون فتى موسى - علي السلام - الذي استطاع الدخول إلى الأرض المقدسة بعد أن تحقق فيهم شرط الإيمان بالله والجهاد في سبيله^(٥) .

(١) سورة المائدة آية ٢١ .
(٢) جزء من آية ١٨٣ سورة البقرة .
(٣) تفسير الرازي ج ٢ ص ٣٨٨ .
(٤) تفسير الرازي ج ٣ ص ٣٢٨ .
(٥) بنو إسرائيل في القرآن الكريم د. طنطاوي ص ٤٩٠-٤٩٢ باختصار .

رابعاً : دخولهم الأرض المقدسة

ولما انقضت الأربعون سنة ومات من أبي أن يدخل مدينة الجبارين مع موسى عليه السلام بعث الله يوشع بن نون نبيا فأخبر بني إسرائيل بذلك وأن الله قد أمره أن يقاتل الجبارين فبايعوه وصدقوه فنصرهم الله وهزم الجبارين وأقام بنو إسرائيل في فلسطين بعدما دخلوها على أمر الله وكان يوجههم أنبياءهم وربانيوهم فنصرهم الله على العمالقة الذين أغاروا عليهم وقصة دخول بني إسرائيل بقيادة (يوشع) الأرض المقدسة ^(١) قد أشار إليها القرآن الكريم في آيات متعددة منها قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ^(٢) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ^(٣) .

قال ابن كثير رحمه الله : (وهذا كان لما خرجوا من التيه بعد أربعين سنة مع (يوشع بن نون) وفتحها الله عليهم عشية جمعة وقد حبست لهم الشمس ^(٤) يومئذ قليلا حتى أمكن الفتح ولما فتحوها أمروا أن يدخلوا باب البلد سجدا شكرا لله تعالى على ما أنعم الله عليهم به من الفتح والنصر وإنقاذهم من التيه ولكنهم لم يفعلوا فأنزل الله عليهم عذابا من السماء بسبب فسقهم وظلمهم) (٤) ، وأعقب موت (يوشع بن نون) عهد عرف بعهد القضاة لأن الزعماء والقواد الذين تزعموا أو قادوا بني إسرائيل سموا قضاة وامتد عهد القضاة إلى أن قامت مملكة بني إسرائيل على يد طالوت المعروف في التوراة بـ (شاول) ^(٥) القرآن الكريم ذكر قصة دخول بني إسرائيل الأرض المقدسة ولم يذكر عهد القضاة وإنما ذكر بداية عهد الملوك وكيف طلب بنو إسرائيل من نبي لهم

(١) تاريخ الطبري ج ١ ص ٤٣٦ .

(٢) سورة البقرة آية ٥٨-٥٩ .

(٣) وردت قصة حبس الشمس لنبي من أنبياء بني إسرائيل في لحديث عدة عن النبي صلى الله عليه وسلم مما أخرجه الامام مسلم في صحيحه في كتاب الجهاد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : غزا نبي من الأنبياء فقال لقومه : لا يتبعني رجل قد ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبنى بها ولما بين ، ولا آخر قد بنى - بنينا لما يرفع سقفه ولا آخر قد اشترى غنما أو خلفات وهو منتظر أولادها قال : فغزا فأننى للقرية حين صلاة العصر أو قريبا من ذلك فقال للشمس أنت مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها علي شيئا فحبست عليه حتى فتح الله عليه قال : فجمعوا ما غنموا فأقبلت النار لتأكله فأبى أن تطعمه فقال : فيكم غلول فليبايعني من كل قبيلة رجل فبايعوه فلصقت يد رجل بيده فقال : فيكم الغلول فلتبايعني قبيلتك فبايعته قال : فلصقت بيد رجلين أو ثلاثة فقال فيكم الغلول أنتم غللتهم قال : فأخرجوا له مثل رأس بقرة من ذهب قال : فوضعوه في المال وهو بالصعيد فأقبلت النار فأكلته - وكانت علامة القبول من الله أن تأتي نار من السماء فتأكل القربان كما في قصة ابن آدم عليه السلام - فلم تحل الغنائم لأحد من قبلنا ذلك لأن الله تبارك وتعالى رأى ضعفنا وعجزنا فطيبها لنا) صحيح مسلم بشرح النووي كتاب الجهاد باب تحليل الغنائم لهذه الأمة خاصة ج ١٢ ص ٥١-٥٣ دار الفكر بيروت باختصار .

قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم : قال القاضي : (اختلف في حبس الشمس المذكورة هنا ف قيل : ردت على أدرجها وقيل : وقفت ولم ترد وقيل : لبطى تحركها وكل ذلك من معجزات النبوة قال : ويقال - بصيغة التمرير - إن الذي حبست عليه الشمس يوشع بن نون) . والحديث أخرجه الإمام البخاري في كتابه الفروض الخمسة باب أحلت لكم الغنائم . انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ٢ ص ٢١٩ المطبعة السلفية - القاهرة . والله أعلم .

(٤) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٩٨ .

(٥) بنو إسرائيل في القرآن الكريم والسنة ص ٣٣-٣٤ .

أن يعين لهم ملكا يقودهم إلى النصر واستجاب الله لذلك قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَكِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَّهُمْ أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُنْقِثَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجَنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ (١) وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكاً قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم ﴿ (١) .

فكان ملوك بني إسرائيل ثلاثة :

طالوت ، وداود وسليمان عليهما السلام ، ثم انقسمت مملكة إسرائيل بعد وفاة سليمان عليه السلام إلى قسمين ثم غزاها فرعون مصر وأعقبه نبوخذنصر البابلي وانتهت مملكة إسرائيل بالأسر البابلي المشهور بعد حوالي أربعة قرون من تأسيسها .

(١) سورة البقرة الآيات (٢٤٦-٢٤٧) .

نسب داود وسليمان عليهما السلام

أولا : في الأسفار اليهودية .

ثانيا : عند المفسرين .

ثالثا : في كتب التاريخ .

نسب داود وسليمان عليهما السلام

إن أنساب الأنبياء طاهرة محفوظة ومرفوعة فهم من أوسط الناس نسبا وأعلاهم شرفا .
وقد امتدت الرسائل النبوية من نوح وذريته إلى إبراهيم عليه السلام وذريته إسماعيل وإسحاق عليهما السلام فحفظ الله لهم الأصباب الطاهرة ، والأرحام الزكية على أساس من نكاح صحيح فما خالطهم رجس ولا دنس صلوات الله عليهم أجمعين قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴾ ^(١) .

أولا : نسب داود عليه السلام في الأسفار اليهودية :

تحدث الأسفار اليهودية عن نسب داود - عليه السلام - وعن المكان الذي ولد فيه وتبين من أسفارهم أن داود - عليه السلام - من سبط يهوذا الذي تزوج من امرأة كنعانية ابنة (شوع) : [١_ وحدث في ذلك الزمان أن يهوذا نزل من عند إخوته ومال إلى رجل عدلامي اسمه حيرة ٢_ ونظر يهوذا هناك ابنة رجل كنعاني اسمه شوع فأخذها ودخل عليها ٣_ فحبلت وولدت ابنا ودعا اسمه عيرا] ^(٢) .

ورد نسب داود عليه السلام في الأسفار اليهودية في عدة مواضع منها :

١- سفر راعوث (٤ : ١٨-٢٢)

٢- سفر أخبار الأيام الأول (٢ : ٢-١٧)

وذكر نسبه عليه السلام في الإنجيل التي لا يعترف بقدسيته اليهود كإنجيل متى (١٠ : ١-٦)

وإنجيل لوقا (٣ : ٣١-٣٣) وهذه نصوص من الأسفار اليهودية على نسبه عليه السلام .

[هو داود - عليه السلام - بن إيشي (أويسى) بن عوبيد (عويد) بن باعز (بوغز) بن سلمون بن نحشون بن عمى نادب (عمينا داب) بن رام بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام] ^(٣) .

(١) سورة ص آية ٤٧ .

(٢) سفر التكوين (٣٨ : ١-٣) .

(٣) ما بين الأقواس في نسبه عليه السلام مذكورة في هامش الكتاب المقدس دلالة على اختلاف في كتابة الترجمة والله أعلم
أنظر سفر أخبار الأيام الأول (٢ : ١-١٥) باختصار ..

نص نسبه عليه السلام من سفر راعوث :

[وهذه مواليد فارص . فارص ولد حصرون ١٩ وحصرون ولد رام . ورام ولد عمينا داب ٢٠ . عمينا داب ولد نحشون . ونحشون ولد سلمون ٢١ . وسلمون ولد بوعز . وبوعز ولد عوبيد ٢٢ . وعوبيد ولد يسي . يسي ولد داود] ^(١) [وبنو يهوذا عير وأونان وشيلة . ولد الثلاثة من بنت شوع الكنعانية وكان عير بكر يهوذا شريرا في عيني الرب فأماته ٤ وثامار كنته ^(٢) ولدت له فارص وزارح . كل بنين يهوذا خمسة] ^(٣) .

(٥) ابنا فارص حصرون وحامول .

(٩) وبنو حصرون الذين ولدوا له يرحمئيل ورام وكلوباي (كالب) .

(١٠) ورام ولد عمينا داب وعمينا داب ولد نحشون رئيس بني يهوذا .

(١١) ونحشون ولد سلمو (أوسلمون) وسلمو ولد بوعز

(١٢) وبوعز ولد عوبيد وعوبيد ولد يسي

(١٣) ويسى ولد بكره اليآت وابينا داب الثاني وشمعي الثالث

(١٤) ونثنئيل الرابع ورداي الخامس .

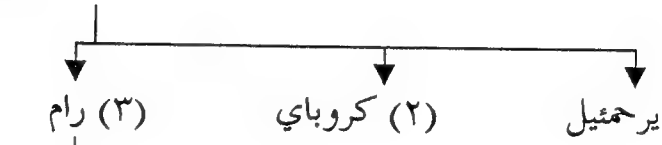
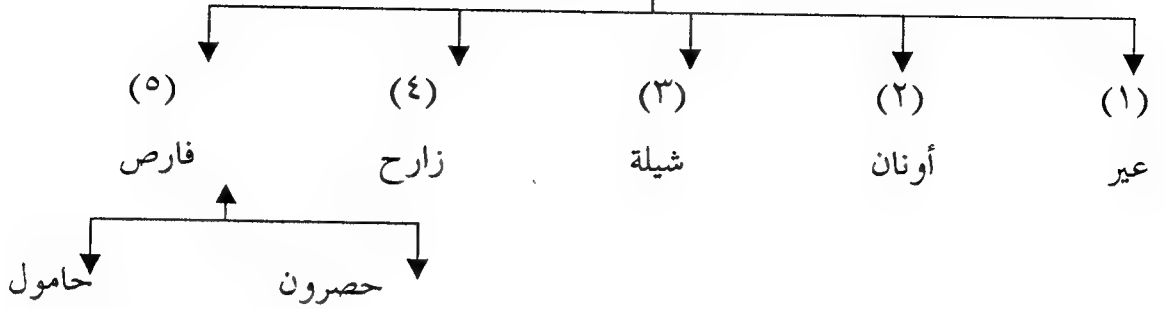
(١٥) وأوصم السادس وداود السابع] ^(٤) - انظر الشكل - أما نسب داود عليه السلام من جهة أمه فقد أفردت له التوراة إصحاحا كاملا اسمه سفر راعوث وهي جدة داود عليه السلام فقد ورد في الإصحاح أن فقرا وضيقا أصاب أرض بني إسرائيل في عهد القضاة فهاجر رجل من سبط يهوذا هو وزوجته مع ابنين لهما إلى أرض موآب الكنعانية العربية ومكثوا عشر سنين في أرض كنعان توفي خلالها الرجل وابناه اللذان تزوجا في أرض موآب العربية فترك الأب وولده ثلاث أرامل في موآب ولما عادت الأمور إلى مجاريها في أرض بني إسرائيل عادت الأم وصحبتهما كنتها (راعوث) التي رفضت أن تترك أم زوجها ترجع وحيدة إلى بني إسرائيل وتزوجت راعوث الموابية برجل من سبط يهوذا اسمه بوعز فأنجبت عوبيد وأنجب عوبيد يسي وهو والد سيدنا داود عليه السلام فهو عربي من جهة أمه لأن أحواله من العرب ذكرت هذه الرواية من التوراة لتنفيذ ادعاء اليهود نقاء الدم وعدم اختلاط أنسابهم بالشعوب الأخرى في جميع مراحل التاريخ .

(١) سفر راعوث (٤ : ١٨-٢٢)
(٢) يدعون أن يهوذا دخل على كنته وأنجب منها توام زارح وفارص بالزنا لأنها تنكرت له وكل هذا الإقتراء للطعن في نسبه عليه السلام
راجع سفر التكوين (٣٨ : ١-٣)
(٣) سفر أخبار الأيام الأول (٢ : ٤-٢)
(٤) سفر أخبار الأيام الأول (٢ : ٥-١٥)

السبط الذي ينتمي إليه داود عليه السلام وهو أحد أسباط بني إسرائيل المعروفة .

(يهوذا)

أنجب خمسة أولاد



عمينا داب

نحشون

سلمو

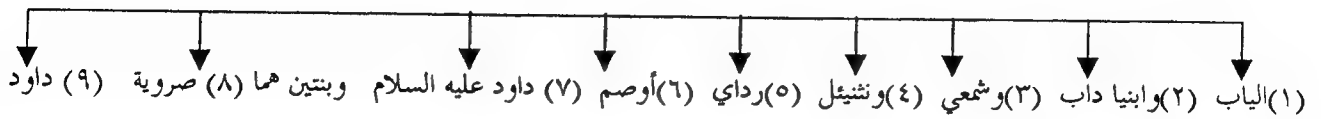
بوعز

عوبيد

أنجب سبعة أولاد وبنيتين

يسي

والد داود عليه السلام



ثانيا : نسبه عند المفسرين

نبي الله داود عليه السلام هو نبي ورسول اختاره الله واصطفاه كما اختار الأنبياء والرسل عليهم السلام . وقد جاء ذكره في القرآن الكريم على أنه من ذرية إبراهيم ونوحا - عليهما السلام - قال تعالى ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ۝٢٧ ۝٢٨ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَارُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝٢٩ ﴾^(١)

وللمفسرين في نسب داود عليه السلام إلى إبراهيم أو نوح (عليهما السلام) أقوال :

يرى الإمام أبو السعود أن نسب داود عليه السلام يرجع إلى إبراهيم عليه السلام بينما يرى شيخ المفسرين ابن جرير ويوافقه ابن كثير أن النسب يرجع إلى نوح - عليه السلام ، قال أبو السعود عند تفسيره للآية الكريمة ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ ﴾ (الضمير لإبراهيم عليه السلام لأن مساق النظم الكريم لبيان شؤون العظمة من إتياء الحجة ورفع الدرجات وهبة أولاد الأنبياء وإبقاء هذه الكرامة في نسله إلى يوم القيامة كل ذلك لإلزام من ينتمي إلى ملته عليه السلام من المشركين واليهود)^(٢) .
وقيل الضمير هنا يرجع ﴿ مِن ذُرِّيَّتِهِ ﴾ إلى نوح - عليه السلام - واختاره ابن جرير الطبري والقشيري وابن كثير وابن عطية لأنه أقرب ولأن يونس ولوطا ليسا من ذرية إبراهيم عليه السلام . فإن لوطا هو ابن أخي إبراهيم وانتصب داود وسليمان بفعل مضمّر أي وهدينا من ذريته داود وسليمان وكذلك ما بعدهما وإنما عد الله سبحانه هداية هؤلاء الأنبياء من النعم التي عددها على إبراهيم عليه السلام لأن شرف الأبناء متصل بالآباء^(٣) .

(١) سورة الأنعام الآيات من (٨٣-٨٤) .

(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم العلامة أبو السعود ج ٣ ص ١٥٧ .

(٣) فتح القدير للشوكاني ج ٢ ص ١٥٧ . وكذلك تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٥٥ .

ثالثا : نسب داود عليه السلام في كتب التاريخ :

- ١ - ذكر الطبري في تاريخه ما يلي ^(١) : هو داود ابن إيشي بن عوييد بن باعز بن سلمون بن نحشون بن عمي نادب بن رام بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام .
- ٢ - وذكر ابن كثير رحمه الله في نسبه : داود بن إيشا بن عويد بن عامر بن سلمون بن نحشون بن عمو ينادب بن أرم بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عبد الله ونبيه وخليفته في أرض بيت المقدس ^(٢) .
ووافقهم ابن الأثير في الكامل وابن خلدون في تاريخه .

خلاصة :

بعد عرض نسب داود عليه السلام عند المفسرين وعند المؤرخين أرى أن الضمير في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ ﴾ يرجع إلى أقرب مذكور حسب القاعدة اللغوية التي تقول بذلك (وسواء أسند نسب سيدنا داود عليه السلام في النسب إلى إبراهيم عليه السلام أم إلى نوح عليه السلام فإن إبراهيم عليه السلام من سلالة نوح عليه السلام وهو سابق في الزمن على إبراهيم عليه السلام وما كان هناك داع للخلاف الذي حدث بين المفسرين في هذه المسألة لأن هؤلاء العلماء الأجلاء (ابن جرير الطبري وابن كثير) رحمهما الله عند ذكرهم لسلسلة نسب داود عليه السلام أسندوها إلى إبراهيم عليه السلام - والله أعلم .

(١) تاريخ الرسل والملوك / الطبري ج ١ ص ٤٧٦ .
(٢) قصص الأنبياء لابن كثير ص ٥١٥ تحقيق عبد الحميد طبعة حلب دار المعرفة بيروت لبنان الطبعة الثانية ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.

المبحث الثاني

نبوة داود عليه السلام ومعجزاته

— نبوة داود عليه السلام

- ١- الحالة السياسية
- ٢- تعريف النبوة
- ٣- النبوة في الأسفار اليهودية
- ٤- الوحي
- ٥- العصمة
- ٦- إثبات النبوة

— حياة داود عليه السلام

- ١- مكانة داود في الأسفار اليهودية
- ٢- مكانة داود في القرآن الكريم
- ٣- معجزاته عليه السلام
- ٤- قضاؤه عليه السلام

— الأسفار المنسوبة إلى داود عليه السلام

- ١- تعريف المزامير
- ٢- أقسامها
- ٣- مؤلفوها
- ٤- استعمالاتها
- ٥- تعريف الزبور
- ٦- موقف المسلم من الزبور والمزامير

المبحث الثاني

نبوة داود عليه السلام

١- الحالة السياسية في عهد داود وسليمان عليهما السلام

٢- تعريف النبوة

٣- النبوة في الأسفار اليهودية

٤- الوحي

٥- العصمة

٦- إثبات النبوة

الحالة السياسية في عهد داود وسليمان عليهما السلام

تهديد :

استقر حال بني إسرائيل في الأرض المقدسة ^(١) فلسطين بعدما عبروها مع فتى موسى عليه السلام يوشع بن نون ، وبذلك انتهت حياة البداوة والخشونة والترحال إلى حياة شبه حضارية مستقرة فسكنوا المدن والقصور بعد الخيام في الصحراء .
وكانوا مع ذلك في حروب دائمة مع من جاورهم من الفلسطينيين وحروب داخلية مع أسباطهم الاثني عشر كما كانت تسودهم الفوضى والانتكاس في العبادة أيضاً .

أولاً : التحقيق في مدة عهد القضاة :

هناك نوعان من القضاة :

١- النوع الأول:

وهم الذين يفصلون في الدعاوى بين المتخاصمين فقد كان موسى عليه السلام يقضي للشعب وحده من الصباح إلى المساء، فنصحه " يثرون " بأن يعلم الشعب الفرائض والشرائع ثم يختار ذوي قدرة وخائفين من الله ومبغضين للرشاوي ، وقيمهم على الشعب رؤساء ألوف ومئات وعشرات ليقضوا للشعب في الدعاوى الصغيرة ، أما الدعاوى الكبيرة فيأتون بها إلى موسى عليه السلام ^(٢) ، والقضاة من هذا النوع كان عددهم كبيراً جداً ومتواجدين منذ فترة التيه مع موسى عليه السلام وبعده .

٢- النوع الثاني :

وهو بمعنى المخلص وهو ما ورد في سفر القضاة : [وأقام لهم الرب قضاة فخلصوهم من يد ناهبيهم] ^(٣) ، وهذا النوع بمعنى المخلص هم الذين ورد ذكرهم في فترة القضاة .

(١) سميت مقدسة في القرآن الكريم قال تعالى ﴿ يَنْقُومِ آدْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ " سورة المائدة آية ٢١ " ، وسميت مقدسة لأنها مطهرة من الشرك وفيها المسجد الأقصى الذي هو إشعاع التوحيد ،

ومهد الأنبياء والمرسلين ومسكن المؤمنين / انظر تفسير ابن كثير ج ٢ - ٣٦ وتفسير البيضاوي ج ١/١٤٨ .
(٢) راجع سفر الخروج (١٨ : ١٣ - ٢٦) .
(٣) سفر القضاة (٢ : ١٦ - ١٨) .

وصف لخال بني إسرائيل مع قضائهم :

في عهد القضاة ارتد بنو إسرائيل عن عبادة الله سبع مرات وعبدوا الأصنام مما كان سبباً في تسليط الأعداء عليهم ، وكان من قضائهم من يلم شعث المتفرقين ويجمع شملهم ، وكان منهم من يقوم برد غارة أو دفع عدو عنهم ، ومنهم من تولى الحكم طوال حياته ، ومنهم من فسد في حكمه وولى أولاده في القضاء .

ولقد سطر سفر القضاة سيرتهم وأحوالهم وما أصابهم من نكبات وقعت بهم خلال فترة القضاة فقال:

[وأقام الرب قضاة فخلصوهم من يد ناهبيهم ١٧ ولقضائهم أيضاً لم يسمعوا بل زنوا وراء آلهة أخرى وسجدوا لها . حادوا سريعاً عن الطريق التي سار بها آبائهم لسمع وصايا الرب لم يفعلوا هكذا^(١) . ومن قراءة عهد القضاة من خلال سفر القضاة نستخلص أن عهد القضاة أسوأ عهود بني إسرائيل ، ففيه انتشرت الرذائل والمنكرات بينهم وعبدوا الأصنام وقتلوا الصالحين وفشا فيهم الزنا ، وترتب على ذلك أن تعرضوا خلال عهد القضاة لنكبات وغارات عليهم من غيرهم^(٢) .

(١) سفر القضاة (٢ : ١٦) .
(٢) بنو إسرائيل في القرآن الكريم / سيد طنطاوي ، ص ٣٦ باختصار وانظر ص ١١ .
المجتمع اليهودي / زكي شنودة ، ص ٤١٩ - ٤٢١ ، باختصار وتصرف .

فترة القضاة :

تذكر التوراة طول فترة القضاة حوالي ٣٩٤ سنة حيث ورد في سفر الملوك الأول ما يلي:
[وكان في سنة الأربعمئة والثمانين لخروج بني إسرائيل من أرض مصر في السنة الرابعة لملك سليمان - عليه السلام - على إسرائيل في شهر زيو وهو الشهر الثاني أنه بنى بيتاً للرب] ^(١) .

إذن ٤٨٠ عاماً خروجهم من مصر ..

٤٠ عاماً التيه + ٤٠ عاماً ملك داود + عامين ملك شاول + ٤ سنوات من ملك سليمان = ٨٦ عاماً ..

فمدة عهد القضاة تكون = ٤٨٠ عاماً - ٨٦ عاماً = ٣٩٤ عاماً .

ولكن ما مدى صحة هذه الفترة الزمنية ؟؟

الفترة الزمنية

صفر	الخروج من مصر
٤٠	التيه ٤٠
	القضاة
	٣٩٤ سنة
٤٣٤	
٤٣٦	ملك شاول سنتين
	داود ٤٠
٤٧٦	
	سليمان ٤ سنوات
٤٨٠	بدء بناء الهيكل

تذكر التوراة أسماء وأعمال القضاة في سفر القضاة وكأنهم متتالين زمنياً وليسوا متعاصرين أو متزامنين في نفس الوقت. بمعنى أن إسرائيل يتركون عبادة الرب ويعبدون آلهة أخرى فيعاقبهم الرب بأن يرسل عليهم من يستعبدهم فيرجع بنو إسرائيل إلى الرب ويصرخون لينقذهم فيرسل الرب قاضياً ليخلصهم من مستعبدتهم ولو تتبعنا هذه الفترة لوجدناها تبلغ ٣٩٤ سنة وهي نفس المدة المحسوبة في التوراة ..

(١) سفر الملوك الأول (٦ : ١) .

ولكن ..

إذا تمعنا في قراءة سفر القضاة نجد أن القضاة لا يشترط أن يكونوا متعاقبين أو متتالين فيمكن أن نجد قاضياً في يهوذا وآخر في سبط منسي وثالث لنفثالي .. وهكذا ^(١) .

كما نجد مثلاً صريحاً لذلك ، فبينما كان عالي يتولى القضاء كان صموئيل يقضي أيضاً في نفس الوقت ، بل وتلازما معاً كما ورد في سفر القضاة (٣ : ١-٢) ، وكذلك سفر القضاة (٧ : ١٥) .

وكذلك في نسب داود عليه السلام ما يدل على عدم صحة هذه المدة للأسباب الآتية :

ورد في سفر راعوث (٤ : ١٨ - ٢٢) وسفر الأيام الأول (٢ : ٢ - ١٧) ، أن نسبه يهوذا بن فارض - حصرون - رام - عمينا - نحشون - سلمون - بوغز - عوييد - يسي - داود .

وكان نحشون بن عمينا داب هو رئيس سبط يهوذا عند الخروج كما ورد في سفر العدد (١-٧) ، لذا كان من المنطقي أنه أنجب سلمون قبل الخروج من مصر .

ولما كانت فترة التيه أربعين سنة فإن بوغز يكون قد ولد أثناء التيه ويتبقى بعد ذلك ثلاثة أجيال " عوييد ويسي - داود عليه السلام .

واستناداً لما ورد بأن داود عليه السلام تولى الملك وعمره ثلاثون عاماً فيكون عمره عندما تولى شاول الحكم ثمانية وعشرين عاماً وتزوج داود عليه السلام من ابنة شاول قبل أن يملك لذا يمكن القول بأن متوسط الإنجاب حوالي ثلاثين سنة فتكون المدة من نهاية التيه :

$$٤٠ + (٣٠ \times ٣ \text{ أجيال}) = ١٣٠ \text{ عاماً تقريباً} .$$

ومما يستعان به في هذا الموضع ما ذكره ابن خلدون في مقدمته ..

إن الدولة لها أعمار طبيعية كالأشخاص وذكر قياس عمود النسب قائلاً : (يجري على السنة الناس في المشهور أن عمر الدولة مائة سنة فاعتبره واتخذ منه قانوناً يصحح لك عدد الآباء في عمود النسب الذي تريده من قبل معرفة السنين الماضية إذا كنت قد اقتربت في عددهم وكانت السنين الماضية منذ أولهم محصلة لديك فعد لكل مائة من السنين ثلاثة من الآباء فإن نفذت على هذا القياس مع نفوذ عددهم فهو صحيح وإن نقصت عنه بجعل فقد غلط عددهم بزيادة واحد في

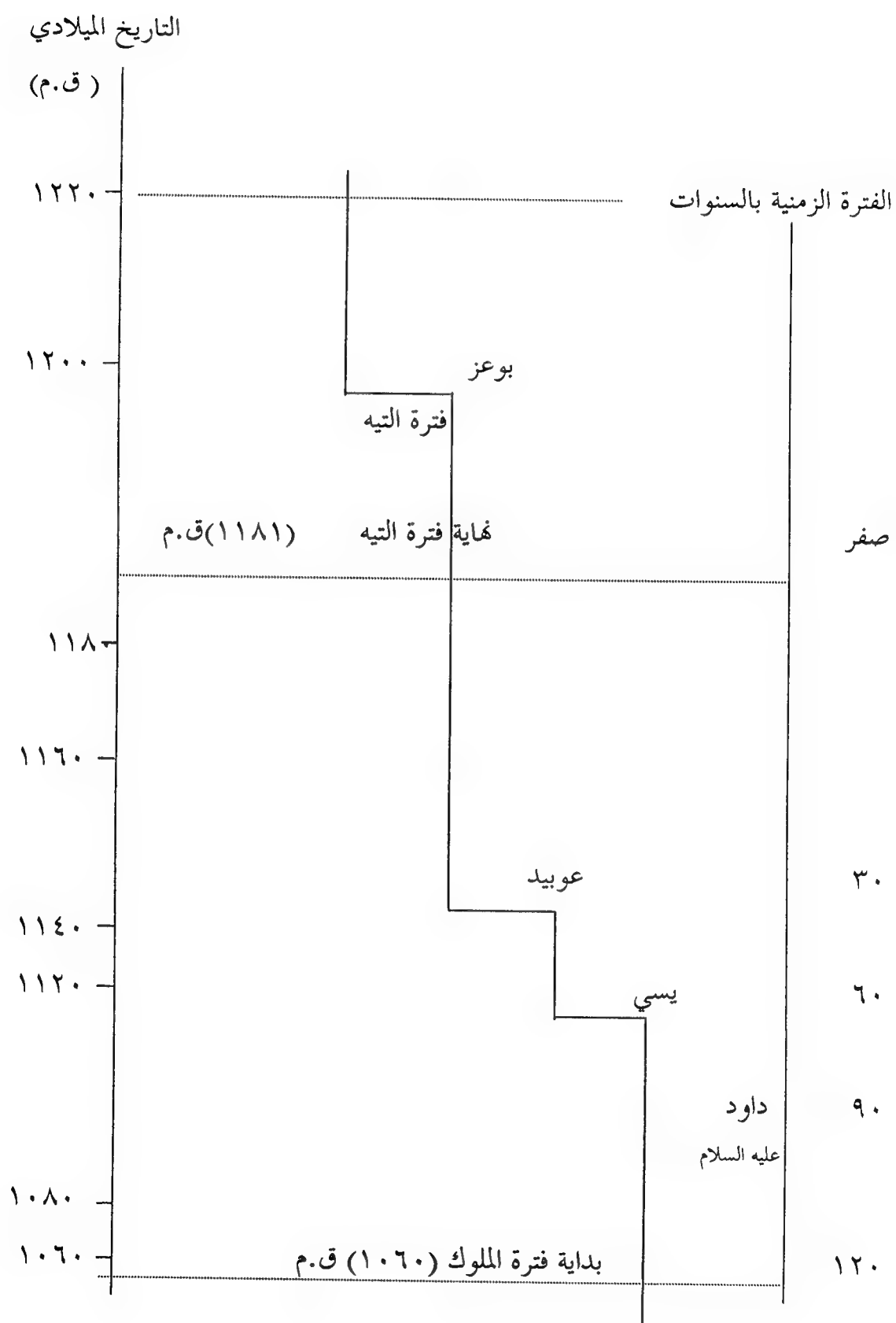
(١) في هذه الفترة الزمنية انتشرت مدارس للأنبياء في كثير من المناطق مما يؤيد قولنا بكثرة الأنبياء في زمن واحد في أكثر من مكان ، انظر قاموس الكتاب المقدس ، ص ٩٤٩-٩٥٣ .

عمود النسب وإن زادت بمثله فقد سقط واحد وكذلك تأخر عدد السنين من عددهم إذا كان محصلاً لديك فتأمله تجده في الغالب صحيحاً والله يقدر الليل والنهار (١).
وعليه فتكون مدة عهد القضاة من ١٢٠ - ١٣٠ عاماً والله أعلم (٢).
وأردنا بذلك أن نؤكد تحريف التوراة في المدة الزمنية التي تدعي بقاءهم في الأرض المقدسة بجعلها قروناً عدة وهي لم تزد في الحقيقة عن قرن ونصف من الزمان مضى معظمها في حروب وتناوش مع سكان الأرض الأصليين - الفلسطينيين - وإن شيدوا فيها أعظم مملكة لهم ولكنها كانت قائمة على التوحيد الخالص لله ، ومع ذلك لم تصمد أكثر من قرن من الزمان - ملك داود وسليمان عليهما السلام - لردتهم وتمردهم وعصيانهم فأشركوا بالله وعبدوا الأصنام والأوثان فسلط الله عليهم من مرق ملكهم بما كسبت أيديهم والله عزيز ذو انتقام .

(١) مقامة ابن خلدون / دار القلم ، بيروت ، ط الخامسة ، ١٩٨٤م ، ص ١٧١ و ١٧٢ .

(٢) انظر الصفحة ١٦١ م

فترة القضاة



المدة الزمنية بين موسى وداود عليهما السلام :

توفي موسى عليه السلام في التيه وأجمع العلماء على أن فترة التيه ٤٠ سنة كما نص عليها القرآن الكريم ومن قبل التوراة .

وسبق أن وضعنا استنتاجاً أن مدة عهد القضاة ١٢٠ سنة وذكرت التوراة أن حكم شاول استمر سنتين وبعدها تولى الملك داود عليه السلام .

فتكون الفترة الزمنية بين وفاة موسى عليه السلام وتولي داود (عليه السلام) الملك كما يأتي :

٤٠ عاماً التيه + ١٢٠ عاماً عهد القضاة + سنتين ملك شاول = ١٦٢ سنة

قراءة القرن ونصف القرن تقريباً والله أعلم ، وهو مخالف لما ذكره العلامة ابن كثير من أن المدة بين داود وموسى ما ينيف عن ألف سنة ^(١) .

عهد الملوك :

سبق أن ذكرنا أن آخر قضاة اليهود صموئيل عليه السلام ^(٢) ، وكان من أفضل الناس في عصره ، وكان رجلاً تقياً حكيماً عادلاً ، ولكنه شاخ فجعل من بنيه قضاة ، ولكنهم لم يسلكوا سبيله فانحرفوا وأخذوا الرشوة وحابوا في القضاء فاجتمع شيوخ بني إسرائيل وجاءوا إلى صموئيل في الرامة التي كانت مركزه وأخبروه بانحراف أبنائه وطلبوا منه إقامة ملكٍ عليهم يقضي بينهم كجميع الأمم فسأه الطلب ^(٣) لعلمه بتمردهم وعصيانهم واستحالة انقيادهم لرجل واحد يحكمهم ويكبح جماحهم .

ولكن ألخوا عليه فلجأ إلى الله يستشيرهُ فاستاء الله (تعالى الله عما يقولون) كذلك من طلبهم وقال [٧] فقال الرب لصموئيل اسمع لصوت الشعب في كل ما يقولون لك لأنهم لم يرفضوك أنت بل إياي رفضوا حتى لا أملك عليهم ٨ حسب كل أعمارهم التي عملوا من يوم أصعدتهم من مصر إلى هذا اليوم وتركوني وعبدوا آلهة أخرى ، هكذا هم عاملون بك أيضاً ٩ فالآن اسمع لصوتهم ولكن أشهدن عليهم وأخبرهم بقضاء الملك الذي يملك عليهم [٤] .

(١) تفسير ابن كثير ج ١، ص ٢٦٣ ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م ، دار المفيد بيروت لبنان .

(٢) باعتبار أنه النبي الذي أشارت إليه سورة البقرة آية ٢٤٦ ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى آلِمَلِكِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ

أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ .

(٣) تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم عبد الله دروزه ص ١٣٥ ، انظر المجتمع اليهودي زكي شنودة، ص ٤٢٠ - ٤٢١ ، باختصار .

(٤) سفر صموئيل الأول (٨ : ١٩-٧) .

١- ملك شاول :

من قراءة الأسفار التي تروي تفاصيل تعيين الملك ^(١) نجد أن الرب هو الذي يحدد الملك والكاهن - النبي - هو الذي يمسحه وليس للشعب دور في اختيار الملك ، واختار الرب شاول ملكاً وهو من سبط بنيامين أصغر أسباط اليهود ، ومسحه صموئيل وأخبره بعلامات يراها يصير بعدها نبياً :

١- إعطاء الرب له قلباً آخر .

٢- جلوسه مع زمرة من الأنبياء وتنبؤه معهم بالرباب والدف والناي والعود فيحل عليهم روح الرب فيتنبأ معهم .

٣- إخفاؤه أمر الملك عن عمه (٢).

هذا الذي ذكر في السفر من جلوس شاول مع عدد من الأنبياء ليتنبأ معهم كان بعد تأسيس صموئيل مدارس للأنبياء لقلة اهتمام الكهنة بالعلم والتعليم في أيام صموئيل وأطلق على تلامذتها اسم بني الأنبياء وكان رئيس المدرسة النبوية يدعى أباً أو سيداً .

وكان يعلم في هذه المدارس تفسير التوراة والموسيقى والشعر ولذلك كان الأنبياء شعراء وأغلبهم كانوا يرغمون ويلعبون على آلات الطرب (٣) ، وهذا ما يصور انحراف تفكيرهم في المعاني السامية للنبوة والأنبياء .

(١) الأسفار هي ستة : سفر " صموئيل الأول والثاني وسفر الملوك الأول والثاني وسفر أخبار الأيام الأول والثاني .
(٢) سفر صموئيل الأول ، الإصحاح (١٠ : ٢٤) .
(٣) أنظر : قاموس الكتاب المقدس ، ص ٥٤٦ ، وما بعدها .

ذكر صفات الملك وتعتت بني إسرائيل وإصرارهم على قبوله :

١- نسبه :

سبق وأن ذكرنا أنه من عشيرة بنيامين استناداً لما ورد في أسفارهم من قول شاول: [فأجاب شاول وقال أما أنا بنياميني من أصغر أسباط إسرائيل وعشيرتي أصغر عشائر أسباط بنيامين ، فلماذا تكلمني بمثل هذا الكلام] ^(١) .

٢- صفاته الجسمية :

ذكرتها الأسفار اليهودية بما يلي :

[وكان رجلاً من بنيامين اسمه قيس بن أبيئيل بن صرور بن بكورة بن أفيح ابن رجل بنياميني جبار بأس ٢ وكان له ابن اسمه شاول شاب وحسن ، ولم يكن رجلاً في بني إسرائيل أحسن منه ، من كتفه فما فوق كان أطول من كل الشعب] ^(٢) .

وهذه الصفات قريية مما جاء ذكره في كتاب الله العزيز وصفته في قصة الملأ من بني إسرائيل الذين طلبوا من بني لهم تعيين ملك لهم يقاتلون معه (٣).

٣- وصف قضائه :

جاء وصف قضائه في سفر صموئيل الأول :

[١١] وقال هذا يكون قضاء الملك الذي يملك عليكم ، يأخذ بنيكم ويجعلهم لنفسه لمراكبه وفرسانه فيركضون أمام مراكبه ١٢ ، ويجعل لنفسه رؤساء ألوف ورؤساء خمسين فيحرثون حراثته ويحصدون حصاده ، ويعملون عدة حربه وأدوات مراكبه ١٣ ، ويأخذ بناتكم عطارات وطباخات وخبازات ١٤ ، ويأخذ حقولكم وكرومكم وزيتونكم أجودها ويعطيها لعبيده ١٥ ، ويعشر زروعكم وكرومكم ويعطي لخصيانه وعبيده ١٦ ، ويأخذ عبيدكم وجواريكم وشبانكم الحسان وحميركم ، ويستعملهم لشغله ١٧ ، ويعشر غنمكم وأنتم تكونون له عبيداً] ^(٤) .

(١) صموئيل الأول (٩ : ٢١) .

(٢) صموئيل الأول (٩ : ٢-١) .

(٣) قال تعالى : ﴿ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾ ، سورة البقرة (آية : ٢٤٧) .

(٤) صموئيل الأول (١٨ : ١١-١٧) .

وفي هذا الحكم الكثير من التعسف والاستعباد والبعد عن العدالة الإنسانية والنتيجة الحتمية رفض هذا الحكم الشديد لذا قال لهم نبيهم :

[١٨] فتصرخون في ذلك اليوم من وجه ملككم الذي اخترتموه لأنفسكم فلا يستجيب لكم الرب في ذلك اليوم ، ١٩ فأبى الشعب أن يسمعوا لصوت صموئيل وقالوا لا بل يكون علينا ملك ، ٢٠ فنكون نحن مثل سائر الشعوب ويقضي لنا ملكنا ويخرج أمامنا ويحارب حروبنا [١١] .

تعليق :

العلة في طلب تعيين ملك عليهم الملك تقليد الشعوب المجاورة حتى ولو كان في ذلك قهر لهم بفرض العشور وتسخير الأبناء في الحرب والبنات للخدمة ، وإلغاء نظام العبيد للأفراد واقتصاره على الملك ، وهذا التقليد الأعمى مشهور في تاريخ اليهود ، كتقليدهم المشركين في عبادة العجل من قبل.

كما أصدرت الأسفار حكماً مسبقاً على اليهود في عدم طاعتهم وعدم انضباطهم وإزالة الملك عنهم عند ذلك لا يستجاب لهم ، وهنا يظهر بوضوح المكر اليهودي وأسلحته المعروفة كلجنس والمال والعنف ، فهذا هو الملك يأخذ البنات ثم يأخذ العشور ويجعلهم عبيداً.

البيعة :

نصب صموئيل شاول ملكاً على بني إسرائيل وأخذ البيعة من جميع الأسباط اليهودية فبايعوه جميعاً وقدموا له الهدايا إلا ما كان من سبط بنو بليعال فإنهم رفضوا تقديم الهدايا التي ترمز للموافقة والبيعة فما كان من شاول الملك إلا أن تجاهل هذا الموقف (١) ، وهكذا نلاحظ الانشقاق في صفوف الأسباط منذ الأمد البعيد إلى اليوم .

(١) صموئيل الأول (٨ : ١٨ - ٢٠) .
(٢) راجع الكتاب المقدس ، سفر صموئيل الأول (٧ ، ٨ ، ٩) .

بداية ظهور أمر داود عليه السلام :

وتحقق ما طلب بنو إسرائيل من نبيهم بتعيين ملك عليهم وها هو شاول أول ملك لهم يجمع أسباط إسرائيل وعشائرتهم ليتوجه بهم إلى حرب الفلسطينيين وكان عدة الفلسطينيين ٣٠,٠٠٠ ثلاثين ألف مركبة ، و ٦٠٠٠ وستة آلاف فارس وشعب كالرمل على شاطئ البحر من الكثرة ، فاخترأ بنو إسرائيل في المغارات والصخور والصروح والآبار وارتعد شاول وكل الشعب وراءه خوفاً من الفلسطينيين .

ولكن ابن شاول يونانان قام بعد ذلك بالهجوم على الفلسطينيين وانتصر عليهم فخرج بنو إسرائيل من المخابئ والمغارات للهجوم على الفلسطينيين وبدأت انتصارات شاول تتوالى فانتصر على بني موآب وعلى بني عمون وآدوم والفلسطينيين ^(١) .

خطيئة شاول

قام شاول بقتل العماليق كما أمر الرب إله إسرائيل وحرم جميع الشعب بحد السيف ولكنه عفا عن ملك العماليق أجاج ، وأخذ خيار البقر والغنم ولم يحرمها بحد السف بل أخذها غنيمة فغضب الرب من شاول لأنه لم يقم بحرب إبادة تامة كما طلب ^(٢) .

النتيجة :

ندم الرب -تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً- على جعل شاول ملكاً لأنه لم يقم كلامه وأعلن الرب لصموئيل (النبي) بأنه سيمزق ملك شاول ويعطيها لشخص آخر ^(٣).

المعركة التي ظهر بها نجم داود عليه السلام على ضوء الأسفار :

جمع الفلسطينيون جيوشهم لمحاربة بني إسرائيل الذين كانوا يقومون بغارات متعددة على أراضيهم فيهلكون الحرث والنسل ، فخرج رجل مبارز من جيوش الفلسطينيين اسمه جليات (جالوت) ^(٤) وكان عظيم الجسم شجاعاً وتحدى بني إسرائيل طالباً المبارزة أربعين يوماً يقف صباحاً ومساءً فهربوا وخافوا منه ^(٥) .

(١) راجع الكتاب المقدس سفر صموئيل الأول (١٥ : ١-٨) .

(٢) راجع الكتاب المقدس سفر صموئيل الأول (١٥ : ١٠) .

(٣) راجع الكتاب المقدس سفر صموئيل الأول (١٥ : ١٠-١٥) .

(٤) جالوت كما في لفظ القرآن الكريم .

(٥) صموئيل الأول (١٧ : ١٦-١٩) .

وطلب يسي من ابنه داود عليه السلام أن يتفقد إخوته في جيش شاول ويأخذ لهم الطعام فريكاً وعشر خبزات والخبز يقدمها لرئيس الجيش .

فذهب داود عليه السلام وسمع تحدي جليات فأصر على مبارزته فألبسه شاول عدة الحرب ولكن داود الراعي لم يستطع أن يمشي بهذه العدة الثقيلة فتركها وأخذ مقلاعه وخرج للقاء جليات ، فلما رآه جليات استصغره ولكن داود عليه السلام تحداه ورماه بالحجر من مقلاعه فأصابته جليات فخر على أثرها صريعاً ، وذهب داود وأخذ السيف من جليات واحتز رأسه .
وانهزم الفلسطينيون عندما رأوا جليات يسقط صريعاً بالحجر ، وهكذا حقق داود المعجزة بقتله جليات ^(١) .

محاولات اغتيال داود عليه السلام :

- حاول شاول مراراً وتكراراً أن يقتل داود عليه السلام ولكنه فشل في جميع تلك المحاولات ومنها :
- ١- رميه بالرمح أكثر من مرة ^(٢) .
 - ٢- إرساله جنوداً لقتل داود فتحولوا إلى أنبياء ^(٣) .
 - ٣- ملاحقته وهروب داود من مكان لآخر ^(٤) .
 - ٤- احتيال شاول على داود بتزويجه ابنته ثم محاولة قتله فساعدته زوجته (ابنة شاول) على الهرب (١٨ : ١٧-٢١) ^(٥) .

(١) سفر صموئيل الأول (١٧ : ٥٠ - ٥٤) .
(٢) راجع الكتاب المقدس سفر صموئيل الأول (١٨ : ١٢) .
(٣) راجع الكتاب المقدس سفر صموئيل الأول (١٨ : ٨ - ٢٤) .
(٤) راجع الكتاب المقدس سفر صموئيل الأول (٢٣ : ١٦-١٢) .
(٥) راجع الكتاب المقدس سفر صموئيل الأول (١٨ : ١٧-٢١) وهذا منافي لكون شاول مسيح الرب عندهم كما ينافي وصف القرآن الكريم لطالوت باصطفاء طالوت الذي أعطى بسطه في العلم والجسم .

أخلاق داود عليه السلام على ضوء الأسفار اليهودية :

وصفت الأسفار اليهودية داود عليه السلام بعدة صفات منها صفات سلبية وأخرى إيجابية سنعرضها ونشير إلى مواطن الاستشهاد من أسفارهم ثم نعقب بالتعليق عليها .

أولاً : الصفات الإيجابية :

١- الشجاعة :

ذكرت الأسفار اليهودية شجاعة داود عليه السلام بقتله أسداً ودباً أثناء رعيه للغنم ^(١) ، هذا بالإضافة إلى قتله لجليات السابق الذكر.

٢- العفو :

تمكن داود من شاول وهو نائم هو ورجاله فأبى داود أن يقتله مع تكرار محاولات شاول لقتل داود عليه السلام ، وقال داود [حاشا لي من قبل الرب أن أعمل هذا الأمر بسيدي بمسيح الرب فأمد يدي إليه لأنه مسيح الرب هو] ^(٢) . ولما أفاق شاول سجد ^(٣) له داود عليه السلام وعاتبه فبكى شاول وعانق داود ثم افترقا ، [ولما ألفت شاول إلى ورائه خر داود على وجهه إلى الأرض وسجد] ^(٤) .

ثانياً : الصفات السلبية :

١- داود يدعي الجنون :

لما كثرت مؤامرات الملك شاول لاغتيال داود عليه السلام ضاق به الأمر وفر إلى أعدائه الفلسطينيين (وكان قد قتل ملكهم كما ذكرنا) فرفض عبيد الملك انضمام داود إليهم قائلين : أليس داود الذي فعل بنا الأفاعيل ، فخاف داود من هذا الكلام وتظاهر بالجنون فجاء في السفر قولهم :

[١٢] فوضع داود هذا الكلام في قلبه وخاف جداً من أخيش ملك جت ١٣ فغير عقله في أعينهم وتظاهر بالجنون بين أيديهم وأخذ يخرش على مصاريع الباب ويسيل ريقه على لحيته . ^(٥) .

(١) انظر سفر صموئيل الأول (١٧ : ١٦-٢٤) .

(٢) سفر صموئيل الأول (٢٤ : ٦) .

(٣) السجود تحية لا عبادة.

(٤) سفر صموئيل الأول (٢٤ : ٨) .

(٥) سفر صموئيل الأول (٢١ : ١٢-١٥) .

٢- قاطع طريق :

تصور الأسفار اليهودية المحرفة انشقاق داود عليه السلام عن الملك شاول وهروبه إلى الفلسطينيين ثم هروبه من الفلسطينيين إلى مغارة عرلام وانضمام أربعمئة من الرجال إليه كانوا يقومون بغارات على المارة وكان داود رئيساً لهم^(١) .

٣- الخداع :

هرب داود ثانية إلى الفلسطينيين وقبلوه* وغزا داود أعداء بني إسرائيل من الحشوريين والعمالقة وهم سكان الأرض من قديم ولم يستبق منهم رجلاً ولا طفلاً ولا امرأة لئلا يخبروا ملك الفلسطينيين بذلك وأخذ منهم البقر والغنم والحمير والجمال والثياب وقدمها لملك فلسطين وأخبره أنه غزا قبائل إسرائيلية وحلفاءها فصدق الملك..!! ، وقال : [صار _ داود _ مكروهاً لدى شعبه إسرائيل فيكون لي عبداً إلى الأبد]^(٢) .

التعليق :

الصفات الإيجابية الواردة في الأسفار اليهودية لربي الله داود عليه السلام نقبلها ، أما الصفات السلبية فنرفضها ولا نقبلها لأنها تنافي مقام النبوة أولاً ، وتنافي ما يقبله العقل السليم بما فيها من مبالغات ومخالطات لا يقرها القارئ العادي للأسفار ، وهنا يظهر المكر اليهودي ووسائله التي منها :

الأول : العنف بأشد أنواعه (إبادة شاملة لم تستبق منهم أحداً) .

الثاني : المال : (من البقر والغنم والحمير والجمال حتى الثياب جرد الموتى منها وقدمها للملك) .

(١) انظر الكتاب المقدس ، سفر صموئيل الأول (٢٢ : ١-٥) .

الغريب أن داود قد تظاهر بالجنون أمام الملك وصدق وأطلقه ثم عاد إليه فأكرمه وصدق ، وفي كلا الحالتين داود يكذب ويخدع والملك يصدق وهذا والله افتراء على أنبياء الله لا يقبله أولاً وتلاعب بعقل القارئ نرفضه أيضاً .

(٢) سفر صموئيل الأول (٢٧ : ١٢) .

انتحار الملك شاول :

حارب الفلسطينيون إسرائيل مرة أخرى فهرب بنو إسرائيل من أمامهم وقتل أبناء شاول الثلاثة ، وجرح شاول فقال لحامل سلاحه : اقتلني ، ولكن غلامه رفض فأخذ شاول السيف وسقط عليه فمات ، وقطع الفلسطينيون رأس شاول وأبناءه الثلاثة وسمروهم على سور بيت شان [١] وحارب الفلسطينيون إسرائيل فهرب رجال إسرائيل من أمام الفلسطينيين وسقطوا قتلى في جبل جلبوع ٢ ... وضرب الفلسطينيون يوناثان و أبناداب وملكيشوع أبناء شاول ٦ فمات شاول وبنوه الثلاثة وحامل سلاحه وجميع رجاله في ذلك اليوم معاً [١١] .

واستمر ملك شاول سنتين على إسرائيل [١] كان شاول ابن سنة في ملكه وملك سنتين على إسرائيل [١٢] .

(١) سفر صموئيل الأول (٣١ : ١-٧)

(٢) سفر صموئيل الأول (١ : ١٣) .

ملك داود عليه السلام

ذكرت الأسفار اليهودية أن داود عليه السلام عين ملكاً بعد وفاة شاول لانتصاراته التي حققها ضد الفلسطينيين ، وعن الأسفار اليهودية نقلت معظم كتب التفسير .

- ولكن ماذا كان يعمل داود عليه السلام قبل تولي الملك ؟ !

أجابت الأسفار اليهودية عن هذا السؤال بأنه كان يرعى الغنم وهذه الإجابة موافقة - والله أعلم - لمهنة الأنبياء قبل النبوة .

فقد روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :
(ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم ، فقال أصحابه : وأنت ؟ فقال : نعم كنت أراعيها على قراريط لأهل مكة) (١) .

وفي رعي الغنم إشارة إلى أنهم رعاة للناس وتمهيد لكونهم متبوعين كما أن فيه كسباً شريفاً وتربية نفسية وترويضاً على العطف على الضعفاء ، واستنشاق الهواء النقي والتأمل في خلق الله (٢) .

تعريف الملك

الملك لغة

الملك بالضم السلطان والقدرة وبالكسر ما حوته اليد والملك الليث والسلطان والعز والعظمة والملك هو الله تعالى وتقدس (٣) .

الملك بالضم يعم التصرف في ذوي العقول وغيرهم وبالكسر يختص بغير العقلاء وقيل بينهم عموم وخصوص من وجه ، فالمضموم هو التسلط على من يتأتى منه الطاعة ويكون بالاستحقاق وغيره . وبالكسر : من له السلطة والتصرف في الأمر والنهي في جماعة العقلاء ، والملك المطلق هو الذي يثبت للحر ومطلق الملك يثبت للعبد (٤) .

(١) صحيح البخاري ، ج ٣ ، ص ١١٥ - السيرة النبوية / لابن هشام ، ج ١ ، ص ١٧٦ - السيرة النبوية / للندوي ص ١٠٩ .

(٢) السيرة النبوية / الندوي ، دار الشروق ، ص ١٠٩ ، ط ٧ ، ١٤٠٨ هـ ، ١٩٨٧ م ، بيروت .

(٣) لسان العرب / لابن منظور ، ج ١٣ ، ص ١٨٢ - ١٨٦ باختصار القاموس المحيط / للفيروز آبادي . ج ٣ ، ص ٣٣٠ .

(٤) الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية / لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسين الكفولي ، ت ١٩٤ هـ - ١٦٨٣ م ، ط ٢ ، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٣ م ، مؤسسة الرسالة سوريا ، ص ٨٥٣ - ٨٧٤ باختصار ، التعريفات / للرجزاني ، ص ٢٩٥ - ٢٩٦ ، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ -

١٩٨٥ م ، بيروت .

ويعرف ابن خلدون الملك بما يلي :

- ١ - الملك هو أمر زائد على الرئاسة لأن الرئاسة إنما هي سؤدد وصاحبها متبوع ، وليس له عليهم قهر في أحكامه ، أما الملك فهو التغلب والحكم بالقهر وصاحبها متبوع وله عليهم القهر في أحكامه ، فالملك هو التغلب والحكم بالقهر وهي مرتبة أعلى من الرئاسة، وسياسة الملك والسلطان تقتضي أن يكون السائس وازعاً بالقهر وإلا لم تستقم سياسته .
- ٢ - الملك منصب شريف ملذوذ يشتمل على جميع الخيرات الدنيوية والشهوات البدنية والملذذ النفسانية ، فيقع فيه التنافس غالباً ، وقل أن يسلمه أحد لصاحبه إلا إذا غلب عليه .
- ٣ - الملك على الحقيقة لمن يستعبد الرعية ويحبي الأموال ويبعث البعوث ويحامي الثغور ولا تكون فوق يده يد قاهرة ، وهذا معنى الملك وحقيقته في المشهور .

كيف يحصل الملك :

الملك إنما يحصل بالتغلب ، والتغلب إنما يكون بالعصبية واتفاق الأهواء على المطالبة وجمع القلوب وتأليفها إنما يكون بمعونة من الله في إقامة دينه ^(١) . ولعل تعريف ابن خلدون للملك وكيفية حصوله مستمد من وصف القرآن تولى داود عليه السلام الملك ، بقوله تعالى :

﴿ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ﴾ ^(٢)

فحصل التغلب والقهر من داود لجالوت فملكهم بمعونة من الله في إقامة دينه وإلى هذا ذهب بعض المفسرين أن داود عليه السلام تسلم ملك بني إسرائيل بعد قتل جالوت مباشرة ولكن جمهور المفسرين ذهبوا إلى أنه تسلم زمام الملك على بني إسرائيل بعد موت طالوت لأن الواو المطلق الجمع فلا تفيد الترتيب ^(٣) .

(١) مقدمة ابن خلدون / ص ١٤٣ - ص ١٩٠ ، باختصار ، دار القلم ببيروت ، ط ٥ ، ١٩٨٤ م .

(٢) سورة البقرة : آية ٢٥١ .

(٣) مفاتيح الغيب للرازي ، ج ٢ ، ص ٣١١ .

بين الملك والنبوة :

اختلف العلماء في حصول الملك والنبوة لداود عليه السلام هل حصلت بعد قتل جالوت مباشرة أم بعد مدة من الزمن ؟ :

- ١- فذهب بعض العلماء إلى أن الملك حصل لداود بعد ما أظهر هذه البطولة فتعلق الناس به ورشحوه ملكاً عليهم ، ومن مؤيدي هذا الرأي الرازي في تفسيره ^(١) .
 - ٢- وذهب صاحب مروج الذهب إلى أن بني إسرائيل خلعوا طالوت وعينوا بدله داود ملكاً ، ولما مات صموئيل شرفه الله بالنبوة ^(٢) .
 - ٣- وذهب كثير من العلماء إلى أن الملك والنبوة حصلا لداود عليه السلام بعد قتله جالوت بسبع سنين وهذا مروي عن الضحاك والطبرسي واستدلوا بأن الله تعالى كان قد عين طالوت للملك وصموئيل للنبوة فيبعد أن يتسلم داود عليه السلام الملك ويبحث بالنبوة وملكتهم ونيهم موجودان .
- والمشهور آنذاك في أحوال بني إسرائيل أن الله كان يبعث فيهم نبياً وكان يملك فيهم ملك فكان ذلك الملك ينفذ أوامر ذلك النبي ، وقد كان بني ذلك الزمان صموئيل وملك ذلك الزمان هو طالوت ، فلما توفي صموئيل أعطى الله النبوة لداود ، ولما مات طالوت أعطى الله تعالى الملك لداود فجمع بين الملك والنبوة ^(٣) .

تعقيب :

الذي ذهب إليه جمهور المفسرين يقرب مما سبق ذكره في الأسفار اليهودية من مبايعة داود ملكاً على بني إسرائيل بعد مقتل شاول (طالوت) وبنيه الثلاثة ، ويفهم من ظاهر الآية أن المنح الربانية التي أعطها الله لنبيه داود عليه السلام من ملك ونبوة حصلت بالتدرج ، فالملك أولاً ثم النبوة لأن النبوة أشرف من الملك بلا شك ، فلو أن النبوة كانت حاصلة قبل الملك لقدمت في الذكر لشرفها وخطورة منزلتها ^(٤) .

(١) مفاتيح الغيب ، ج ٢ ص ٣١٢ .
(٢) مروج الذهب للمسعودي ، ١٠/٢ .
(٣) مجمع البيان / للطبرسي ج ٢ ص ٣٥٧ بتصرف .
(٤) تفسير الطبري ج ٥ ص ٣٧٢ و مجمع البيان / للطبرسي ج ٢ ص ٣٥٧ و مفاتيح الغيب / للرازي ج ٢ ص ١٩٩ .

النبوة

بعث الله الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام لإخراج الناس من الظلمات إلى النور ، من ظلمات الشرك والجهالة إلى نور التوحيد والعلم وتزويدهم بالعقيدة الصحيحة وتزكية نفوسهم من أدرانها ، فالرسل والأنبياء هم الوسطة بين الله تبارك وتعالى وبين خلقه ، فتبليغ أوامر الله ونواهيه وأحكامه لا يكون إلا عن طريقهم .

ومن هنا تبرز أهمية النبوة فهي أساس العقيدة وقوامها ، كما وأن أنبياء الله ورسله هم مثل عليا من البشر جعلهم الله أهلاً للاقتداء ، ومن ثم أوجب أن تكون صورهم أمامنا دائماً في غاية الحسن والصفاء ، فإذا حدث وألقيت شبهة حول سلوكهم أو التصق بقصصهم شيء من المثالب كان من اللازم تمحيص هذا وذاك حتى نميز الخبيث من الطيب ونذود عن سيرتهم كل نقص أو تحريف لتبقى عقيدتنا بيضاء ناصعة نلقى بها وجه الله .

تعريف النبوة :

لغة:

إما مشتقة من النبأ بمعنى الخبر وأصلها الهمز ..

فيكون النبي : المخبر عن الله تعالى وكل نبأ في القرآن الكريم فهو الخير إلا

قوله تعالى : ﴿فَعَمِيتَ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ﴾ ، فالمراد بها الحجج ^(١) .

ومنه قوله تعالى : ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ ^(٢) عَنِ النَّبِ الْأَعْظَمِ ^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ ^(٤) .

(١) سورة القصص : آية ٦٦ .

(٢) سورة النبأ : آية ١-٢ .

(٣) سورة التحريم : آية ٣ .

والنبا خبر ذو فائدة عظيمة يحصل بها علم أو غلبة ظن ولا يقال للخبر في الأصل نبا حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة :

١- أن يكون صادقاً وحقه أن يتعري عن الكذب كالماتواتر .

٢- خبر الله .

٣- خبر الرسول صلى الله عليه وسلم .

أو مشتقة من النبوة بدون همز وهي ما ارتفع من الأرض وعلا وسمي بذلك لأنه شرف على سائر الخلق .

وقول الأعرابي يا نبي الله بالهمز أي الخارج من مكة إلى المدينة أنكره عليه فقال لا تنبر باسمي وإنما أنا نبي^(١) ، والنبي الطريق الواضح والمكان المرتفع المحدوب ، وتطلق العرب لفظ نبي على علم من أعلام الأرض التي يهتدى بها^(٢) .
فالنبوة مشتقة من كلاهما لموافقة المعنى للإصطلاح الشرعي .

أما الرسول في اللغة فهو :

من الإرسال وهو التوجيه فإذا بعثت شخصاً في مهمة فهو رسولك ، قال تعالى حاكياً قول ملكة سبأ :

﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾^(٣) .

والاسم الرسالة رسالة ، والرسول بمعنى الرسالة يؤنث ويذكر والرسول المرسل ، والرسول معناه : هو الذي يتابع أخبار من بعثه أخذاً من قول العرب (أجاأت الإبل رسلاً ؟) أي متتابعة^(٤) .

وعلى ذلك فالرسل إنما سُموا بذلك لأنهم وجهوا من قبل الله تعالى :

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا^(٥) ﴾ .

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه (٢/٢٣١) من حديث أبي ذر ، وقال على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وتعبه الذهبي وقال بل منكر لم يصح وفيه حمدان بن أيمن ليس بثقة وهو واه .

(٢) أنظر تاج العروس من جواهر القاموس للسيد مرتضى الحسيني ، ج ١ ، ص ٤٤٣ ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، حكومة الكويت ، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م .

(٣) سورة النمل : آية ٣٥ .

(٤) أنظر لسان العرب مادة رسل ، ج ١١ ، ص ٢٨٣ - ٢٨٤ .

(٥) سورة المؤمنون آية ٤٤ .

وعلى ذلك فالرسول في اللغة إما أن يكون مأخوذاً من الإرسال بمعنى التوجيه وهو ظاهر من حيث المعنى وإما أن يكون مأخوذاً من التابع فيكون الرسول هو من تتابع عليه الوحي ^(١) .

أدلة من فرق بين النبي والرسول :

أهل السنة والجماعة وجمهور العلماء قالوا بالفرق بين النبي والرسول مستدلين بالآتي :

١ - قوله تعالى :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾ ^(٢) .

٢ - وصف الله تعالى بعض رسله بالنبوة والرسالة مما يدل على أن الرسالة أمر زائد على النبوة،

قال تعالى :

﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ ^(٣) .

٣ - ما ورد في عدة الأنبياء والرسول فقد ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم أن عدة الأنبياء

مائة وأربعة وعشرون ألف نبي وعدة الرسل ثلاثمائة وبضعة عشر رسولا ^(٤) .

٤ - ما رواه البراء بن عازب رضي عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إذا أخذت

مضجعك فتوضاً وضوءك للصلاة ثم اضطجع على شقك الأيمن ، ثم قل : اللهم إني

أسلمت وجهي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبةً إليك

لا ملجأ ولا منجأ منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت وبنبيك الذي أرسلت

واجعلهن آخر كلامك فإن مت من ليلتك مت وأنت على الفطرة " . قال : فرددهن

لأستذكرهن فقلت آمنت برسولك الذي أرسلت فقال : " قل : آمنت بنبيك الذي

أرسلت) ^(٥) .

(١) أصول الدين ، عبد القاهر بن ظاهر البغدادي ، ط ٣ ، دار الكتب العلمية بيروت ، ١٤٠١ هـ ، ص ١٦٧ .

(٢) سورة الحج : آية ٥٢ .

(٣) سورة مريم : آية ٥١ .

(٤) الحديث لأبي ذر رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ، كم المرسلون ؟ قال ثلاثمائة وبضعة عشر جماً غفيراً ، وفي رواية أبي إمامة قال أبو ذر : قلت : يا رسول الله كم وفاء وعدة الأنبياء ؟ قال : مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً ، الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جماً غفيراً ، أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٧٨/٥ ، ١٧٩ ، ٢٦٦) ، والحاكم في المستدرک (٥٩٧،٢٦٢/٢) ، وقال عن رواية أبي إمامة صحيحة على شرط مسلم ووافقه الذهبي وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٤/٩) وصححه الشيخ ناصر الألباني في تعليقه على المشكاة (١٥٩٩/٣) . أنظر شرح العقيدة السفارية تحقيق أبي محمد أشرف بن عبد المقصود ، ط ١ ، ١٤١٨ هـ ، ١٩٩٧ م ، ص ٢٢٦ ، وكذلك الأمدي وأراؤه الاعتقادية في النبوة والرسالة عرض ونقد على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة ، رسالة ماجستير للطالب / حسن السعيد ١٤١٧ هـ / ١٩٩٧ م ، جامعة أم القرى ، ص ٧٥ .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب الوضوء ، ١ / ٦٧ ، ومسلم في صحيحه كتاب الذكر والدعاء (٢٠٨١/٤) .

والحديث صريح في التفريق بين لفظي النبي والرسول ولو لم يكن هناك فرق لما رد عليه الصلاة والسلام على البراء ذلك ثم إن قوله عليه الصلاة والسلام " نبيك الذين أرسلت " فيه إشارة إلى أنه كان نبياً قبل أن يكون رسولاً^(١) .

وقالت المعتزلة وبعض المتأخرين من الأشاعرة لا فرق بينهما فإنه تعالى خاطب محمداً مرة بالنبي وبالرسول مرة أخرى^(٢) .

وهو رأي القاضي عبد الجبار ورد على من استدل بقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ۚ ﴾ .

قال فصل القدم تعالى بين الرسول والنبي فيجب أن يكون أحدهما غير الآخر ، قال القلضي : (إن الذي يدل على اتفاق الكلمتين في المعنى هو أنهما يثبتان معاً ويزولان معاً في الاستعمال حتى لو أثبت أحدهما ونفي الآخر لتناقض الكلام وهذا هو أمانة إثبات كلتا اللفظتين المتفقين في الفائدة .
وأما قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ۚ ﴾ ، فإنه لا يدل على ما ذكره لأن مجرد الفصل لا يدل على اختلاف الجنس : ألا ترى أنه تعالى فصل بين نبينا وغيره من الأنبياء ، ثم لا يدل هذا على أن نبينا ليس من الأنبياء ؟ .

وكذلك فإنه تعالى فصل بين الفاكهة وبين النخل والرمان ولم يدل على أن النخل والرمان ليسا من الفاكهة ، كذلك هاهنا^(٣) .

ويجاب على هذا الاعتراض بما يلي :

- ١ - أن الفصل في كلام البلغاء لا يكون إلا بمعنى فكيف إذا كان ذلك في كلام رب العالمين .
- ٢ - أن الفصل في الآية المذكورة عكس الأمثلة التي قرر القاضي عليها قوله فهو من باب عطف العام على الخاص ومعلوم أن العام إذا قوبل بالخاص أريد به ما عدا الخاص^(٤) .

(١) انظر فتح الباري للحافظ ابن حجر (١ / ٣٥٨) .

(٢) التعريفات / للرجاني ، ص ١٤٨ .

(٣) شرح الأصول الخمسة / للقاضي عبد الجبار الجويني ، ص ٥٦٨ .

النبوة في الاصطلاح :

تعريف الإمام الشافعي للرسول (الرسول هو صاحب الشريعة والأنبياء بعثوا على شرائع تلك الرسل وكل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً)^(١).

- ١ - وقال غيره : هي سفارة العبد بين الله تعالى وبين ذوي الألباب من خليقته لإزاحة علل ذوي الألباب فيما تقصر عقولهم عنه من مصالح الدارين ولهذا يوصف بالجد والهداية^(٢).
- ٢ - النبي هو إنسان ذكر حر خال من العيوب المنفرة أوحى الله إليه بشرع^(٣).
- ٣ - النبي من أوحى الله إليه ، بملك أو ألهم في قلبه أو نبه بالرؤيا الصالحة ، فالرسول فضّل بالوحي الخاص الذي فوق وحي النبوة ، لأن الرسول هو من أوحى إليه جبرائيل خاصة بتنزيل الكتاب من الله^(٤).
- ٤ - النبوة هبة ربانية وفضل إلهي يهبها الله لمن يشاء من عباده ويختص بها من يريد من خلقه وهي لا تدرك بالجد والتعب ولا تنال بكثرة الطاعة والعبادة وإنما هي بمحض الفضل الإلهي قال تعالى : ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾^(٥).
- ٥ - ويفرق ابن أبي العز الحنفي بين النبي والرسول بقوله (النبي من نبأه بخبر السماء إن أمره أن يبلغ غيره فهو نبي رسول وإن لم يأمره أن يبلغ غيره فهو نبي وليس برسول)^(٦).

(١) الفقه الأكبر في التوحيد/ للشافعي ، ص ٢٨ ، مطبعة الأدبية ، الأزبكية ، القاهرة ، الطبعة الأولى .
(٢) مقدمة دلائل النبوة / للأصبهاني ، ص ٣٣ ، وكذلك العقائد النسفية ، ص ١٦٤ لأبي حفص النسفي ، ص ٥٣٧ . طبعة ١٣٢٦ هـ ، شرح مطالع الأنظار على متن طوابع الأنوار للقاضي البيضاوي ، ص ١٩٨ .
(٣) في نور العقيدة الإسلامية / محمد أحمد المسير ، ص ٢٢٦ ، طبعة أولى ، دار الطباعة المحمدية القاهرة ، نقلاً من البيجوري في شرح الجوهرة ، ص ٩ .
(٤) التعريفات/ للرجزاني ، ص ٣٠٧ ، وهو علي بن محمد بن محمد بن علي ولد سنة ٧٤٠-٨١٦ هـ ، حققه وقدم له إبراهيم الإبياري ، ط ١ ، ١٤٠-٥ هـ / ١٩٨٥ م ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
(٥) سورة البقرة : جزء من لية ١٠٥ .
(٦) شرح العقيدة الطحاوية / للحنفي ص ١٦٦ ، الطبعة السادسة ١٤٠٠ هـ ، المكتب الإسلامي ، بيروت .

الرسول في الاصطلاح :

- ١- الرسول إنسان بعثه الله إلى الخلق لتبليغ الأحكام^(١) .
- ٢- الرسول هو من أوحى إليه بشرع جديد والنبي هو المبعوث لتقرير شرع من قبله^(٢) .
- ٣- وذكر التفتازاني : أن الرسول إنسان بعثه الله تعالى إلى الخلق لتبليغ الأحكام ، وقد يشترط أن يكون معه كتاب من عند الله ، أما النبي فأعم^(٣) .
- ٤- الرسول : إبلاغه بالرسالة والوحي^(٤) .

اختلف العلماء في تحديد الفرق بين النبي والرسول وفي تحديد مسمى كل منهما كلام كثير لا يسلم من نقد لكن الأمر الراجح عند كثير من أهل العلم أن هناك فرقاً بين مسمى النبي ومسمى الرسول وإن اختلفوا في تحديد المراد بكل منهما^(٥) ، ويمكن أن نلاحظ الآتي :

١- أن كلاً من النبوة والرسالة فيض إلهي واصطفاء رباني وأن أياً منهما لا يكون أمراً يكتسب اكتساباً بالاجتهاد والرياضة ولا بالدراسة والبحث .

٢- أن الاصطفاء بالنبوة سابق على الاصطفاء بالرسالة فلا يتم الاصطفاء بالرسالة إلا لمن تم اصطفاءه بالنبوة ، أي بالوحي ويدل على ذلك عدة نصوص منها : قوله تعالى : ﴿ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴾^(٦) .

وقوله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾^(٧) وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً^(٨) .

فالآيات السابقة تشير إلى أن النبوة تكون متحققة أولاً ثم يأتي بعدها الإرسال ونستطيع من هذا أن نفهم أنه قد يمر على النبي فترة الاصطفاء بالوحي قبل أن يؤمر بالتبليغ فيكون في هذه الفترة - بالنظر لواقع حاله - نبياً لا رسولاً ، فإذا أمره الله بالتبليغ صار في واقع حاله نبياً رسولاً ، وذلك كالفترة التي كانت للنبي محمد صلى الله عليه وسلم بين بدء الوحي وبين أمر الله له بالتبليغ في قوله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الْمَدِيرُ ﴾^(٩) قُمْ فَأَنْذِرْ^(١٠) .

(١) التعريفات / للرجاني ص ١٤٨ .

(٢) تفسير روح المعاني / للالوسي ج ١٧ ، ١٥٧ .

(٣) العقائد النسفية شرح التفتازاني ص ٣١ .

(٤) مقدمة دلائل النبوة / للأصبهاني / ج ١ ، ص ٣٣ .

(٥) شرح العقيدة الطحاوية / لابن أبي العز الحنفي ص ١٦٧ ، باختصار .

(٦) سورة الزخرف: آية ٦ .

(٧) سورة الأحزاب : آية ٤٥-٤٦ .

(٨) سورة المدثر : آية ١-٢ .

وقوله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾^(١) .

٣- أن الله قد يقتصر على الاصطفاء بالنبوة بالنسبة لبعض الأنبياء دون أن يأمرهم بتبليغ رسالته، وهؤلاء يمكن أن نسميهم أنبياء لا رسلاً .

فالنبي هو من نبأه الله ، وقد يؤمر بتبليغ بعض الأوامر في قضية معينة أو الوصايا والمواظ ، وذلك كأنبيا بني إسرائيل إذ كانوا على شريعة التوراة ولم يأت أحد منهم بشرع جديد ناسخ للتوراة فتكون منزلته حينئذ بمنزلة المجدد لتعاليم التوراة المنزل على موسى - عليه السلام .

أما الرسول فهو من بعثه الله بشرع وأمره بتبليغه لمن خالفوا أوامره وسواء كان هذا الشرع جديداً في نفسه أو بالنسبة لمن بعث إليهم وربما أتى بنسخ بعض أحكام شريعة من قبله^(٢) .

ومما ينكر على ما ذهب إليه الشارح من فرق بين النبي والرسول أن الله قد أخذ على أهل العلم أن يبينوه للناس ولا يكتُمونه ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾^(٣) .

فكيف بالأنبياء الذين هم أعلى مقاماً من العلماء ؟ .

ولعل الأقرب ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية من أن النبي هو من أوحى الله إليه وهو يبلغ ما أوحى إليه لكنه لم يرسل إلى قوم كفار يدعوهم إلى التوحيد فإن الله قال : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾^(٤) .

فذكر أن الإرسال يعم الرسول والنبي وخص أحدهما بأنه رسول وهذا هو الرسول المطلق الذي أمر بتبليغ رسالة الله إلى قوم خالفوا أمر الله ووقعوا في الشرك كما كان شأن نوح - عليه السلام ، وقد ثبت في الصحيح أنه أول رسول بعث إلى الأرض ، وقد كان قبله أنبياء كآدم و شيث وإدريس - عليهم السلام .

(١) سورة المائدة : آية ٦٧ .

(٢) راجع النبوات / لابن تيمية بيروت ص ٢٢٥ - ص ٢٥٧ ، طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت . وكذلك مجموع الفتاوى / لابن تيمية ج ٤ ، ص ٢٩٠ ، ج ٩ ، ص ١٤ - ١٦ - ٢٥١ ، ج ١٥ ، ص ٣٠ - ٣١ ، ج ١٢ ، ص ٣٥٤ .

(٣) سورة آل عمران : آية ١٨٧ .

(٤) السورة الحج : آية ٥٢ .

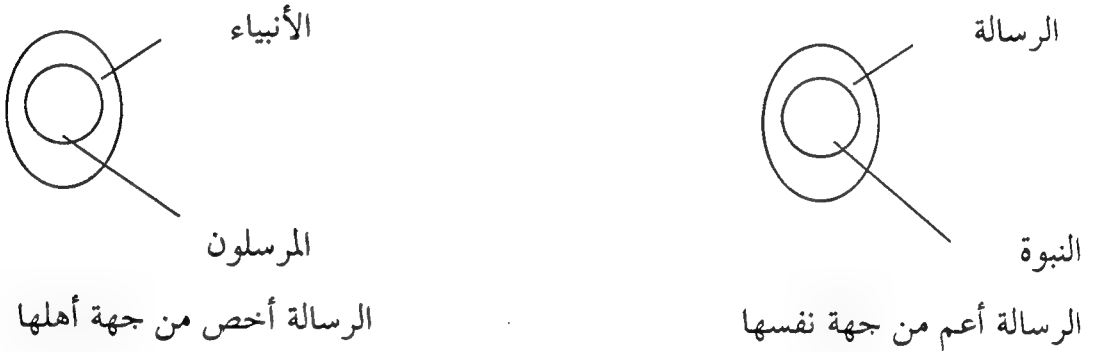
وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ دليل على أن النبي مرسل ولا يسمى رسولا عند الإطلاق لأنه لم يرسل إلى قوم بما لا يعرفونه بل كان يأمر المؤمنين بما يعرفونه أنه حق كالعالم ، وليس من شرط الرسول أن يأتي بشرية جديدة .

فإن يوسف عليه السلام كان رسولا وكان على ملة إبراهيم عليه السلام^(١) قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا ﴾^(٢) .

فالرسول أخص من النبي فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا ولكن الرسالة أعم من جهة نفسها .

فالنبوة جزء من الرسالة إذ الرسالة تتناول النبوة وغيرها بخلاف الرسل فإنهم لا يتناولون الأنبياء وغيرهم .

بل الأمر بالعكس فالرسالة أعم من جهة نفسها وأخص من جهة أهلها ، ويمكن توضيح ذلك بالرسم التالي :^(٣)



فالرسول أفضل من النبي إجماعاً لتمييزه بالرسالة لأنها تثمر هداية الأمة^(٤) .

(١) كتاب النبوات ، ص ٢٥٥ ، ٢٥٧ .

(٢) سورة غافر آية ٣٤ .

(٣) نقلا عن كتاب المنحة الإلهية في تهذيب شرح الطحاوية/ للإمام علي بن أبي العز الحنفي ص ٢٠٣-٢٠٤ بتصرف واختصار أعده وخرج أحاديثه وعلق عليه عبد الآخر حماد العيني ط ١ ، جماد الثاني ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م دار الصحابة للطباعة والنشر .

(٤) مختصر لواضع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية ، شرح الدررة المضيئة في عقد الفرقة المرضية ، تأليف / محمد بن علي بن سلوم ، حققه وضبطه ونسقه وصححه محمد زهري النجار ، من علماء الأزهر ، دار الكتب العلمية بيروت ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ، ص ٣٨-٣٩ باختصار .

الخلاصة :

التعريف المختار :

النبي هو إنسان حر ذكر أوحى إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه .
والنبي الرسول إنسان حر ذكر أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه .

محترزات التعريف :

إنسان : يخرج بشرط الإنسانية كل من لا ينطبق عليه هذا الوصف كالملائكة والجن والبهائم .
حر : يخرج بشرط الحرية الرقيق لأنه وصف نقص لا يليق بمقام الأنبياء .
ذكر : يخرج بصفة الذكورية الإناث لأن الرسالة تقتضي الإشهار بالدعوة ومخالطة الناس والأنوثة تقتضي التستر وتنافي الاشتهار ، قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ ﴾^(١) .
شرع : خرج بشرط كون الوحي شرعاً كل من أوحى إليه بغير شرع كمريم وسارة وآسية وأم موسى .. (وإن كن قد خرجن من الشرط السابق) .

ويمكن تلخيص ما مر معنا بصورة أوضح :

وهي من أتى بشرع جديد فهو نبي رسول ، ومن أتى بشرع قديم فينظر إلى قومه وحالهم فإن كانوا على ذلك الشرع ولم ينكروا شيئاً منه فهو والحالة هذه نبي فقط لأن من يبلغ أوامر الشرع ونواهيه لا يبلغ ثانية ، وإنما يدعى إلى تطبيق ما بلغ ، وإن كان قومه قد نسوا أو غيروا بعض أو كل الشرع ، أو أنه قد أتى بنسخ بعض أحكام الشريعة ، أو كان الشرع قديماً بالنسبة له جديداً بالنسبة إليهم فهو نبي رسول ، فالرسول مبلغ داعية يبلغ قومه ما جهلوه من الشرع وداعياً لهم للزومه ، والنبي داعية فقط حيث إن قومه لا يجهلون ما يدعون إليه وإنما كان منهم التقصير في العمل بذلك الشرع^(٢) ، والله أعلم .

(١) سورة يوسف: آية ١٠٩ .
(٢) النبي والرسول / د. حمد الناصر ص ١٤٣ وما بعدها باختصار ، نقلاً عن تعريف الليجوري بشرح الجوهرة ، ص ٩ ، باختصار وإضافة (تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ، تأليف الليجوري ، دار الكتب العلمية ، بيروت) .

النبوة في الأسفار اليهودية :

لقد ظهر أنبياء اليهود في جو مشحون بعوامل التفكك السياسي والحرب الاقتصادية والأحلال الديني ، ولم يكن أولئك الذين أطلق عليهم لفظ نبي من سبط الأنبياء بل هم من المتنبة ، وقد كثر عددهم جداً منذ القرن الحادي عشر حتى قبل العهد الميلادي، فكانوا هم القوى الروحية التي أطاحت ببني إسرائيل وهم الخمير الذي أدى اختماره إلى إبعادهم وفصلهم عن الحضارات التي عاصروهم ، ويضم كتاب تاريخ الحضارات العام - بأنهم الملهمون الذين يسكن فيهم الإله ، وهم منذ البداية وقبل داود نفسه - عليه السلام - ظهوروا بشعر طويل شعث ونفروا من المجتمع .

وكثيراً ما أثاروا الفضايح لأنهم لا يراعون أحداً لا الملك ولا الكهنة ولا الشعب فإن يهوه الذي يتكلم بلسانهم يجيز لنفسه الجسارات وحتى المبالغات لم يهتموا بكتابة خطبهم قبل أو بعد إلقائها ، لذلك لا نعرف شيئاً عن قدامى الأنبياء ولا حتى أسمائهم ، أحياناً كثيرة وجد في بعض الأمكنة في أيامهم ما يمكن أن يعرف بمدارس إعداد الأنبياء ، وقد استمرت هذه المدارس حتى القرن الثامن، يغلب أنها هي التي باشرت جمع الكلام الذي يجب ألا يطويه النسيان ، بعد النفي أصبح الأنبياء أشد ارتباطاً بالكهنوت وبدوا لا هوتين أكثر منهم أنبياء^(١) .

أما صاحب قصة الحضارة فيخالفه الرأي في وصف الأنبياء الكذبة فذكر أن من أشهر صفات المتنبيين :

- تقاضي الأجر مقابل قراءة قلوب الناس وماضيهم ويخبرونهم بمستقبلهم .
- استثارة مشاعر الناس بالأصوات الموسيقية الغريبة .
- استعمال المشروبات القوية فهم مزيج من العرافين الاشتراكيين .
- الرقص الشبيه برقص الدراويش وينطقون في أثناء غيوبتهم بعبارات يراها أصحابهم وحيّاً أوحى إليهم ، أي تتألم روح غير روحهم .
- كثيرون منهم كانوا يعيشون في مدارس وأديرة مجاورة للهياكل ولكن معظمهم كانت لهم أملاك خاصة وزوجات^(٢) .

(١) تاريخ الحضارات العام / إشراف موريس كروزيه ج ١ ، ص ٢٧٢-٢٧٥ ، باختصار ، منشورات عويدات ، ط١ ، ١٩٦٤م ، لبنان .
(٢) كتاب قصة الحضارة / ول ديورانت الجزء الثاني من المجلد الأول ، ط٣ ، القاهرة ، ١٩٦٥م ، ترجمة محمد بدران ، جامعة الدول العربية ، ص ٣٤٨ - ٣٦٥ ، باختصار .

أما وظيفة الأنبياء الصادقين فيرى أنها قائمة على :

- النقد لعصرهم وشعبهم فهم ثابتون على تقدمهم عارفون بالتبعة الملقاة عليهم .
 - وهم سياسيون ممتازون يسوسون بلادهم في الخفاء وهم أشد الناس معارضة للكهنة ألدهم عداً للساميين .
 - كانت نبوءاتهم مزيجاً من الوعد والوعيد والتقوى والصلاح والإشارة إلى الحوادث بعد وقوعها ، ولم يكن الأنبياء الصادقون يدعون أنهم يعلمون الغيب .
 - كانوا أشبه بالمعارضين البلغاء الذين خرجوا من أحضان الريف الساذج يصبون اللعنات على ثراء الحواضر الفاسدة .
- ويرى المؤلف أن أهم أثر للأنبياء في معاصريهم هو كتابة التوراة^(١) .

تعريف النبي كما ورد في قاموس الكتاب المقدس :

- ١- النبي هو من يتكلم أو يكتب عما يجول في خاطره دون أن يكون ذلك الشيء من بنات أفكاره بل هو من قوة خارجه عنه^(٢) .
- في التعريف السابق لم يحدد ما هي وظيفة النبي ، كما لم يذكر الطرق التي يتم بها التنبؤ فهو تعريف لا جامع ولا وافٍ .
- ٢- النبوة عند اليهود ، الإخبار عن الله وخفايا مقاصده عن الأمور المستقبلية ومصير الشعوب والمدن والأقدار بوحى خاص منزل من الله على فم أنبيائه المصطفين^(٣) .
- كما نلاحظ في هذا التعريف خلوه من معنى النبوة الحقيقي وهو الدعوة إلى الله وإلى طريق الحق ، فالنبوة عندهم لمعرفة القدر والمستقبل .
- وهو ما لا يعول عليه في الدعوة وقيام الدين الحق ، فالإنباء ببعض الأمور الغيبية يدل على صدق النبوة وليس هو الهدف الأساسي من إرسال الأنبياء ، ونستدل على ذلك - بقول الله عز وجل ﴿ وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ ﴾^(٤) .

(١) المرجع السابق ، ص ٣٥٥ ، وهذا كلام لا نسلم به فالأنبياء الصادقون أصحاب رسالة سماوية وليسوا معارضين بلغاء ولا هم سياسيون في الخفاء بل يجهرون بدعوتهم ويؤيدون بسلطان من الله ، وأرى أن التوراة لم تكتب بيد معاصريهم كما صرح صاحب الكتاب من قبل في تنوين التوراة وهذا خلط من مؤرخ كبير لا يقلل .

(٢) قاموس الكتاب المقدس ، ص ٩٤٩ - ٩٥٣ ، باختصار وتصرف .

(٣) المرجع السابق : ص ٩٤٦ - ٩٥٣ ، باختصار وتصرف .

(٤) سورة الأعراف ، آية ١٨٨ .

وظيفة الأنبياء :

يقول صاحب قاموس الكتاب المقدس إن وظيفة الأنبياء كانت تقوم على :

- ١ - تقوية الإيمان بالله .
 - ٢ - إقامة الشريعة الموسوية .
 - ٣ - تشجيع اليهود على الصمود في وجه الفلسطينيين وأصنامهم^(١) .
- وذكرت الأسفار اليهودية عدداً كبيراً من الأنبياء وتكاثر عدد الأنبياء في حوالي القرن الحادي عشر ق.م .

أنواع الأنبياء في الأسفار اليهودية :

قسمت الأسفار اليهودية الأنبياء إلى ثلاثة أنواع هي :

- ١ - أنبياء الله .
- ٢ - أنبياء مزيفون .
- ٣ - أنبياء كذبة .

النوع الأول : أنبياء الله :

هم الذين ينبأون عن الحوادث المستقبلية والتي يكون مصدرها الله وهم مقامون من عند الله ومعينون من عنده ومرسلون من عنده ؛ [١ ودعا يعقوب بنيه وقال اجتمعوا لأنبئكم بما يصيبكم في آخر الأيام ٢ اجتمعوا واسمعوا يا بني يعقوب واصغوا إلى إسرائيل أبيكم]^(٢) .

النوع الثاني : الأنبياء المزيفون :

هم أنبياء الآلهة الوثنية وأتباعهم من عباد الأصنام الذين كانوا أكثر من ارتدوا من بني إسرائيل وعبدوا تلك الأصنام ، مثل الآشوريين ، والكلدانيين ، والمصريين ، واليونان ، والرومان ، وذكرت الأسفار اليهودية منهم ثمانية وخمسين نبياً للإله بعل الفينيقي والآلهة أشيرة أيام الملكة إيزابيل الفينيقية الأصل .

(١) قاموس الكتاب المقدس ، ص ٩٤٩ - ٩٥٣ ، باختصار وتصرف .
(٢) سفر التكوين (٤٩ : ٢-١) .

[فقال لم أكدر إسرائيل بل أنت وبيت أبيك بترككم وصايا الرب وبسيرك وراء البعليم ١٩ فالآن أرسل وأجمع إلى كل إسرائيل إلى جبل الكرمل وأنبياء البعل أربع المائة والخمسين وأنبياء السواري أربع المئة الذين يأكلون على مائدة إيزابل ٢١.. وقال إن كان الرب هو الله فاتبعوه وإن كان البعل فاتبعوه فلم يجبه الشعب بكلمة] ^(١) .

النوع الثالث : الأنبياء الكذبة :

يدعون أنهم مرسلون من عند الله لامتحان الشعب وهم مسوقون بالأرواح الشريرة ^(٢) وحذر العهد القديم من الأنبياء الكذبة في سفر التثنية .
وعندما قلت النبوة في بني إسرائيل أقاموا المدارس للأنبياء وأطلقوا على طلاب المدارس اسم أبناء الأنبياء .

وانتشرت هذه المدارس في الرامة وبيت آيل وأريحا والجلجال وغيرها ..

ويدعى مدير المدرسة بالأب أو السيد ^(٣) .

وكان من أبرز المتخرجين من مدرسة الأنبياء صموئيل ^(٤) حتى قرنوا اسمه بموسى وهارون - عليهما السلام .

المناهج في هذه المدرسة :

كانت تدرس فيها :

- ١- تفسير التوراة .
- ٢- الموسيقى .
- ٣- حفظ الشعر وإلقائه ^(٥) .

(١) سفر الملوك الأول (١٨ : ١٨-٢١) .

(٢) أنظر سفر الملوك الأول (٢٢ : ٢١ - ٢٣) .

(٣) راجع سفر صموئيل الأول (١ : ١٥) . (٢ : ٢٥) .

(٤) صموئيل معناه (سمع الله) ، وسبق أن أشرنا إلى قصة صموئيل وأن أمه كانت حاملًا به وهو من سبط النبوذة الذين لم يبق منهم أحد سواه بعد وفاة والده .

(٥) سفر الخروج (٥ : ٢٠) ، سفر صموئيل الأول (١٠ : ٥-٢) ، سفر قضاة (٤ : ٤-٥) .

حياتهم :

كانوا يتعودون في هذه المدارس على التقشف والاكتفاء بالقليل والتنسك وقبول الإحسان حتى من الأرامل [٨] وكان له كلام الرب قائلاً ٩ قم اذهب إلى صرفة التي لصيدون وأقم هناك . هوذا قد أمرت هناك امرأة أرملة أن تعولك ١٠ فقام وذهب إلى صرفة . وجاء إلى باب المدينة وإذا بامرأة أرملة هناك تقش عيداناً فناداها وقال هايتي لي قليل ماء في إناءٍ فأشرب ١١ وفيما هي ذاهبة لتأتي به ناداها وقال هايتي لي كسرة خبز في يدك [١١] .

وكانوا في هذه المدارس يتجردون من ثيابهم ويمشون عراة بين الناس كما حدث لشاول حتى يصبح بعد ذلك نبياً، فقد أوصاه صموئيل بالآتي :

[٥ ... إنك تصادف زمرة من الأنبياء نازلين من المرتفعة وأمامهم ربابٌ ودفٌ ونايٌ وعودٌ وهم يتبأون ٦ فيحل عليك روح الرب فتتبأ معهم وتتحول إلى رجلٍ آخر] [١٢] .

الفرق بين النبي والرائي :

من قديم الزمن وجد الكاهن " المختص " ووجد " الرائي " الملهم الذي يختاره الإله للنطق بلسانه والجهر بوعدده ووعيده ، ولم يكن بين عمل الكاهن وعمل الرائي تناقض في مبدأ الأمر لأن الرائي كان يحتاج إلى تفسير الكاهن وحل رموزه ونفي (النفاية من خلطه واضطرابه إذ كان الغالب على الرائيين بأنهم قوم تملكهم حالة " الوجد " أو " الجذبة " أو " الصرع " ، فيتدفقون بالوعد والوعيد وينذرون الناس بالويل والثبور ويقولون كلاماً لا يذكرونه وهم مفيقون فيحسب السامع أن الوثن المعبود يجري هذا الكلام على ألسنتهم للموعظة والتبصرة - وسمي الصرع من أجل هذا بالمرض الإلهي في الطب القديم .

كذلك وجدت الكهانة والرؤية بين العبرانيين من أقدم عصورهم ، كما وجدت في سائر الأمم ولم يسموا الرائي عندهم باسم النبي إلا بعد اتصاَلهم بالعرب في شمال الجزيرة العربية إذ وجدت كلمة النبوة في اللغة العربية غير مستعارة من معنى آخر لأن اللغة العربية غنية جداً بكلمات العرافة والعيافة والكهانة وما لها من المعاني التي لا تلتبس في اللسان العربي بمعنى النبوة كما تلتبس في الألسنة الأخرى .

(١) سفر الملوك الأول (١٧ : ٨ - ١٥) .

(٢) سفر صموئيل الأول (١٠ : ١٥ - ٦) .

فالعبريون كانوا يسمون الأنبياء الأقدمين بالآباء وكانوا يسمون المطلع على الغيب بعد ذلك باسم الرائي أو الناظر .

ولم يفهموا من كلمة النبوة في مبدأ الأمر إلا معنى الإنذار ، ومما يعزز هذا القول - الرائي - ما جاء في موسوعة الكلمات اللاهوتية في التوراة عن عالين من أكبر علماء التاريخ العبري وهما هولشر Holscher وشميدت Schmidt^(١) .

فإنهما يرجحان أن كلمة النبوة مما استفاده العبريون عن أهل كنعان بعد وفودهم على فلسطين^(٢) . ونخالف هذا الرأي الدكتور حسن ظاظا من خلال ترجمته لبحث (تاريخ الأنبياء عند بني إسرائيل) الأستاذ م . ص . سيجال هو من أبرز المفكرين اليهود وأكثرهم تبحراً في دراسة التوراة - حول معنى النبوة في العقيدة اليهودية .

إن التحول الذي حدث في تسمية (رجل الله) من (الرائي) إلى (النبي) جاء في سفر صموئيل الأول [٩ ... هلم نذهب إلى الرائي لأن النبي اليوم كان يدعى سابقاً الرائي]^(٣) .

هذه الآية ليست من صميم القصة ولكنها حاشية من يد ناسخ أراد أن يفسر لفظة رائي ، ومن هذه الحاشية التي يصعب تحديد زمنها جعلها معظم الباحثين المحدثين أساساً تقوم عليه كل أبحاثهم في تاريخ النبوة وتطورها عند بني إسرائيل .

واستنتجوا أن الاسم " نبي " مستحدث وأنه قبل ذلك لم تكن تسمية " نبي " معروفة في بني إسرائيل ، وأن " رجل الله " كان يدعى ويوصف ويدعو نفسه " بالرائي " لا " النبي " .

إن هذا التحول في تسمية (رجل الله) من (الرائي) إلى (النبي) حدث بعد صموئيل عندما اتسع شأنه " رجال الله " ، وهذا التحول يحدد نهاية عصر وبداية آخر جديد في تاريخ النبوة ، ففي هذا العصر الجديد تغيرت صفات (رجل الله) ووظائفه ومن ثم تغير اسمه ، كذلك من " الرائي " إلى " النبي " ^(٤) .

(١) Athedological word Book F th Bille , edired by Richadson .

(٢) المجموعة الكاملة لمؤلفات العقاد / ج ٧ ، الإسلاميات ، ٣ مطلع النور ، ص ٢٧٦ ، ط ١ ، ١٩٧٤م ، دار الكتاب اللبناني بيروت . باختصار وتصرف .

(٣) سفر صموئيل الأول (٩ : ٩) .

(٤) أبحاث في الفكر اليهودي / د. حسن ظاظا ص ٦٠ - ٧٥ باختصار .

أما وظائف الرائي القديم فإنه :

- كان يخبر بما سيكون وينبئ بالغيب حسب علامات معروفة تلقي دلالاتها وتأويلاتها نقلاً عن سابقه .
- كان حكيماً "فيلسوفاً" - وساحراً وعرافاً مثل الرائي والكاهن العربي والرائي عند البابليين وغيرهم لدى الأمم السامية .
- كانوا يفحصون في أكباد القرابين أو في الأزلام أو القداح أو الأنصاب .

تعريف النبي :

أما النبي ذو " شطحات " ترجمة لكلمة " extasis " أي صاحب حرارة ووجدان روحاني تصل به إلى حد التجرد عن المادة والانطلاق من مجال الحواس العادي ، كان الروح يستولي عليه ويملأ نفسه وجسده كما في حالة " المس " إذ هو تحت سلطان الروح وهذه الحالة من الشطح وسلطان الروح على الجسد (في رأي أولئك الباحثين) غريبة تماماً عن طبيعة النفس السامية وأصلها من آسيا الصغرى ثم انتقلت من هناك إلى سوريا فبلاد الكنعانيين ، وعلى ذلك يكون التحول من "الرائي" إلى النبي " ، قد جاء إلى بني إسرائيل من الخارج وتأثير الكنعانيين .

وبذلك يكون موسى عرافاً وليس نبياً ، بل مثل السحرة المصريين وإن كان أعظم منهم وأعلم ، وفي أجيال متأخرة فقط غيروا صورة موسى وجعلوا منه نبياً وكل المواضع التي ورد فيها الحديث عن موسى على أنه نبي ، إنما كتبت بأيدي كتبة متأخرين بعد أن نسيت في إسرائيل مميزات "الرائي" والفرق بينه وبين النبي .

هذه النظرية بنيت على أساس مزعزع - في وجهة نظر الكاتب اليهودي - وصفه النبي قديمة في الأسفار - وذكر أمثلة كثيرة من سفر صموئيل الأول وسفر الملوك لإثبات قدم كلمة نبي في الأسفار اليهودية - وبذلك يتضح أنه كان هناك أنبياء في أيام صموئيل وأنه من غير الممكن أن نقول إن الحاشية الواردة في صموئيل الأول (٩ : ٩) تفيد أنه في أيام صموئيل لم يكن لفظ "نبي" قد وجد بعد أو حتى إن لفظ نبي قد استحدث على أيام صموئيل فقط لنوع معين من (رجال الله) ، وبعد فليس صحيحاً أن "النبي" صاحب الشطحات دخیل على إسرائيل من الكنعانيين وأن الكنعانيين أخذوه من آسيا الصغرى.

النبي والرائي شخص واحد :

لفهم مدلول كلمة نبي يجب أن نعرف وظيفة النبي في حياة الأمة الإسرائيلية ، فالنبي هو : فم ربه الذي به يتحدث إلى الشعب فيسمعه كلام هذا الرب ، كما كان هارون بمثابة نبي لموسى عليه. أن يكون فمًا لموسى يبلغ كلام موسى إلى الشعب وإلى فرعون ، جاء في أسفارهم : [انظر أنا جعلتك إلهًا (ألوهيم) لفرعون وهارون أخوك يكون نبيك] ^(١) .

ووظيفة هارون مشروحة في سفر الخروج : [١٦ وهو يكلم الشعب عنك وهو يكون لك فمًا وأنت تكون له إلهًا (ألوهيم)] ^(٢) .

والرائي والنبي لا تعنيان نوعين متميزين من (رجال الله) ، بل هما تعنيان اتجاهين وعلاقيتين لنفس الرجل يكمل كل منهما الآخر .

فالرائي : علاقة (رجل الله) بالله يرى رؤيا ، وينظر نظر القدير .

النبي : علاقة بين (رجل الله) والأمة (فم الله) الذي يتحدث به ويسمع الشعب كلام الله الذي سمعه هو في رؤيا النبوة " أي التبليغ " فرجل الله الكامل جمع بين النبوة والرؤى ، والرائي درجة أقل من درجة النبوة .

ومن وظائف النبي ليس فقط تبليغ أوامر الله ، بل أيضاً هو الوسيط بين الخاص والعام وبين الله ، أي كان فمًا للشعب أمام الله .

- وكذلك الصلاة من أجل الأفراد والجماعات في الضراء والبأساء ضارعاً أمام الله حتى يأتي

بالفرج ، مثال صلاة الأنبياء للأفراد ما جاء في سفر التكوين : [١٧ فصلى إبراهيم إلى الله فشفى

الله أيمالك ...] ^(٣) .

أما صلاة الأنبياء من أجل الجماعات فمثل ما جاء في سفر التكوين :

[وأما إبراهيم فكان لم يزل قائماً أمام الرب ٢٣ فتقدم إبراهيم وقال أفتهلك البار مع الأئيم ٢٤ عسى أن

يكون خمسون باراً في المدينة أفتهلك المكان ولا تصفح عنه من أجل الخمسين باراً الذين فيه ٢٥ حاشا لك

أن تفعل مثل هذا الأمر أن تميت البار مع الأئيم فيكون البار كالأئيم . حاشا لك أديان كل الأرض لا

يصنع عدلاً .. ٣٣ وذهب الرب عندما فرغ من الكلام مع إبراهيم ورجع إبراهيم إلى مكانه] ^(٤) .

(١) سفر الخروج (٧ : ١) .

(٢) سفر الخروج (٤ : ١٦) .

(٣) سفر التكوين (٢٠ : ١٧) .

(٤) سفر التكوين (١٨ : ٢٢ - ٢٣) وانظر كذلك سفر الخروج (٩ : ٢٣) ، (١٠ : ١٨) .

- ارتباط الأنبياء بالمعابد ، فالتجلي الإلهي كان يعتادهم في داخل المعبد ، وقد اعتاد الأنبياء أن يلقوا بنبواتهم على الشعب في المعبد ^(١) .
- إقامة الأنبياء في الأماكن المقدسة أيام الأعياد وأوائل الشهر والسبت حتى يباركوا الذبيحة مع الكاهن الموجود أصلاً وأن يؤموا في الصلاة ^(٢) .
- إنشاد المزامير وترانيم الشكر والابتهال بمصاحبة الآلات الموسيقية والرقص كما جاء في سفر الخروج : [١٩] فإن خيل فرعون دخلت بمركباته وفرسانه إلى البحر ورد الرب عليهم ماء البحر وأما بنو إسرائيل فمشوا على اليابسة في وسط البحر ٢٠ فأخذت مريم النبية أخت هارون الدف بيدها وخرجت جميع النساء وراءها بدفوف ورقص ٢١ وأجابتهن مريم رنموا للرب فإنه قد تعظم الفرس وراكبه طرحهما في البحر ^(٣) .
- النبي تابع للكاهن فيذكر الكهنة أولاً لأن الكهنة أكثر أهمية في المعبد ، وكان الأنبياء تبعاً لهم وملحقين بهم ، ومن أجل ذلك يقول هوشع : أنه عندما يتعثر الكاهن يتعثر النبي أيضاً [فتعثر في النهار ويتعثر أيضاً النبي معك في الليل] ^(٤) .

(١) راجع سفر الخروج (١١: ٣٣ - ١٩) .

(٢) انظر سفر العدد (٩ : ٢٢) .

(٣) سفر الخروج (١٥ : ١٩ - ٢١) وانظر سفر صموئيل الثاني (٦ : ٥) .

(٤) سفر هوشع (٤ : ٥) وانظر أبحاث في فكر اليهود / حسن ظاظا ، ص ٦٠ - ٩٤ باختصار .

تعقيب :

مما سبق تبين لنا صور الخلاف حول كلمة نبي وأصلها في الديانة اليهودية هل هي مستمدة من الكنعانيين أم كلمة أصيلة في اللغة العبرية ، والراجع - والله أعلم - أنها أصيلة في اللغة العبرية ، فبنو إسرائيل كثر فيهم الأنبياء لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم : (كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي ، وإنه لا نبي بعدي ، وسيكون خلفاء فيكثرون ، قالوا : فما تأمرنا ؟ ، قال : فوا بيعة الأول فالأول ، أعطوهم حقهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم)^(١) .

ولكن معنى النبوة الحقيقي كما هو في المفهوم الإسلامي لا ينطبق على معنى النبوة عندهم بل خالطه الكثير من التحريف ، فالنبي عندهم غير معصوم وهو يتعري ويغني ويستعمل آلات العزف ويفقد الوعي ويرتبط بالكاهن ويلتحق بمدارس النبوة الخاصة .

وأيضاً له دور الوساطة بين الشعب والرب وهذه صفات تتنافى مع مفهوم النبوة في القرآن الكريم ، فالنبوة هي محض اصطفاء من الله تعالى ولا واسطة بين العبد وربّه ، وجميع الأنبياء معصومون عن الكبائر بعد نبوتهم بخلاف ما تنسبه الأسفار اليهودية لأنبيائهم - عليهم السلام - وإن كان هناك أوجه شبه منها :

تبليغ أوامر الله ، الإمامة في الصلاة والدعاء في البأساء والضراء والارتباط بالمعابد ونحن نوافقهم فيها ونعتقد أنها من بقايا عقيدة التوحيد الصحيحة قبل التحريف والله أعلم .

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري / ج ٦ ، ص ٤٩٥ ، حديث رقم ٣٤٥٥ ، كتاب الأنبياء ، دار الفكر للطباعة ، بيروت .

الوحي

يتضح لنا من تعريف النبوة أن أساسها قائم على الوحي لذا كان من المناسب تعريف الوحي وأنواعه ومقارنته بتعريف الوحي في الأسفار اليهودية وأنواعه .

الوحي لغة :

أصل مادة الوحي من وحى الثلاثي أو أوحى الرباعي ، والوارد في القرآن الكريم الفعل الرباعي أوحى مثل قوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾^(١) .

وكلمة وحي في اللغة تدور معانيها حول :

- ١- الكتاب والكتب و ما يكتب في الحجارة وينقش عليها .
- ٢- الإلهام لقوله تعالى : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾^(٢) .
- ٣- الإشارة أو الأمر لقوله تعالى : ﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾^(٣) .
- ٤- الكلام الخفي .
- ٥- العجلة والسرعة .
- ٦- التصويت " الصوت ، كقولك : سمعت وحاة الرعد" .

وخلاصة ما سبق أن الوحي في اللغة كل ما دلت به من كلام أو كتابة أو رسالة أو إشارة

فهو وحي وأن أصل الوحي في اللغة الإعلام في خفاء وسرعة وبأي واسطة حصل^(٤) .

(١) سورة النحل : آية ٦٨ .

(٢) سورة القصص : آية ٧ .

(٣) سورة مريم : آية ١١ .

(٤) أنظر لسان العرب/ لابن منظور ج ١٥ ، ص ٢٣٩ - ص ٢٤٠ - ص ٢٤٢ باختصار . والصاحح/ للجوهري ، ج ٦ ، ص ٢٤١ . وفتح الباري/ لابن حجر ، ج ١ ، ص ٩ ، عقيدة المؤمن/ للجزائري ص ٢٥١ ، التعريفات/ للرجائي ص ٥٩ .

الوحي اصطلاحاً :

- ١ - الوحي ما يوحى به الله إلى نبي من أنبيائه فيثبتته في قلبه فيتكلم به ويكتبه وهو كلام الله ، ومنه ما لا يتكلم به ولا يكتبه لأحد ولا يأمر بكتابه ، ولكنه يحدث به الناس حديثاً ويبين لهم أن الله أمره أن يبينه للناس ويبلغهم إياه ^(١) .
- ٢ - والوحي إعلام الله رسولاً من رسله أو نبياً من أنبيائه ما يشاء من كلام أو معنى بطريقة تفيد النبي أو الرسول العلم اليقيني القاطع بما أعلمه الله به ^(٢) .

طرق الوحي في القرآن الكريم :

يقول الله تعالى في كتابه الكريم : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴾ ^(٣) ، وهذه الآية فيها حصر لأساليب الوحي وطرقه لكل عبد أوحى إليه من قبل الله تعالى فصار نبياً أو رسولاً .

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : (هذه مقامات الوحي بالنسبة إلى جناب الله عز وجل وهو أنه تبارك وتعالى تارة يقذف في روح النبي كما قال - صلى الله عليه وسلم - : (إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها فأتقوا الله وأجلها في الطلب) وقوله تعالى : ﴿ أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ ﴾ .

كما كلم موسى - عليه السلام - فإنه سأل الرؤية بعد التكليم وحجب عنها ﴿ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ ﴾ .

كما يتزل جبريل عليه الصلاة والسلام على الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - إنه علي حكيم ، فهو عليّ عليهم خبير حكيم ^(٤) .

كما ذكر القرآن الكريم طرق أخرى للوحي مع الأنبياء كالتالي :

١. الرؤيا المتنامية التي يراها النبي ويوقن أنها وحي من الله تعالى كحال إبراهيم - عليه السلام - حين ابتلاه الله بترع ولده الذي لم يرزق به إلا في شيخوخته ، قال تعالى : ﴿ فَبَشِّرْنَاهُ بِعُلْمٍ حَلِيمٍ ﴾ ^(٥) فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَتَابَتِ أَعْيُنُكَ فَأَنْتَ تَرَىٰ مَا تَوَمَّرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ^(٦)

(١) الاتقان في علوم القرآن / للسيوطي ت ٩١١هـ، ج ١، ص ١٢٨ ، دار التراث ، القاهرة ، مصر ، ١٩٦٧ م .
(٢) العقيدة الإسلامية وأسسها / د . عبد الرحمن حبنكة / ط ٧ ، ص ٤٥٦ ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م ، دار القلم ، دمشق .
(٣) سورة الشورى : آية ٥١ .
(٤) تفسير ابن كثير ج ٤ ، ص ١٢١ .

فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٧﴾ وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٨﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿٢٠﴾

٢. ظهور الملائكة في صورة بشر قال تعالى ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿١٧﴾ فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿١٨﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشِّرُوهُ بَعْلَمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٠﴾

٣. مناداة الملائكة لأحد من أنبياء الله تعالى مثل ما كان من أمر زكريا - عليه السلام قال تعالى: ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾ فَنَادَتْهُ أَمَلَتُكُهُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٠﴾

طرق نزول الوحي على الرسول صلى الله عليه وسلم أربعة :

- ١- أن يأتيه الملك في مثل صلصلة الجرس وهذا النوع أشد أنواع الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم وعندما يذهب عنه يعي النبي عنه مباشرة ما قال ، يدل ذلك على حديث الحارث بن هشام ^(١) رضي الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليّ فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول ، قالت عائشة رضي الله عنها ، ولقد رأيته يتزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتصبب عرقاً) ^(٢) .
- ٢- أن يأتيه في صورة رجل فيكلمه كحديث جبريل المشهور في كتاب الإيمان.
- ٣- أن ينفت في روعه الكلام نفثاً كما قال عليه السلام (إن روح القدس نفث في روعي) ^(٣)
- ٤- أن يكلمه الله يقظة كما في ليلة لإسراء ^(٤) .

(١) سورة الصافات الآيات ١٠١-١٠٦

(٢) سورة الذاريات الآيات ٢٤-٢٨

(٣) سورة آل عمران الآيات ٣٨-٣٩

(٤) الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي أبو عبد الرحمن المكي صحابي من مسلمة الفتح استشهد بالشام في خلافة عمر رضي الله عنه ، تهذيب التهذيب / لابن حجر ص ١٤٨ .

(٥) أخرجه البخاري في كتاب : بدء الوحي ، ج ١ ، ص ٢-٣ .

(٦) مجمع الزوائد للهيتمي ، ج ٤ ، ص ٧١-٧٢ ، نقلاً من كتاب الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف ، د. يحيى محمد علي ربيع ص ٥٩ .

(٧) الاتقان في علوم القرآن / للسيوطي ص ٥٩-٦٠ .

طرق الوحي في الأسفار اليهودية :

ذكرت في الأسفار اليهودية أربعة أنواع من الوحي هي :

- ١ - الأحلام : كأحلام يوسف عليه السلام ودانيال.^(١)
- ٢ - الرؤى : كرؤى الآباء [الأمور التي رآها إشعيا بن آموص من جهة يهوذا وأورشليم ٢_ ويكون في آخر الأيام أن جبل بيت الرب يكون ثابتاً في رأس الجبال ويرتفع فوق التلال وتجري إليه كل الأمم]^(٢).
- ٣ - التبليغ : كما حدث في صموئيل [وبينما هما جالسان على المائدة كان كلام الرب إلى النبي الذي أرجعه ٢١ فصاح إلى رجل الله الذي جاء من يهوذا قائلاً هكذا قال الرب من أجل أنك خالفت قول الرب ولم تحفظ الوصية التي أوصاك بها الرب إلهك]^(٣).
- ٤ - الإخبار عن الغيب عن طريق الأوريم والتميم [وتجعل في صدره القضاء الأوريم والتميم لتكون على قلب هارون عند دخوله أمام الرب فيحمل هارون قضاء بني إسرائيل على قلبه أمام الرب دائماً]^(٤).

تعريف الأوريم والتميم :

هما كلمتان عبريتان معناها أنوار وكمالات ، ويوجدان هذان الإسمان دائماً معاً^(٥)، ويرجح أنهما كانا شيئين صغيران أو ربما حجرين وكان يحفظان في صدره رئيس الكهنة.^(٦) وكان رئيس الكهنة يستخدم الأوريم والتميم في معرفة إرادة الله في الأمور الكهنوتية أو السياسية الفوقية.

واختلف العلماء في أنهما مادتان أم غير مادتين ، فكما هو معروف النور والكمال معنوي ، ومن رجح أنهما مادتان استدل بجعلهما في صدره القضاة أي وضعهما فيها وبأنهما يكونان على قلب هارون^(٧).

(١) انظر سفر دانيال الإصحاح الثاني .

(٢) سفر إشعيا (٢ : ٢-١) .

(٣) سفر الملوك الأول (١٣ : ٢٠ - ٢٢) .

(٤) سفر الخروج (٢٨ : ٣٠) .

(٥) ذكرت أوريم بمفردها مرتين في عدد (٢٧ : ٢١) و سفر صموئيل الأول (٢٨ : ٦) .

(٦) ذكر ذلك في سفر الخروج (٢٨ : ٣٠) ، سفر اللاويين (٨ : ٨) ..

(٧) قاموس الكتاب المقدس ص ١٣٦ .

المعجزة

رتب الله تعالى الكون والكائنات على نظام محكم ونواميس ثابتة عبر عنها القرآن الكريم بقوله:

﴿ مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ ﴾ ^(١) .

وبقوله تعالى ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾ ^(٢) وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ^(٣) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ^(٤) .

وتظل النواميس ثابتة لا ينقضها شيء غير إرادة خالقها ومدبر أحوالها ، والمهيمن على شؤونها وهو الله عز وجل ، فالأسباب والمسببات والنواتج قائمة بأمر الله حتى يخرقها الله بمعجزة لنبي ، أو كرامة لولي أو إهداء لهذا الكون وتبديلا للسموات والأرض.

فعندما يصطفي الله من عباده رسلا يبلغون أحكامه وشرائعه فلا بد لهم من أدلة يقدمونها للناس تؤكد دعوى الرسالة وتوجب قبول أقوالهم ^(٥) ، فليس من المفروض أن نصدق كل من يدعي النبوة والرسالة ، فقد يكون المدعي متبعا كذابا ، ولكن حينما تقترن دعواه بما يدل على صدقه فإنه يجب حينئذ تصديقه ، ومن كذبه بعد وضوح الدلائل كان جاحدا للحق كافرا برسول ربه .

ونستطيع أن نستدل على صدق الرسول في دعواه النبوة أو الرسالة بالآيات التالية:

أولا : جوهر الرسالة التي يحملها من يدعي النبوة أو الرسالة وكونها حقا لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها وكونها داعية إلى التوحيد والعبادة .

ثانيا : شخصية الرسول في أخلاقه وأعماله وأقواله ومؤهلاته الذاتية وأسلوب دعوته وسياسته وقيادته التي تتسم بسمات الكمال الإنساني .

ثالثا : إخبار الرسل السابقين ببعض صفاته الخاصة وانطباقها عليه ، أي (البشارات) التي تأتي على ألسنة الرسل السابقين .

رابعا : تأييد الله له بالنصر وتحقيق ما ذكر الرسول أن الله قد وعده به وتصديقه في كل ما أخبر به عن ربه ، وتحقيق إخباره بالغيب .

خامسا : التزامه المثالي بمضمون الرسالة التي يدعو الناس إليها .

(١) سورة الملك : آية ٣ .

(٢) سورة يس : آية ٣٨-٤٠ .

(٣) في نور العقيدة الإسلامية / أ.د محمد سيد أحمد المسير الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩٠م ، دار الطباعة المحمدية ص ٢٣٨ .

سادسا : تأييد الله له بالآيات التي هي من خوارق العادات التي لا يجري الله أمثلها إلا لرسول من رسله أو نبي من أنبيائه أو لتابع من أتباع الرسول يعلن إيمانه به ، وعندئذ تكون في حقيقتها من آيات صدق الرسول ^(١) ، وهذه المعجزة المؤيدة للرسول منزلة منزل القول (صدق عبدي فيما يبلغ عني) ، فالله يلفت أنظار عباده إلى ضرورة تصديق هذا الإنسان المصطفى للرسالة بهذا الأمر الخارق للعادة الذي أجراه الله على يديه ، وقد جرت عادة الله وسنته أن لا يؤيد الكاذب ، بل يفضحه ولا يمهل ولا يهمل على يديه خوارق العادات المؤيدة ، قال الله تعالى ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿١﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٢﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٣﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾ ^(٤) .

فالله تعالى لا يمهل من يكذب في بعض الرسالة فما بالك بمن يكذب بالرسالة كلها ويتقولها بأجمعها ، فالحكمة الإلهية تمنع التسوية بين الصادقين والكاذبين أو بين الأخيار والأشرار ^(٥) ، قال تعالى ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ ^(٦) .

(١) العقيدة الإسلامية وأسسها / د. حبنكة الميداني / ص ٢٨٥ ، وكتاب الثقافة الإسلامية ١٠١ ، ص ٩٧-٩٨ ، الطبعة العشرة ، ١٤٠ - ١٩٨٧ م ، طبعة جامعة الملك عبد العزيز بجدة .

(٢) سورة الحاقة : آية ٤٤-٤٧ .

(٣) في نور العقيدة / د. المسير / ص ٢٣٩ .

(٤) سورة الجاثية : آية ٢١ .

المعجزة في اللغة :

العجز هو الضعف ، ونصل السيف ، وآخر الشيء ، والمعجزة واحدة معجزات الأنبياء ^(١) ،
والعجز نقيض الحزم ^(٢) .

المعجزة اصطلاحاً :

هي أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم من المعارضة ^(٣) وهي مختصة بالأنبياء وحدهم ، فمن ادعاه من غيرهم فهو كاذب ، وفرق الفيروز آبادي بين المعجزة والكرامة بقوله : (المعجزة مختصة بالنبي دائماً ، ووقت إظهارها مردد بين الجواز والوجوب ، وتقرن بالتحدي ، وتحصل بالدعاء ، ولا تكون ثمرة المعاملات المرضية ولا يمكن تحصيلها بالكسب والجهد ، وأما الكرامة فموقوفة على الولي ويكون كتمانها واجبا ، وإن أراد إظهارها وإشاعتها زالت وبطلت) ^(٤) .
ومن تمام القول أن نذكر أن الولاية التي بها يكون الإنسان وليا ليست وقفا على أفراد مخصوصين في الأمة ، وتكون ثمرة للمعاملات المرضية ، وتحصل بالكسب والجهد ولا تبلغ الكرامة درجة المعجزة ولا يراد بها التحدي .

وقد تكون للولي كرامات عدة ، كما تكون للنبي معجزات عدة ، كذلك والنبي يؤمر بإظهار معجزته لأنها من الوحي خلافا للولي ، فهو لو قصد إظهارها يعاقب بحرمانها ، أما إن ظهرت من غير قصد لذلك فيكون لله حكمة في ظهورها ، وعلى صاحبها أن لا يغتر بظهورها ، فربما كان ذلك ابتلاء من الله فيوقع نفسه في مهلكة الحرمان ^(٥) .

أنواع المعجزات :

إذا استقرأنا المعجزات التي أعطاها الله لرسله وأنبيائه نجدتها تدرج تحت ثلاثة أمور : العلم ، والقدرة ، والغنى .

فالإخبار بالغيب كإخبار عيسى عليه السلام قومه بما يأكلون وما يدخرون وإخبار رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم بأخبار الأمم السابقة وإخباره بأشراط الساعة كل ذلك من باب العلم .

(١) الصحاح/ للزبيدي، ج ٣ ، ص ٨٨٣ - ٨٨٥ ، باختصار ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م ، القاهرة .

(٢) لسان العرب/ لابن منظور ج ٩ ، ص ٥٧ - ٦٠ .

(٣) لوامع الأنوار البهية/ للسفاريني ج ٢ ، ص ٢٨٩ - ٢٩٠ .

(٤) بصائر ذوي التمييز/ للفيروز آبادي ج ١ ، ص ٦٥ .

(٥) السيرة النبوية العطرة في الآيات القرآنية المسطرة / محمد إبراهيم شقرة ص ٩٥ ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م ، مكتبة المعارف للنشر ، الرياض .

وتحويل العصا أفعى وإحياء الموتى وفهم لغة الطير وتسخير الطير وإلانة الحديد والنحاس وما شابه ذلك من باب القدرة .

وعصمة الله لرسوله صلى الله عليه وسلم وحمايته ممن أراد به سوءا ومواصلته للصيام مع عدم تأثير ذلك على حيويته ونشاطه من باب الغنى وهذه الأمور الثلاثة : العلم والقدرة والغنى التي ترجع إليها المعجزات لا ينبغي أن تكون على وجه الكمال إلا لله تعالى .

لذلك أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالبراءة من دعوى هذه الأمور : ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ ^(١) .

فالرسول يبرأ من دعوى علم الغيب وملك خزائن الأرض ومن كونه ملكا ، مستغنيا عن الطعام والشراب والمال ، والرسول ينالون من هذه بقدر ما يعطيهم الله فيعلمون من الله ما علمهم إياه ، ويقدررون على ما أقدرهم عليه ، ويستغنون بما أغناهم به ^(٢) .

(١) سورة الأنعام : آية ٥٠ .

(٢) مجموع الفتاوى/ لابن تيمية ج ١١ ص ٢١٢-٣١٣ ، وكذلك الرسل والرسالات للأشقر ص ١٢٣-١٢٤ ، باختصار .

العصمة

الأنبياء والرسل هم صفوة الخلق بعثهم الله للناس قدوة لهم مبشرين ومنذرين وحجة عليهم ،
قال تعالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ آفَتُهُ ﴾^(١) .
وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾^(٢) .

لذا اتفق أهل السنة والشيعة والمعتزلة على عصمة الرسل من الكفر مطلقاً قبل البعثة وبعدها ،
وكذلك العصمة في تحمل الرسالة فلا ينسون شيئاً مما أوحاه الله إليهم إلا شيئاً قد نسخ ، والعصمة
في التبليغ فالرسل لا يكتُمون شيئاً مما أوحاه الله إليهم ؛ ذلك أن الكتمان خيانة والرسل يستحيل
أن يكونوا كذلك^(٣) ، قال تعالى ﴿ يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا
بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾^(٤) .

العصمة لغة :

المنع والحفظ والإمساك والوقاية^(٥) :

قال تعالى : ﴿ قَالَ سَأُوَيِّئُ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ﴾^(٦) ، أي يمنعني من الغرق .

العصمة في الاصطلاح :

١ - عرفها الجرجاني بأنها ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها وقسمها إلى قسمين :

أ - العصمة المقوِّمة :

هي التي يثبت بها للإنسان قبحه بحيث من هتكها فعليه القصاص أو الدية .

ب - العصمة المؤتممة :

هي التي تجعل من هتكها آثماً^(٧) .

(١) سورة الأنعام : آية ٩٠ .
(٢) سورة الأحزاب : آية ٢١ .
(٣) نقل الإجماع على العصمة في هذا أكثر من واحد انظر مجموع الفتاوى ج ١٠ ص ٢٩١ ، لوامع الأنوار البهية / للسفاري ج ٢ ص ٣٠٤ .
(٤) سورة المائدة : آية ٦٧ .
(٥) لسان العرب / لابن منظور ج ١٢ ص ٤٠٤ والصاحح / للجوهري ج ٥ ص ١٩٨٦ ، القاموس المحيط / للفيروز آبادي ج ٤ ص ١٥١ .
(٦) سورة هود : آية ٤٣ .
(٧) التعريفات / للجرجاني ص ١٩٥ .

٢- وعند صاحب المواقف قال :

العصمة أن لا يخلق الله فيهم ذنباً ، وعند الحكماء : ملكة تمنع عن الفجور وتحصل بالعلم بمثالب المعاصي ومناقب الطاعات وتتأكد بتتابع الوحي بالأوامر والنواهي والاعتراض عما يصدر عنهم من الصغائر وترك الأولى فإن الصفات النفسانية تكون أحوالاً ثم تصير ملكات بالتدريج^(١) .

٣- التعريف المختار :

العصمة : (هي حفظ ظواهر الأنبياء و بواطنهم مما تستقبحه الفطر السليمة قبل النبوة وحفظهم من الكبيرة وصغائر الخسة بعدها وتوفيقهم للتوبة والاستغفار من الصغائر وعدم إقرارهم عليها)^(٢) .
والعصمة ثابتة للأنبياء وهي من صفاتهم التي أكرمهم الله تعالى بها وميزهم عن سائر البشر واختلفت آراء الفرق وأصحاب الديانات فيها ما بين مغال كالنصارى الذين رفعوا مرتبة النبوة إلى حد الألوهية في العصمة والفناء - ومتساهل كاليهودية التي ألصقت بأنبيائها أبشع الذنوب وأكبر الخطايا من كذب وزنا وسرقة وتحايل حتى الجنون ألصقوه بأنبياء الله - صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

أولاً : العصمة قبل النبوة :

إن أهل السنة والجماعة يرون عصمة الأنبياء عن الكفر والمعاصي قبل البعثة كما يرون وجوب عصمتهم عما ينفر عن القبول فهم يبعثون من خيار أقوامهم في كل شيء حتى النسب وممن يتصفون بالصدق والأمانة كما في حديث هرقل .
وكذلك الرافضة وأكثر المعتزلة فالرافضة يرون عصمة الأنبياء والرسل من جميع الذنوب صغارها وكبارها وإن وقت العصمة يبدأ منذ الولادة ويستمر إلى الوفاة^(٣) .

(١) المواقف في علم الكلام / القاضي عبد الرحمن بن أحمد الأيجي ص ٣٦٦ .

(٢) عصمة الأنبياء / د . أحمد عبد اللطيف / ص ٢٤ ، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى سنة ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م .

(٣) شرح الأصول عبد الجبار المعتزلي / ص ٥٧٢ .

ثانياً : العصمة بعد النبوة :

يرى أهل السنة والجماعة أن الرسل - عليهم الصلاة والسلام - معصومون في تحمل الرسالة فلا ينسون شيئاً مما أوحاه الله إليهم ﴿سَنَقِرُكَ فَلَا تَنْسَى﴾^(١) ، وأنهم معصومون في التبليغ. بمعنى أنهم لا يكذبون على الله ولا يتقولون على الله ما لم يقله ولا يكتُمون شيئاً مما أوحاه الله إليهم ، قال تعالى : ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾^(٢) ، ولو حدث شيء من الكتمان أو التغير ، لما أوحاه الله فإن عقاب الله يحل بذلك الكاتم المغير^(٣) قال تعالى : ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿١﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٢﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٣﴾﴾^(٤) .

ثالثاً : العصمة من الكبائر وما فحش من الذنوب :

السلف متفقون على عصمة الأنبياء من الكبائر وما فحش من الذنوب وهذا هو قول أكثر علماء الإسلام من المتكلمين والمحدثين والفقهاء وجميع الطوائف^(٥) .

رابعاً : العصمة من الصغائر :

ذهب أهل السنة والجماعة إلى القول بعدم عصمة الأنبياء من الصغائر فالأنبياء والرسل يجوز أن تصدر منهم الصغائر ولكنهم لا يقرون عليها ولا يصرون عليها بل يسارعون إلى التوبة ولا يصرون على الذنب وهم معصومون من ذلك ، بل إن العبد في كثير من الأحيان يكون بعد توبته من معصيته خيراً منه قبل وقوع المعصية وذلك لما يكون في قلبه من الندم والخوف والخشية من الله تعالى ، ولما يجهد به نفسه من الاستغفار والدعاء .

ولما يقوم به من صالح الأعمال يرجو بذلك أن تمحو الحسنات السيئات وقد قال بعض السلف : (كان داود عليه السلام بعد توبته خيراً منه قبل الخطيئة)^(٦) ، وقد استدل جمهور العلماء على دعواهم بأدلة منها :

١ - معصية آدم - عليه السلام - بأكله من الشجرة التي نهاه الله تعالى عن الأكل منها

(١) سورة الأعلى : آية ٦ .

(٢) سورة المائدة : آية ٦٧ .

(٣) لوامع الأنوار البهية للسفاريني ، ج ٢ ، ص ٣٠٧ .

(٤) سورة الحاقة : آية ٤٤-٤٦ .

(٥) الشفا بتعريف حقوق المصطفى / للقاضي عياض ج ٢ ، ص ٣٣٧ ، و مجموع الفتاوى لابن تيمية ، ج ٤ ، ص ٣١٩ .

(٦) مجموع الفتاوى / لابن تيمية ج ١٠ - ص ٢٩٣ ، ٣٠٩ باختصار .

قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴿١١﴾ فَقُلْنَا يَسَّادُمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١٢﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١٣﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى ﴿١٤﴾ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَسَّادُمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ﴿١٥﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَّتْ لَهُمَا سُوءُ تَهُمَا وَطَفِيقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿١٦﴾ ، والآية في غاية الوضوح والدلالة على المراد فقد صرحت بعصيان آدم ربه .

٢- وداود عليه السلام تسرع في الحكم قبل سماع قول الخصم الثاني فأسرع إلى التوبة فغفر الله له ذنبه : ﴿ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿١﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ ﴿٢﴾ ٣٠ .

٣- وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عاتبه ربه في أمور منها : ﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ مُحَرَّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَرْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٠﴾ ٣١ .

القائلون بعصمة الأنبياء من الصغائر :

تستعظم بعض الفرق أن تنسب إلى الأنبياء صغائر الذنوب التي أخبرت نصوص الكتاب والسنة بوقوعها منهم وحتهم في ذلك أن القول بوقوع مثل هذا منهم فيه طعن بالرسول والأنبياء فهم يبالغون في تأويل النصوص تأويلاً يصل إلى درجة التحريف وهي تأويلات من جنس تأويلات الباطنية والجهمية كما يقول ابن تيمية (١) .

ويبين ابن تيمية شبهة القائلين بالعصمة أنها تمثلت بما يلي :

الشبهة الأولى :

أن الله أمر باتباع الرسل والتأسي بهم : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴿٢١﴾ ٢٢ ، وهذا شأن كل الرسل والأمر باتباع الرسل يستلزم أن تكون اعتقاداته وأفعاله وأقواله جميعها طاعات لا محالة لأنه لو جاز أن يقع من الرسول معصية لله تعالى لحصل تناقض في واقع الحال إذ يقتضي أن يجتمع

(١) سورة طه : آية ١١٦ - ١٢١ .

(٢) سورة ص : آية ٢٤ - ٢٥ .

(٣) سورة التحريم : آية ١ .

(٤) مجموع الفتاوى / لابن تيمية ج ١٠ ص ٣١٣ .

(٥) سورة الأحزاب : آية ٢١ .

في هذه المعصية التي وقعت من الرسول الأمر باتباعها وفعلها من حيث كوننا مأمورين بالتأسي بالرسول صلى الله عليه وسلم ، والنهي عن موافقتها من حيث كونها معصية منهي عنها وهذا تناقض فلا يمكن أن يأمر الله عبداً بشيء في حال أنه ينهاه عنه .

وقولهم هذا يكون صحيحاً لو بقيت معصية الرسول خافية غير ظاهرة بحيث تختلط علينا الطاعة بالمعصية ، أما وأن الله ينبه رسله وأنبياءه إلى ما وقع منهم من مخالفات ويوفقهم إلى التوبة منها من غير تأخير فإن ما أوردوه لا يصلح دليلاً بل يكون التأسي بهم في هذا منصباً على الإسراع في التوبة عند وقوع المعصية وعدم التسويف في هذا تأسيّاً بالرسل والأنبياء الكرام في مبادرتهم بالتوبة من غير تأخير .

الشبهة الثانية :

أن هؤلاء توهموا أن الذنوب تنافي الكمال وأنها تكون نقصاً وإن تاب التائب منها ، وهذا غير صحيح فإن التوبة تغفر الحوبة ولا تنافي الكمال ولا يتوجه إلى صاحبها اللوم ، بل إن العبد في كثير من الأحيان يكون بعد توبته من معصيته خيراً منه قبل وقوع المعصية وذلك لما يكون في قلبه من الندم والخوف والخشية من الله تعالى ، ولما يجهد به نفسه من الاستغفار والدعاء ، ولما يقوم به من صالح الأعمال يرجو بذلك أن تمحو الحسنات السيئات ، وقد قال بعض السلف : " كان داود عليه السلام بعد التوبة خيراً منه قبل الخطيئة " .

وقال آخر : " لو لم تكن التوبة أحب الأشياء إليه لما ابتلى بالذنوب آدم أكرم الخلق عليه " . وقد ثبت في الصحيحين : (لله أفرح بتوبة أحدكم من رجل خرج بأرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه وزاده وما يصلحه فأضلها فخرج في طلبها حتى إذا أدركه الموت ولم يجدها... فغلبته عينه فاستيقظ فإذا راحلته عند رأسه عليها طعامه وشرابه وزاده وما يصلحه) (١).

وفي الكتاب الكريم قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ (٢). وقوله تعالى : ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٣) .

(١) صحيح البخاري (كتاب الدعوات) (باب التوبة)، ج ٧ / ١٤٦ ، وصحيح مسلم في كتاب التوبة ج ٨ ص ٩٢ .

(٢) سورة البقرة آية ٢٢٢ .

(٣) سورة الفرقان : آية ٧٠ .

ومعلوم أنه لم يقع ذنب من نبي إلا وقد سارع إلى التوبة والاستغفار يدلنا على هذا أن القرآن لم يذكر ذنوب الأنبياء إلا مقرونة بالتوبة والاستغفار ، فآدم وزوجه عصيا فبادرا بالتوبة قائلين : ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ^(١) .
وداود ما كاد يشعر بخطيئته حتى خر راکعاً مستغفراً : ﴿ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ ^(٢) .
فالأنبياء لا يقرون على الذنب ولا يؤخرون التوبة فالله عصمهم من ذلك وهم بعد التوبة أكمل منهم قبلها ^(٣) .

إثبات النبوة لداود عليه السلام في ضوء الأسفار اليهودية :

ورد ذكر داود عليه السلام بين الأنبياء في قاموس الكتاب المقدس عندما ذكر أسماء الأنبياء من موسى عليه السلام إلى ما قبل السبي البابلي (٤) .
والأسفار اليهودية وصفته بعدة صفات يوصف بها الأنبياء عادة كالدعاء إلى الله ، والتشيت ، ووصف النبي بالابن والرؤيا في الأحلام وهذه أمثلة على ذلك ، فقد جاء في سفر المزامير عن داود قوله :

- ١- [٨] جعلت الرب أمامي في كل حين لأنه عن يميني فلا أترعزع ٩ لذلك فرح قلبي وابتهجت روعي وجسدي أيضاً يسكن مطمئناً ١٠ لأنك لن تترك نفسي في الهاوية . لن تدع ثقيك يرى فساداً . ١١ تعرفني سبيل الحياة أمامك شبع سرور في يمينك نعم إلى الأبد] ^(٥) .
- ٢- وقوله : [٦] أما أنا فقد مسحت ملكي على صهيون جبل قدسي ٧ إني أخبر من جهة قضاء الرب . قال لي أنت ابني أنا اليوم ولدتك ٨ اسألني فأعطيك الأمم ميراثاً لك وأقاصي الأرض ملكاً لك] ^(٦) .
- ٣- وقوله : [بصوتي إلى الرب أصرخ فيجيبني من جبل قدسه . سلاه ٥ أنا اضطجعت ونمت واستيقظت لأن الرب يعضدي] ^(٧) .

(١) سورة الأعراف : آية ٢٣ .

(٢) سورة ص : آية ٢٤ .

(٣) مجموع الفتاوى/ ابن تيمية ج ١٠ ص ٢٩٣- ٢٩٦ والرسائل والرسالات/ د. عمر الأشقر ص ١١٠- ١١١ باختصار.

(٤) قاموس الكتاب المقدس ص ٩٥١ .

(٥) سفر المزامير (١٦: ٨- ١١) .

(٦) سفر المزامير (٢: ٦- ٨) .

(٧) سفر المزامير (٢: ٤- ٥) .

ويقول الكاتب ف.ب . ماير في مقدمة كتابه حياة داود (هذه هي حياة داود مرغم العالم الحلو أبو المسيح مؤسس الأسرة الملكية النبي الذي كان مسوقاً بالروح القدس كما يخبرنا الرسول بطرس)^(١) .

وساق الكاتب أدلة على نبوة داود عليه السلام من الكتاب المقدس منها : [واختار داود عبده وأخذه من حظائر الغنم]^(٢) .

وقوله : [١٤ ... قد انتخب الرب لنفسه رجلاً .. وأمره أن يترأس على شعبه]^(٣) .

ونبوة داود عليه السلام مسألة خلافية بين فرق اليهود ، وكذلك فرق النصارى ، أما سليمان عليه السلام فهم مجمعون على أنه ملك فقط أوتي حكمة عظيمة وليس نبياً^(٤) .

إثبات النبوة لداود عليه السلام في القرآن الكريم :

١ - القرآن الكريم يثبت نبوة داود عليه السلام بالوحي والكتاب في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا

إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾^(٥) .

فخص الله تعالى سيدنا داود - عليه السلام - بذكر خاص في ختم الآية الكريمة :

﴿ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾ لمكانته عليه السلام وإثبات نبوته ورسالته ، ولا شك في أن إتياء

داود - عليه السلام - الزبور دليل على إرساله بعد ثبوت نبوته بإتيانه الحكمة المفسرة

بالنبوة في قوله تعالى : ﴿ وَآتَيْنَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ ﴾^(٦) .

٢ - وذكر الله تعالى تفضيل سيدنا داود - عليه السلام - على بعض النبيين إجمالاً :

﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا

دَاوُدَ زَبُورًا ﴾^(٧) .

(١) سفر المزامير (٣: ٤-٥) .
(٢) حياة داود الراعي المرغم الملك / تأليف ف.ب. ماير / ترجمة القس مرقص داود ، ١٩٥٨م / مكتبة المحبة القبطية الأرثوذكسية بالقاهرة ، انظر المقدمة ، صفحة ١٢-١٣ باختصار .

(٣) سفر المزامير (٧٨: ٧٠) .

(٤) سفر صموئيل الأول (١٣: ١٤) .

(٥) الموسوعة اليهودية ، شريط كمبيوتر لم يطبع بعد ، CD .

(٦) سورة النساء : آية ١٦٣ .

(٧) سورة البقرة : آية ٢٥١ .

(٨) سورة الإسراء : آية ٥٥ .

وبتذكير " زبوراً " في الآية دلالة على عظمته وتشريفه وتأثيره في النفوس فإنه قد ورد أن داود عليه السلام كان إذا جلس يقرأ الزبور للوعظ والتذكير بآياته بكى واستبكى وعكف الجن والإنس والطير والدواب والوحوش حوله حتى يهلك بعضها عطشاً وجوعاً^(١) .

٣- ومن الآيات الدالة على رسالة داود عليه السلام قوله تعالى : ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾^(٢) . أي لعنوا في كتابي داود وعيسى ابن مريم، الزبور والإنجيل ، وإطلاق اللسان على الكتاب لفظ شائع مستعمل لأن الكتاب إنما يراد لسماع ما فيه بتلاوته للعمل بما فيه ، وهذا لا يكون إلا باللسان^(٣) .

وكما تثبت النبوة بالوحي والرسالة تثبت كذلك بالمعجزات ومعجزات داود عليه السلام كثيرة وردت في القرآن الكريم^(٤) .

(١) البداية والنهاية/ لابن كثير ، ج ٢ ، ص ١١ .

(٢) سورة المائدة : آية ٧٨ - ٧٩ .

(٣) تفسير الطبري / ج ٦ ، ص ٣١٧ ، و تفسير ابن كثير ج ٢ ، ص ٨٢ .

(٤) داود وسليمان عليهما السلام في القرآن والسنة / د. عويد المطرفي ، ص ٣٥ - ٣٨ ، باختصار .

المبحث الثاني

حياة داود عليه السلام

١- مكانة داود في الأسفار اليهودية

٢- مكانة داود في القرآن الكريم

٣- معجزاته عليه السلام

٤- قضاؤه عليه السلام

١ - مكانة داود في الأسفار اليهودية

داود عليه السلام هو ثاني ملوك اليهود بعد شاول ، واختاره الله بدلا من شاول : [١ فقال الرب لصموئيل حتى متى تنوح على شاول وأنا قد رفضته عن أن يملك على إسرائيل املا قرنك دهنا وتعال أرسلك إلى يسي البيتلحمي لأني قد رأيت لي في بنيه ملكا ٢ فقال صموئيل كيف أذهب إن سمع شاول يقتلني . فقال الرب خذ بيدك عجلة من البقر وقل قد جئت لأذبح للرب ٣ وادع يسي إلى الذبيحة وأنا أعلمك ماذا تصنع وامسح لي الذي أقول لك عنه] ^(١) ، وأمر صموئيل النبي بأن يمسحه ملكا لليهود ، وكان يرعى أغناما لأبيه : [١١ وقال صموئيل ليسي هل كملوا الغلمان . فقال بقي بعد الصغير وهوذا يرعى الغنم فقال صموئيل ليسي أرسل وأت به لأننا لا نجلس حتى يأتي إلى ههنا ١٢ فأرسل وأتى به وكان أشقر مع حلاوة العينين وحسن المنظر فقال الرب قم امسحه لأن هذا هو ١٣ فأخذ صموئيل قرن الدهن ومسحه في وسط إخوته وحل روح الرب على داود من ذلك اليوم فصاعدا ، ثم قام صموئيل وذهب إلى الرامة] ^(٢) ، واشتهر بالقوة والشجاعة فقد كان يقتل بيده الدببة والأسود : [٣٤ فقال داود لشاول كان عبدك يرعى لأبيه غنما فجاء أسد مع دب وأخذ شاة من القطيع ٣٥ فخرجت وراءه وقتلته وأنقذها من فيه ، ولما قام على مسكته من ذقنه وضربته فقتلته ٣٦ قتل عبدك الأسد والدب جميعا] ^(٣) .

كما اشتهر ببراعته في العزف ونظم الأشعار : [١٦ فليأمر سيدنا عبيده قدامه أن يفتشوا على رجل يحسن الضرب بالعود ويكون إذا كان عليك الروح الرديء من قبل الله أنه يضرب بيده فتطيب ١٧ فقال شاول لعبيده انظروا لي رجلا يحسن الضرب واتوا به إلي ١٨ فأجاب واحد من الغلمان وقال هوذا قد رأيت ابنا ليسي البيتلحمي يحسن الضرب وهو جبار بأس ورجل حرب وفصيح ورجل جميل والرب معه ١٩ فأرسل شاول رسلا إلى يسي يقول أرسل إلى داود ابنك الذي مع الغنم ٢٠ فأخذ يسي حمرا حاملا خبزا وزق خمر وجدي ومعزي وأرسلها بيد داود ابنه إلى شاول ٢٣ وكان عندما جاء الروح من قبل الله على شاول أن داود أخذ العود وضرب بيده فكان يرتاح شاول ويطيب ويذهب عنه الروح الرديء] ^(٤) .

(١) سفر صموئيل الأول (١٦ : ٣-١) .
(٢) سفر صموئيل الأول (١٦ : ١١-١٣) .
(٣) سفر صموئيل الأول (١٧ : ٣٤ - ٣٦) .
(٤) سفر صموئيل الأول (١٦ : ١٦-٢٣) .

وبانتصار داود عليه السلام وقتله لجالوت أصبح بطلا قوميا لليهود وأن الفتيات أصبحن يغنين لداود الذي قتل جالوت [٦] وكان عند مجيئهم حين رجع داود من قتل الفلسطينيين أن النساء خرجت من جميع مدن إسرائيل بالغناء والرقص للقاء شاول الملك بدفوف وبفرح وبمثلثات ٧ فأجابت النساء اللاعبات وقلن ضرب شاول ألوفه وداود ربواته ٨ فاحتمى شاول جدا وساء هذا الكلام في عينيه وقال أعطين داود ربوات وأما أنا فأعطيني الألوف وبعد فقط تبقى له المملكة ٩ فكان شاول يعاين داود من ذلك اليوم فصاعدا ١٠ وكان في الغد أن الروح الرديء من قبل الله اقتحم شاول وجن^(١) في وسط البيت وكان داود يضرب بيده كما في يوم فيوم وكان الرمح بيد شاول [٣] .

وتزوج داود من ميكال بنت الملك شاول بمهر غريب جدا : [٢١] ... وقال شاول لداود ثانية تصاهريني اليوم ٢٥ فقال شاول (لعيده) هكذا تقولون لداود ليست مسرة الملك بالمهر بل بمئة غلفة من الفلسطينيين للانتقام من أعداء الملك وكان شاول يتفكر أن يوقع داود بيد الفلسطينيين ٢٦ فأخبر عيده داود بهذا الكلام فحسن الكلام في عيني داود أن يصاهر الملك ولم تكمل الأيام ٢٧ حتى قام داود وذهب هو ورجاله وقتل من الفلسطينيين مئتي رجل وأتى داود بغلفهم فأكملوها للملك لمصاهرة الملك فأعطاه شاول ميكال ابنته امرأة ٢٨ فرأى شاول وعلم أن الرب مع داود وميكال ابنة شاول كانت تحبه [٣] - مائة غلفة ذكر فلسطيني - ، يتنافى حتى مع روح القصص الأدبية ، فضلا عن أن تصدر من نبي وشجاع وفاتح ومقاتل أو يقال عنها أسفار مقدسة أو موحى بها من عند الله - تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

(١) هكذا كتبهم المحرفة تصف ملكهم بالجنون ولعله انفصام في الشخصية ، فبالأس كان قائدًا منتصرا ، واليوم التالي جن وسط البيت !! ألا لعنة الله على اليهود .

(٢) سفر صموئيل الأول (١٨ : ٦ - ١٠) .

(٣) سفر صموئيل الأول (١٨ : ٢٥ - ٢٨) .

تولية الملك :

بعد انتحار أو مقتل شاول* الملك الأول لبني إسرائيل عاد داود عليه السلام إلى حبرون مع زوجته وبايعه سبط يهوذا ملكا عليهم ، واستمر ملكه فيها سبع سنين وستة أشهر : [١ وكان بعد موت شاول ورجوع داود من مضاربة العمالقة أن داود أقام في صقلغ يومين ٢ وفي اليوم الثالث إذا برجل أتى من الحلة من عند شاول وثيابه ممزقة وعلى رأسه تراب . فلما جاء إلى داود خر إلى الأرض وسجد ٣ فقال له داود من أين أتيت . فقال له من محلة إسرائيل نجوت ٤ فقال له داود كيف كان الأمر أخبرني . فقال أن الشعب قد هرب من القتال ^(١) وسقط أيضا كثيرون من الشعب وماتوا ومات شاول ويوناثان ابنه أيضا] ^(٢) .

فماذا فعل داود عندما علم ب وفاة شاول : [١ فأمسك داود ثيابه ومزقها وكذا جمع الرجال الذين معه ١٢ وندبوا وبكوا وصاموا إلى المساء على شاول وعلى يوناثان ابنه وعلى شعب الرب وعلى بيت إسرائيل لأنهم سقطوا بالسيف] ^(٣) ، وتولى الملك بعد شاول كما تخبرنا الأسفار اليهودية بذلك : [واجتمع كل رجال إسرائيل إلى داود في حبرون قائلين هوذا عظمك ولحمك نحن ٢ ومنذ أمس وما قبله حين كان شاول ملكا كنت أنت تخرج وتدخل إسرائيل وقد قال لك الرب إلهك أنت ترعى شعبي إسرائيل وأنت تكون رئيسا لشعبي إسرائيل ٣ وجاء جميع شيوخ إسرائيل إلى الملك إلى حبرون فقطع داود معهم عهدا في حبرون أمام الرب ومسحوا داود ملكا على إسرائيل حسب كلام الرب عن يد صموئيل ٤ وذهب داود وكل إسرائيل إلى أورشليم إي ييوس وهناك اليوسيون سكان الأرض ٥ وقال سكان ييوس لداود لا تدخل إلى هنا . فأخذ داود حصن صهيون ^(٤) هي مدينة داود] ^(٥) .

أما ابشوشث ابن الملك شاول فأعلن ملكه على الشمال ، واستمرت الحروب بين الشمال والجنوب في مملكة بني إسرائيل سبع سنين انتصر فيها داود أخيرا ووحده مملكته الشمالية والجنوبية ، وكان داود ابن ثلاثين سنة حين ملك ، وملك أربعين سنة في حبرون ملك على يهوذا سبع سنين وستة أشهر ، وفي أورشليم ملك ثلاثا وثلاثين سنة على جميع إسرائيل ويهوذا.

* اختلفت الأسفار اليهودية في ذكر نهاية شاول ، فمرة تروي أنه لقتل عندما علم بهزيمة جيشه ومقتل أبنائه أمام الفلسطينيين ، ورواية أخرى تقول إنه قتل على يد عماله ، أنظر صموئيل الأول (٣١ : ٣-٦) - صموئيل الثاني الإصحاح (١ : ٨-١٠) .
(١) هروب اليهود أثناء المعارك صفة لازمة لهم لم يستطع كتب السفر تجاهلها .
(٢) سفر صموئيل الثاني (٢ : ١-٤) .
(٣) سفر صموئيل الثاني (١١ : ١-١٢) .
(٤) معروف أن جبل صهيون يبعد عدة أميال عن القدس وهذه حدود مملكة داود فلم يستطع أن يفتح أورشليم إلا بعد فترة طويلة بقوة اليوسيين وهم الفلسطينيون هناك .
(٥) سفر أخبار الأيام الأول (١١ : ١-٥) .

[وداود بن يسي ملك على كل إسرائيل ٢٧ والزمان الذي ملك فيه على إسرائيل أربعون سنة . ملك سبع سنين في حبرون وملك ثلاثا وثلاثين سنة في أورشليم ٢٨ ومات بشيبة صالحة وقد شبع أياما وغنى وكرامة وملك سليمان ابنه مكانه] ^(١) .

عدله في القضاء :

أشارت بعض أجزاء من سفر صموئيل الثاني إلى عدله في القضاء في قولهم : [وملك داود على جميع إسرائيل وكان داود يجري قضاء وعدلا لكل شعبه] ^(٢) .

إحسانه لذوي العاهات :

عامل داود عليه السلام أهل شاول - الملك السابق - بالإحسان وأكرمهم ، ومنهم ابن يونانان كان أعرجا* ، فوهب له داود عليه السلام كل ممتلكات أبيه من الأرض وأمر بأن يأكل على مائدته(٣) ، وهذه صورة طيبة ترسمها الأسفار اليهودية لداود عليه السلام .

نساؤه :

تذكر الأسفار اليهودية أسماء نسائه بالترتيب التالي :

- ١- ميكال بنت الملك شاول ^(٤) .
- ٢- أخينوعم إليزر عيليه ^(٥) .
- ٣- أبيجال امرأة نابال الكرملية .
- ٤- معكة بنت تلماي ملك حشور .
- ٥- عجلة .
- ٦- حجيث .
- ٧- أيطال .
- ٨- بتشبع زوجة أوريا ^(٦) .

(١) سفر أخبار الأيام الأول (٢٨:٢٦-٢٩) .

(٢) سفر صموئيل الثاني (١٥:٨) .

* ذوو العاهات كالعرج يعتبرون في الديانة اليهودية منبوذين لا يدخلون الأماكن المقدسة ولا يباركون من الرب .

(٣) انظر سفر صموئيل الثاني (٩ : ٩ - ١٣) .

(٤) انظر سفر صموئيل الأول (١٨ : ٣٦ - ٣٨) .

(٥) انظر سفر صموئيل الثاني (٣ : ٣ - ٥) .

(٦) انظر سفر صموئيل الثاني (٢٦ : ٢٧) .

واتخذ داود عليه السلام كذلك سراري ونساء كثيرات بعد مجيئه من حبرون وتنصيبه ملكا :
[وأخذ داود أيضا سراري ونساء من أورشليم بعد مجيئه من حبرون فولد أيضا لداود بنون وبنات]^(١) .

أسماء أبنائه :

- ١- بكره أمنون من أختينوعم إليزرعيليه .
- ٢- كيلاّب من أبيجال امرأة نابال الكرملّي.
- ٣- أبشالوم ابن معكه وهو الذي ثار ضد أبيه .
- ٤- أدونيا ابن حجيث ، حاول أخذ الملك في مرض أبيه فأوصى داود بالملك لسليمان عليهما السلام أصغر أبنائه .
- ٥- شفتيا بن أبيطال .
- ٦- يثرعام من عجلة وهؤلاء جميعا ولدوا في حبرون .
- ٧- شموع .
- ٨- شوباب .
- ٩- ناتان .
- ١٠- سليمان عليه السلام .
- ١١- يجار .
- ١٢- اليشوع .
- ١٣- نافج .
- ١٤- يافيع .
- ١٥- اليشمع .
- ١٦- اليدا ع .
- ١٧- اليفلط^(٢) .

وكان جميع أبناء داود عليه السلام من الكهنة^(٣) .

(١) انظر سفر صموئيل الثاني (٥ : ١٣) .

(٢) انظر سفر صموئيل الثاني (٥ : ١٤ - ١٦) .

(٣) انظر سفر صموئيل الثاني (٨ : ١٨) .

حروبه مع الفلسطينيين :

بعد تولي داود عليه السلام الملك على إسرائيل وتوحيد المملكة الشمالية والجنوبية معا اجتمع الفلسطينيون في وادي الرفائين ، وخرج عليهم داود عليه السلام في (بعل فراصيم) وانتصر عليهم، ثم اجتمعوا مرة أخرى ، وخرج الرب فقاتل مع داود عليه السلام وضرب الفلسطينيين من جبع إلى مدخل جازر ، وأخذهم عبيدا له ^(١) . كذلك أخضع دمشق وحماة وآرام والموابيين وكل المدن المحيطة بأورشليم .

الغنائم :

تصف الأسفار غنائم الحرب في موقعين مختلفين في الأسفار وبينهما اختلاف في العدد كعادة الأسفار.

وصفت الأسفار اليهودية غنائم الحرب بما يلي :

- ١ - أخذ داود عليه السلام ألفا وسبعمائة فارس وعشرين ألف راجل.
- ٢ - أخذ داود عليه السلام أتراس الذهب التي كانت على العبيد .
- ٣ - أخذ الملك داود نحاسا كثيرا جدا .
- ٤ - آنية فضة وآنية نحاس قدموها كهدايا للملك داود عليه السلام ^(٢) .
- ٥ - تاج ملك بني عمون ووزنه وزنة من الذهب مع حجر كريم وأخرج غنيمة المدينة وهي كثيرة جدا (٣).

(١) سفر صموئيل الثاني (٥ : ١٧ - ٣٥) ، (٨ : ١ - ٢) و أخبار الأيام الأول (١٤ : ٨ - ١٧) .

(٢) سفر صموئيل الثاني (٨ : ٣ - ١٢) .

(٣) سفر صموئيل الثاني (١٢ : ٢٦ ، ٢١) ، أخبار الأيام الأول (١٨ : ٣ - ١٢) مع اختلاف في الأعداد مما يدل على أن كتاب الأسفار أكثر من واحد .

أهم أعمال داود عليه السلام :

١- نقل التابوت :

بعد أن انتهى داود عليه السلام من حروبه مع أعدائه جمع ثلاثين ألفا من إسرائيل لينقلوا تابوت الرب إلى مدينة داود .

وصف طقوس النقل كما جاء في أسفارهم :

- ١- اللعب أمام التابوت بالعود والرباب والدف والصنوج .
- ٢- كان كلما خطا حاملو التابوت ست خطوات يذبح ثورا .
- ٣- إصعاد المحرقات أمام الرب وذبائح السلامة .
- ٤- قسم على جميع الشعب رغيف خبز وكأس خمر وقرص زبيب رجالا ونساء^(١) .
- ٥- عين مغنين للشكر والتسبيح .
- ٦- عين بوايين وكهنة لتقديم المحرقات للرب ومغنين لخدمة التابوت^(٢) .

٢- العهد الأبدي :

ورد ذكر العهد الأبدي في أسفارهم اليهودية في أكثر من موضع :

[١٥] اذكروا إلى الأبد عهده ، الكلمة التي أوصى بها إلى ألف جبل ١٦ الذي قطعه مع إبراهيم وقسمه لإسحاق ١٧ وقد أقامه ليعقوب فريضة وإسرائيل عهدا أبديا ١٨ قائلا لك أعطي أرض كنعان جبل ميراثكم^(٣) .

[١٣] هو يبني بيتا لاسمي وأنا أثبت كرسي مملكته إلى الأبد ١٤ أنا أكون له ابا وهو يكون لي ابنا إن تعوج أؤدبه بقضيب الناس وبضربات بني آدم]^(٤) .

(١) انظر سفر صموئيل الثاني (٦ : ١-١٩) ، اليهود لا يستغنون عن الخمر ويعتبرونها مقدسة - لعنهم الله لأن - تحريم الخمر منصوص في كتابهم رغم التحريف .

(٢) انظر سفر صموئيل الثاني ، (٧ : ١٠-١٧) .

(٣) سفر أخبار الأيام الأول (١٦ : ١٥-١٨) .

(٤) سفر صموئيل الثاني (٧ : ١٣-١٤) وتكرر العهد في سفر أخبار الأيام الأول (١٧ : ١٠-١٦) .

وتستمر الوعود إلى نهاية هذا الإصحاح حتى فقرة أربعين وخلاصتها ما يلي :

- ١ - أقيم بعدك نسلك الذي يخرج من أحشائك وأثبت مملكته .
- ٢ - هو يبني لي بيتا وأنا أثبت كرسي مملكته إلى الأبد .
- ٣ - إن تعوج أودبه بقضيب الناس وبضربات الدم .
- ٤ - ولكن رحمتي لا تترع منه ، يأمن بيتك ومملكتك إلى الأبد أمامك .
- ٥ - كرسيك يكون ثابتا إلى الأبد ^(١) .

وعلى أساس هذا العهد الأبدي المقدس تطالب إسرائيل بحققها المزعوم في القدس أورشليم مدينة داود عليه السلام .

ولكن الإصحاح المباشر لهذا العهد يذكر انقلاب أحد أبناء داود عليه السلام عليه في الحكم وهرب داود في الجبال ^(٢) ، ثم انتصاره على ابنه أبشالوم وقتل جنود داود ابنه أبشالوم ، فأين تثبيت الملك المزعوم ؟ ^(٣) .

ثم ما لبث أن قوى الفلسطينيون وعادوا لمحاربة داود مرة أخرى في عهده وانتصر عليهم في (جوب) وقتل أربعة من جبابرة الفلسطينيين ^(٤) .

(١) أخبار الأيام الأولى (١٦ : ٤٠-٤١) .

(٢) صموئيل الثاني (١٥ : ١٤) .

(٣) صموئيل الثاني (٢٢ : ١ - ٢) .

(٤) صموئيل الثاني (٢١ : ١٨-٢٢) .

معجزاته عليه السلام :

لم يرد في الأسفار اليهودية ذكر لمعجزات داود — عليه السلام — من إلانة الحديد وصنع الدروع وتأويب الجبال معه إلا بصورة مشوهة ومحرفة كتالي .

إلانة الحديد :

لم تذكر الأسفار اليهودية معجزة إلانة الحديد ذكرا وافيا وإنما نرى أثرا لهذه المعجزة مدفونا بصورة محرقة بين سطور بعض الأسفار ونذكر من هذه الإشارات ما يلي:

[٣ وهياً داود حديدا كثيرا للمسامير لمصاريع الأبواب وللوصل ونحاسا كثيرا بلا وزن] ^(١) .

[١٤ هانذا في مذلتي هيأت لبيت الرب ذهبا منه ألف وزنه وفضه ألف ألف وزنه نحاسا وحديدا بلا وزن

لأنه كثير] ^(٢) ، [الذهب والفضة والنحاس والحديد ليس لها عدد] ^(٣) .

فالحديد كثير كما تذكر الأسفار ، أما عن مصدره وطريقة تصنيعه فلا تذكر شيئا، وبالنسبة لصناعة الدروع ذكرت الأسفار اليهودية أن الدروع كانت من غنائم الحروب وليست صناعة داود عليه السلام ، ولم تشر الأسفار إلى معجزة تسخير الجبال والطير مع داود نهائيا - حسب علمي وقراءتي - بل ذكرت تسخير الأسد والدب لداود .

تسبيح داود عليه السلام :

تذكر الأسفار اليهودية تسبيح داود لله وشكره على توليه الملك وانتصاراته على أعدائه الكثيرين ، وهذا التسبيح فيه من التوحيد الخالص الشيء الكثير وفيه أيضا من الخلط الشيء الكثير :

مثال للتوحيد :

[٢... الرب صخري وحصني ومنقذي ، ٣ إله صخري به أحتمي .. مخلصي من الظلم تخلصني ٤ أدعو الرب الحميد فأخلص من أعدائي] ^(٤) .

مثل اعتراف داود بضعفه والتجائه إلى الله قائلا : [١٧... نشلني من مياه كثيرة ١٨ أنقذني من عدوى القو من مبغضي لأنهم أقوى مني ١٩ أصابوني في يوم بليتي وكان الرب سندي ٢٠ أخرجني إلى الرحب وخلصني لأنه سري ٢١ يكافئني الرب حسب بري حسب طهارة يدي يرد ٢٢ علي ، لأنني حفظت طرق الرب ولم أعصي إلهي ، ٢٣ لأن جميع أحكامه أمامي وفرائضه لا أحيدها] ^(٥)

(١) سفر أخبار الأيام الأول (٣:٢٢) .

(٢) سفر أخبار الأيام الأول (١٤:٢٢) .

(٣) سفر أخبار الأيام الأول (١٦ : ٢٢) .

(٤) سفر صموئيل الثاني (٢٢ : ٤-٢) .

(٥) سفر صموئيل الثاني (٢٢ : ١٧-٢٣) .

فهذه صورة نبي كريم يلتزم بأحكام الله ويلجأ إليه في الشدائد ثم تعود الأسفار إلى الخلط والتحريف في الاعتقاد بالله عز وجل ومن الخلط قولهم :

[٢٦ مع الرحيم تكون رحيمًا مع الرجل الكامل تكون كاملاً ٢٧ مع الطاهر تكون طاهراً ومع الأعوج تكون ملتوياً] ^(١) .

وكذلك قولهم : [لذلك أحمداً يا رب في الأمم ولا سمحاً أرغم ٥١ برج خلاصاً للملكه والصانع رحمة لمسيحه لداود ونسله إلى الأبد] ^(٢) .

كيف يكون رب الأمم ولا يرحم إلا داود عليه السلام ونسله فقط ؟ .

وصف خطيئة داود عليه السلام :

أمر داود عليه السلام بعد الجيش من دان إلى بئر السبع فاستمر العد تسعة أشهر وعشرين يوماً ، فكان عدد الجيش ثمان مائة ألف رجل ذي بأس مستل السيف ورجال يهوذا أربع مائة ألف رجل ، وفي رواية أخرى أن عدد الجيش ألف ألف ومائة ألف رجل ، ويهوذا أربع مائة وسبعين ألف رجل حاملي سلاح ، واعتبر كاتب السفر أن هذا العد خطيئة وغواية من الشيطان ، فغضب الرب على داود عليه السلام وأنزل وباء على إسرائيل قتل منهم سبعين ألف رجل ثم ندم الرب - تعالى الله عما يقولون - على الشر الذي عمله مع إسرائيل وبني داود عليه السلام مذبحاً للرب بأرض أرنانا اليبوسي فأعطاه أرنانا الأرض مجاناً فرفض داود - عليه السلام - واشتراها بست مائة شاقل ذهب ^(٣) : [٢٦ ... وأصعد داود محرقات وذبائح سلامة ودعا الرب فأجابه بنار من السماء على مذبح المحرقة] ، وهناك بني بيت الرب ^(٤) .

وهنا نلاحظ أن البيت الذي أقيم عليه الهيكل كان ملكاً ليبوسي أي فلسطيني اشتراها داود منه ، وهذا اعتراف مدون من كاتب السفر أن الفلسطينيين أصحاب هذه الأرض المقدسة .

توبة داود :

اعترف داود - عليه السلام - بخطئته وطلب العفو من الله ^(٥) ولكن العفو من الله لا يأتي إلا عن طريق الرائي وهو (جاد) فلما قام من الصباح كلمه جاد بأن الرب يخيره بين ثلاثة أمور :

(١) سفر صموئيل الثاني (٢٢ : ٢٦ - ٢٧) .

(٢) سفر صموئيل الثاني (٢٢ : ٥٠ - ٥١) .

(٣) وفي صموئيل الثاني (٣٤ : ٣٤) أنه اشتراها بخمسين شاقلاً من الفضة ، وهذا من أمثلة التناقض في أسفارهم .

(٤) سفر أخبار الأيام الأول (٢١ : ٢٦) .

(٥) انظر سفر صموئيل الثاني (٢٤ : ١٠) .

- ١- سبع سنين جوع في الأرض .
- ٢- هرب ثلاثة أشهر أمام أعدائك وهم يتبعونك .
- ٣- ثلاثة أيام وباء في أرضك .

فاختار داود عليه السلام الثالثة فجعل الرب وباء في إسرائيل من الصباح فمات من دان إلى بئر السبع سبعون ألفا ، فقال داود : [١٧...ها أنا أخطأت وأنا أذنبت وأما هؤلاء الخراف فماذا فعلوا]^(١). فجاء الرائي جاد وأخبره أن يقيم مذبحا للرب ويصعد محروقات وذبائح سلامة من أجل الأرض فكفت الضربة عن إسرائيل فدائما تصور الأسفار غضب الرب ثم ندمه ، ولا يتوقف غضب الرب إلا برائحة الشواء وإقامة محروقات وذبائح السلامة لأنه يحب للشواء - تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

أسباب غضب الرب على داود عليه السلام :

تصور التوراة المحرفة اضطراب العلاقة بين النبي الملك داود وبين الرب - تعالى الله عما يقولون - ، فتارة تكون علاقة وطيدة حميمة يؤكد فيها الرب تثبيت ملكه ثم فجأة يغضب الرب على داود عليه السلام لأسباب نراها تلفيقا وزورا وبهتاناً ألحقت به عليه السلام لكثرة خطاياها التي منها :

١- زناه بامرأة أوريا الحثي فقد جاء قولهم [٢] وكان في وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم وكانت المرأة جميلة المنظر جدا ٣ فأرسل داود وسأل عن المرأة فقال واحد أليست هذه بتشبع بنت اليعام امرأة أوريا الحثي ٤ فأرسل داود رسلا وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهي مطهرة من طمئها ثم رجعت إلى بيتها ٥ وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت إني حبلت^(٢) . ألا لعنة الله على اليهود المغضوب عليهم هكذا بكل وقاحة وخسة ينسبون إلى أعظم شخصية عندهم في التاريخ نبي الله وملكهم وموحد دولتهم يصفونه بالزنا من امرأة جندي عندهم خرج ليحارب في صفوف إسرائيل ، وأي راع هذا الذي يرسل الجيوش ويلهو مع النساء !!؟ حاشا لله أن يكون المذكور في أسفارهم هو نبي الله داود عليه السلام .

٢- قتل أوريا الحثي في الحرب : حاول داود بزعمهم تغطية الجريمة فدعا الجندي أوريا وأمره بالذهاب إلى بيته ولكنه رفض لإخلاصه لملكه فسقاه داود خمرا ولم يجد معه نفعا فقد كان شرف الجندي وإخلاصه أعظم من إخلاص ملكهم كما يصوره كاتب السفر، فلم يجد داود

(١) سفر صموئيل الثاني (٢٤ : ١٧-١٨) .
(٢) سفر صموئيل الثاني : (١١ : ٢-٥) .

مناصبا من أن يقتله ليتزوج امرأته ويخفي جريمة الحمل وإليك النص : [٦ فأرسل داود إلى يوباب يقول أرسل إلى أوريبا الخثي فأرسل يوباب أوريبا إلى داود ٧ فأتى أوريبا إليه فسأل داود عن سلامة يوباب وسلامة الشعب ونجاح الحرب ٨ وقال داود لأوريبا إنزل إلى بيتك واغسل رجلك ١٣... ودعاه داود فأكل أمامه وشرب وأسكره وخرج عند المساء ليضطجع في مضجعه مع عبيد سيده وإلى بيته لم يزل ١٤ وفي الصباح كتب داود مكتوبا إلى يوباب وأرسله بيد أوريبا ١٥ وكتب في المكتوب يقول اجعلوا أوريبا في وجه الحرب الشديدة وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت]^(١).

٣- ضرب المثل بالنعجة لبيان خطيئة داود عليه السلام

[١ فأرسل الرب ناثان إلى داود فجاء إليه وقال له كان رجلان في مدينة واحدة واحد منهما غني والآخر فقير ٢ وكان للغني غنم وبقر كثيرة جدا ٣ وأما الفقير فلم يكن له شيء إلا نعجة واحدة صغيرة قد اقتناها ورباها وكبرت معه ومع بنيه جميعا . تأكل من لقمته وتشرب من كأسه وتنام في حضنه وكانت له كابلة^(٢) ٤ فجاء ضيف إلى الرجل الغني فعفا أن يأخذ من غنمه ومن بقره ليهيئ للضيف الذي جاء إليه فأخذ نعجة الرجل الفقير وهيا للرجل الذي جاء إليه ٥ فحمي غضب داود على الرجل جدا وقال لناثان حي هو الرب إنه يقتل الرجل الفاعل ذلك ٦ ويرد النعجة أربعة أضعاف لأنه فعل هذا الأمر ولأنه لم يشفق ٧ فقال ناثان لداود أنت هو الرجل . هكذا قال الرب إله إسرائيل]^(٣)

٤- غضب الله على داود ووعيده له قائلا : [١٠ الآن لا يفارق السيف بيتك إلى الأبد ١١ وأخذ نساءك أمام عينيك وأعطيهن لقريبك فيضطج مع نسائك في عين هذه الشمس]^(٤) .

٥- الابن الذي حملت به امرأة أوريبا يموت أيضا^(٥) .

٦- زنا آمنون ابن داود بأخت أبشالوم ابن داود (ثامار) ولما سمع الملك داود بهذا اغتاظ جدا... فقط^(٦) - لم يتخذ أي إجراء ضد آمنون - وبعد سنتين من الزمان قتل أبشالوم آمنون وهرب ثلاث سنوات ثم عاد لقلب الملك على أبيه^(٧) .

٧- زنا أبشالوم ابن داود بنساء أبيه أمام جميع بني إسرائيل^(٨) .

(١) سفر صموئيل الثاني (١١: ٦-١٥) .
(٢) قصة النعجة وردت في القرآن الكريم بصورة خصمين ونقل كثير من المفسرين هذه القصة من الإسرائيليات بشيء من التهذيب كما سنرى إن شاء الله .

(٣) سفر صموئيل الثاني (١٢: ١-٧) .

(٤) سفر صموئيل الثاني (١٢: ١٠-١١) ، هكذا يرى كاتب السفر أن جزاء الزنا أيضا ولكن أين الشريعة الموسوية وتطبيق حد الزنا فيها وهو الرجم حتى الموت للمحصن والجلد والتقي لغير المحصن ١٢٢.

(٥) سفر صموئيل الثاني (١٢: ١٤-١٦) .

(٦) سفر صموئيل الثاني (١٣: ١٢) .

(٧) سفر صموئيل الثاني (١٣: ٢٣-٢٩) .

(٨) سفر صموئيل الثاني (١٦: ٢٢) .

شيخوخة داود :

تصف الأسفار المحرفة شيخوخة داود عليه السلام بأسوأ نهاية والعياذ بالله من معصية الله عز وجل وميله للنساء ، ولم تذكر له توحيدا ولا صلاة تسبيح في شيخوخته ، ونهايته إنما ذكرت ما يلي : [١] و شاخ الملك داود تقدم في الأيام ، وكانوا يدثرونه بالثياب فلم يدفأ ٢ فقال له عبيده ليفتشوا لسيدنا الملك على فتاة عذراء فلتقف أمام الملك ولتكن له حاضنة ولتضطجع في حضنك فيدفأ سيدنا الملك ٣ ففتشوا على فتاة جميلة في جميع تخوم إسرائيل فوجدوا أبيشح الشونمية فجاءوا بها إلى الملك ٤.... وكانت تخدمه ولكن الملك لم يعرفها [(١)] .

ويذكر قاموس الكتاب المقدس أن الفتاة الجميلة أبيشح الشونمية كانت آخر نساء داود عليه السلام ولكن لم يدخل بها لكبر سنه وشيخوخته (٢) .

وصية داود لسليمان عليهما السلام :

ذكرت وصية داود في الأسفار اليهودية من سفر الملوك الأول :

[١] ولما قربت أيام وفاة داود أوصى سليمان ابنه قائلا : احفظ شعائر الرب إلهك وتحفظ فرائضه و وصاياه وأحكامه وشهاداته كما هو مكتوب في شريعة موسى لكي تفلح في كل ما تفعل وحيثما توجهت [(٣)] . وهذه وصية عظيمة من نبي عظيم لابنه ليتمسك بالدين وقيم شعائر الله ، ولكن ماذا بعد ذلك ؟

تقول الأجزاء التالية للوصية :

[تشدد وكن رجلا] ولكن كيف التشدد والرجولة التي يأمر بها الملك داود للملك الجديد سليمان يا ترى !؟ ، إن جذور العنف والإرهاب اليهودي مبثوثة في الأسفار اليهودية فالسفر يجب قائلا : [اقتل يوآب بن صورية وشمعي بن جيرا البنيامين لأنه لعني لعنة شديدة فحلفت له بالرب إني لا أميتك بالسيف والآن فلا تبرره لأنك أنت رجل حكيم أحذر شيبته بالدم إلى الهاوية [(٤)] . سبحان الله ، الملك داود على فراش الموت يوصي ابنه بسفك الدماء لكل من أعطاه الأمان في عهده بأن لا يقتله يوصي ابنه بقتله بعد وفاته ؟ !

(١) سفر الملوك الأول (١ : ٤-١) .

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص ٢٢ .

(٣) سفر الملوك الأول (٢ : ١-٣) .

(٤) سفر الملوك الأول (١ : ٥-٩) باختصار وتصرف .

وكان صفة العفو والتسامح تتنافى مع الحكمة والرجولة هكذا يعلم داود الملك ابنه سليمان ، الملك الحكيم يعلمه أن يبدأ حكمه بإهدار الدماء وسفكها كما فعل أبوه من قبله .
ومن هنا نرى شعار فصل الدين عن الدولة يظهر في هذه الوصية ، فبعد أن أوصاه بإقامة الشرائع الموسوية نراه يأمر بالسفك وإهدار الدم لمجرد أنه لعن داود وسامحه داود على هذه الفعلة ولكن يأبى المكر اليهودي إلا أن يشوه صورة الأنبياء عليهم السلام بأبشع الجرائم وأشنعها عند الله عز وجل ألا وهي القتل وقتل نجد من بين أسفارهم ما ينصف أنبياء الله .

مكانة داود عليه السلام في القرآن الكريم

أرسل الله في كل أمة رسولا منهم لهدايتهم إلى طريق الحق ، وكان داود عليه السلام رسولا من عند الله إلى بني إسرائيل وهي أمة اشتهرت بكثرة الأنبياء فيهم لعنادهم وكفرهم وشدة ضلالهم ، قال صلى الله عليه وسلم : (كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي وإنه لا نبي بعدي)^(١) ، وناله منهم الأذى الكثير فصبر واحتسب وأدى الأمانة ووصف الله صبره في

القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَادْخُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ﴾^(٢) .

ويظهر لنا من الآية القرآنية أن سيدنا داود عليه السلام كان في مرتبة موازية لمرتبة أولي العزم من الرسل لأن الله تعالى أمر نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم أن يتصبر مقتديا به في الصبر . ومن هنا يتبين لنا أن سيدنا داود كان في مقدمة كبار الأنبياء والمرسلين الذين اختارهم الله واصطفاهم لتهديب البشرية وتوجيهها نحو عبادة الله .

قال الرازي في تفسيره الكبير : إن الله عز وجل أمر محمدا صلى الله عليه وسلم - على جلال قدره - أن يقتدي بدادود - عليه السلام - في الصبر على طاعة الله عز وجل وذلك تشريف عظيم وإكرام لدادود عليه السلام حيث أمر الله أفضل الخلق بأن يقتدي به في مكارم الأخلاق^(٣) .
وقال في حقه : ﴿ عَبْدَنَا دَاوُودَ ﴾ فوصفه بالعبودية وهي أعلى مرتبة للإيمان ، وعبر عن نفسه بصيغة الجمع الدالة على نهاية التعظيم ، وذلك غاية التشريف لدادود عليه السلام فكان ذلك دليلا على علو درجته .

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء ، حديث رقم (٣٤٥٥) ومسلم برقم ١٨٤٢ .

(٢) سورة ص : آية ١٧ .

(٣) مفاتيح الغيب للرازي ، ج ٢٦ ، ص ١٨٤ - ص ١٨٥ ، بتصرف .

وقوله : ﴿ذَا الْآيَاتُ﴾ ، أي ذا المقدره على أداء الطاعة والاحتراز عن المعاصي وعن قتادة قال : إنه أعطي قوة في العبادة وفقها في الدين وكان يقوم ثلث الليل ويصوم نصف الدهر .

﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ : أي أن داود عليه السلام كان رجاعا في أموره كلها إلى طاعة الله عز وجل ^(١) .

وذكر صاحب روح المعاني :

أن وصف داود عليه السلام بـ : ﴿ذَا الْآيَاتِ﴾ أي ذا القوة الدينية أي قوة الدين وهي القوة على العبادة لأنه وصفه بالأواب أي الرجاء إلى الله تعالى وطاعته عز وجل ، كما قال مجاهد وقتادة والحسن وغيرهم إذ لا يحسن التعليل لو حملت القوة على قوة الجسم فقد كان عليه السلام قوي الجسم أيضا إلا أن ذلك غير مراد هنا ، وفي التعبير عنه بعبدا ووصفه بذئ الأيد دلالة على كثرة عبادته ووفور طاعته ^(٢) .

وفي الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(أحب الصلاة إلى الله صلاة داود ، وأحب الصيام إلى الله عز وجل صيام داود وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ، وكان يصوم يوما ويفطر يوما ولا يفر إذا لاقى وإنه كان أوابا) ^(٣) .

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : (فصم صوم داود عليه السلام كان يصوم يوما ويفطر يوما ولا يفر إذا لاقى) ^(٤) .

ومن خلال نص الحديث الصحيح السابق يتضح لنا أن عبادة داود عليه السلام هي أحب العبادات إلى الله من صلاة وصيام وتسبيح وأفضلها ، ومن هنا أيضا يتضح لنا مكانة داود عليه السلام وفضله واستحباب الاقتداء به في العبادة للأمة الإسلامية فضلا عن اليهودية الحقبة التي بعث في أهلها ثم حرفوها بعد ذلك .

(١) تفسير ابن كثير ، ج ٣ ص ١٢٠ .

(٢) روح المعاني للألويسي ، ج ٢٣ ، ص ١٧٣-١٧٤ ، بتصرف .

(٣) رواه البخاري في كتاب الأحاديث الأنبياء رقم (٣٤٢٠) وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الصيام باب النهي عن صوم الدهر ، ج ٢ ،

ص ٨١٦ ، حديث (١٨٩) ، طه الحلبي ، الفتح في كتاب الأنبياء ج ٦ ، ص ٣٥٠ .

(٤) رواه البخاري في كتاب الصوم حديث رقم (١٩٧٩) ومسلم برقم (١١٥٩) .

نعم الله تعالى على داود عليه السلام

ذكر الله تعالى داود عليه السلام - في مقام التشریف - مع الأنبياء الذين أوحى الله إليهم وأنزل الله عليه الزبور وأمره بالتبليغ ، قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ۖ ﴾ (١٣) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ۖ ﴾ (١٤) رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿ (١٥) .

كما ورد ذكر اسم داود عليه السلام في القرآن الكريم في خمسة عشر موضعا (٢) منه وقد ذكرت قصته عدة مرات في القرآن الكريم تارة باختصار وتارة فيها توضيح وتفصيل وكلها يكمل بعضها بعضا (٣) .

وسأتناول أهم هذه المواضع وهي :

- ١ - انتصار داود عليه السلام على جالوت .
- ٢ - إعطاء الله الملك له .
- ٣ - إعطاء الله النبوة له .
- ٤ - تعليمه مما يشاء .

(١) سورة النساء الآيات من (١٦٣ - ١٦٥) .
(٢) المواضع في سورة البقرة (٢٥١) البقرة ، النساء (٧٨) ، المائدة (٨٤) الأنعام ، (٥٥) الإسراء ، (١٢، ١٠) سبأ (٧٩، ٧٨) ، الأنبياء (١٥ ، ١٦) ، النحل (٢٠ ، ٢٢ ، ٢٤ ، ٢٦) .
(٣) قصص الأنبياء ، د . عبد الوهاب النجار ص ٣٠ .

أولا : انتصار داود على جالوت

بداية عهد الملوك :

القرآن الكريم كما أنه كتاب هداية للعالمين فإن فيه ذكر أحوال الأمم السابقة إجمالا لا تفصيلا ، وقد ذكر القرآن الكريم طلب بني إسرائيل من نبيهم تعيين ملك عليهم في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ آتِئْنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ (١) .

روى ابن كثير في تفسيره قوله : (كان بنو إسرائيل بعد موسى عليه السلام على طريق الاستقامة مدة من الزمان ثم أحدثوا الأحداث ، وعبد بعضهم الأصنام ، ولم يزل بين أظهرهم من الأنبياء من يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويقيمهم على منهج التوراة إلى أن فعلوا ما فعلوا فسلط الله عليهم أعداءهم فقتلوا منهم مقتلة عظيمة وأسروا خلقا كثيرا وأخذوا منهم بلادا كثيرة ، ولم يكن أحد يقاتلهم إلا غلبوه ، وذلك أنهم كان عندهم التوراة والتابوت الذي كان في قديم الزمان ، وكان ذلك مورثا لخلفهم عن سلفهم إلى موسى الكليم عليه الصلاة والسلام ، فلم يزل بهم تماديهم على الضلال حتى استلبه منهم بعض الملوك في بعض الحروب ، وأخذ التوراة من أيديهم ولم يبق من يحفظها فيهم إلا القليل ، وانقطعت النبوة من أسباطهم ، ولم يبق من سبط لاوي الذي يكون فيه الأنبياء إلا امرأة حامل من بعلها وقد قتل ، فأخذوها فحبسوها في بيت واحتفظوا بها لعل الله يرزقها غلاما يكون نبيا لهم ، ولم تزل المرأة تدعو الله عز وجل أن يرزقها غلاما ، فسمع الله لها ووهبها غلاما فسمته شمويل ، أي سمع الله دعائي ، ومنهم من يقول شمعون وهو بمعناه ، فشب الغلام ونشأ فيهم وأنبته الله نباتا حسنا ، فلما بلغ سن الأنبياء أوحى الله إليه وأمره بالدعوة إليه وتوحيده فدعا بني إسرائيل فطلبوا منه أن يقيم لهم ملكا يقاتلون معه أعداءهم ، وكان الملك قد باد فيهم فقال لهم النبي ، فهل عسيتم إن أقام الله لكم ملكا ألا تقاتلوا وتفوا بما التزمتم من القتال معه : ﴿ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا ﴾ (٢) ، أي وقد أخذت منا البلاد وسبيت الأولاد .

(١) سورة البقرة : آية ٢٤٦ .
(٢) سورة البقرة : جزء من آية (٢٤٦) .

قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾ ،
أي بما وفوا وبما وعدوا ، بل نكل عن الجهاد أكثرهم والله عليم بهم ^(١) .
﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾ ، قول النبي لهم إِنَّ اللَّهَ قَدْ
بَعَثَ ﴿ لا يكون إلا بوحي ...

وقال المفسرون : إنه سأل الله أن يعث لهم ملكا ، فأتى بعصا وقرن فيه دهن القدس وقيل : الذي
يكون ملكا طوله طول هذه العصا ، وقيل للنبي : انظر القرن فإذا دخل رجل فنش الدهن الذي
هو فيه فهو ملك بني إسرائيل ، فحاسوا أنفسهم بالعصا فلم يكونوا مثلها وكان طالوت سقاء على
ماء أو دباغا أو مكاريا ، - وكان عالما ، وضاع حمار له أو حمر لأهله - فاجتمع بالنبي ليسأله عن
ما ضاع له ويدعو الله له ، فبينما هو عنده نش القرن وقاسه النبي بالعصا فكان طولها فقال له
قرب رأسك ، فقربه ودهنه بدهن القدس وقال : أمرني الله أن أملكك على بني إسرائيل ، فقال
طالوت : أنا ؟ ، قال : نعم ، قال : أو ما علمت أن سبطي أدنى أسباط بني إسرائيل ؟ ، قال :
بلى ، قال : أما علمت أن بيتي أدنى بيوت بني إسرائيل ؟ ، قال : بلى ، قال : فبأية أنك ترجع
وقد وجد أبوك حمرة وكان ذلك ، وقال مجاهد أملكك معناه : أميرا على الجيش ، والظاهر أن الله
ملكه عليهم ^(٢) .

وقريب من هذا ما ذكرناه سابقا نقلا عن أسفارهم اليهودية من بداية عهد الملوك .

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ
بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ
وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ ^(٣) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ
يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ ^(٤) .

(١) أنظر تفسير ابن كثير ج ١ ، ص ٢٦٣-٢٦٤ ،
(٢) والدر المنثور/ للسيوطي ، ج ١ ، ص ٥٥٩ والبحر المحيط/ لأبي حيان الأندلسي ، ج ٢ ، ص ٥٦٩-٥٧٠ ،
(٣) سورة البقرة: آية ٢٤٧-٢٤٨ .

أقوال المفسرين في السكينة والبقية :

قال ابن عباس :السكينة هي الرحمة والطمأنينة ، وقال أيضا السكينة دابة قدر الهز لها عينان لهما شعاع ، وكان إذا التقى الجمعان أخرجت يديها ونظرت إليهم فيهزم الجيش من الرعب ، وقيل ريح خجوج ، وعن علي رضي الله عنه قال : ريح خجوج لها رأسان ، وقال : وجه كوجه الإنسان ثم هي ريح هفافة ، وعن ابن عباس أنها طست من ذهب من الجنة كان يغسل فيها قلوب الأنبياء وضع فيه موسى الألواح ، وعن وهب بن منبه أنه سئل عن السكينة فقال روح من الله تتكلم إذا اختلفوا في شيء تكلمت فأخبرتهم ببيان ما يريدون .

وعلق الإمام الغزنوي بقوله : هذه التفاسير المتناقضة لعلها وصلت إلى هؤلاء الأعلام من جهة اليهود أعماهم الله فجاءوا بهذه الأمور لقصد التلاعب بالمسلمين والتشكيك عليهم ، وانظر إلى جعلهم لها تارة حيوانا وتارة شيئا لا يعقل ، وهكذا كل منقول عن بني إسرائيل يتناقض ويشتمل على ما لا يعقل في الغالب ولا يصح أن تكون مثل هذه التفاسير المتناقضة مروية عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا رأيا رآه قائلة ، فهم أجل وأقدر عن التفسير بالرأي وبما لا مجال للاجتهاد فيه ، إذا تقرر ذلك عرفت أن الواجب الرجوع في مثل ذلك إلى معنى السكينة لغة وهو معروف ولا حاجة إلى ركوب هذه الأمور المتعسفة المتناقضة فقد جعل الله عنها سعة ولو ثبت لنا في السكينة تفسير عن النبي صلى الله عليه وسلم لوجب علينا المصير إليه والقول ، به ولكنه لم يثبت من وجه صحيح بل ثبت أنها تنزلت على بعض الصحابة عند تلاوته للقرآن ، كما في صحيح مسلم عن البراء بن عازب قال : "كان رجل يقرأ سورة الكهف وعنده فرس مربوطة فتغشته سحابة فجعلت تدور وتدنو وجعلت الفرس تنفر منها ، فلما أصبح أتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال تلك السكينة نزلت للقرآن وليس في هذا إلا أن هذه التي سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم سكينة سحابة دارت على ذلك القارئ فالله أعلم ، فعلى هذا كل شيء يسكنون إليه فهو سكينة (١) .

(١) جامع البيان في تفسير القرآن للشيخ السيد معين الدين محمد بن عبد الرحمن الحسيني الايجي الشافعي (٨٣٢هـ - ٨٩٤هـ) ، دار نشر الكتب الإسلامية باكستان علق عليه محمد بن عبد الله الغزنوي ، ت ١٢٩٦هـ ، ج ١ ، ص ٦٢ .

البقية :

- ١ - قال ابن عباس قال : عصاة موسى عليه السلام و رضاض الألواح .
- ٢ - و عن أبي صالح قال : كان في التابوت عصا موسى وعصا هارون وثياب موسى وثياب هارون ولوحان من التوراة والمن وكلمة الفرج " لا إله إلا الله الحليم الكريم، وسبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين " .
- ٣ - رضاض الألواح وعصا موسى وعمامة هارون وقباء هارون الذي كان فيه علامات الأسباط وكان فيه طست من ذهب فيه صاع من من الجنة ، وكان يفطر عليه يعقوب ^(١) .
- ٤ - البقية العلم والتوراة .
- ٥ - العصا والتعلان .
- ٦ - الجهاد في سبيل الله وبذلك أمروا ^(٢) .
- ٧ - البقية هي رضاض الألواح وعصا موسى وثيابه وشيء من التوراة ونعلا موسى وعمامة هارون عليهما السلام ^(٣) .

(١) الدر المنثور للسيوطي ، ج ١ ، ص ٥٦٣ .

(٢) البحر المحيط للأندلسي ، ج ٢ ، ص ٥٦٨ .

(٣) تفسير النسفي ، ج ١ ، ص ١٢٥ .

الخلاصة :

و خلاصة ما ذكرنا اختصرها الإمام أبو جعفر الطبري في تفسيره جامع البيان عن تأويل آي القرآن . (وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكره أخبر عن التابوت الذي جعله آية لصدق قول نبيه صلى الله عليه وسلم الذي قال لأمتيه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴾ ^(١) ، إن فيه سكيته منه وبقية مما تركه آل موسى وآل هارون وجائز أن تكون تلك البقية العصا وكسر الألواح والتوراة أو بعضها .. وجائز أن يكون بعض ذلك ، وذلك أمر لا يدرك علمه من جهة الاستخراج ولا اللغة ولا يدرك علم ذلك إلا بخبر يوجب عنه العلم ولا خبر عن أهل الإسلام في ذلك للصفة التي وصفنا ، وإذا كان كذلك فغير جائز فيه تصويب قول ضعيف وتضعيف آخر غيره ، إذ كان جائزا فيه ما قلناه من القول) ^(٢) .

هذا ما قاله المفسرون في معنى كلمتي السكينة والبقية والمقصود بالآية عندما طلب بنو إسرائيل من نبيهم أن يعين لهم ملكا منهم عين طالوت وسمي طالوت لطوله ، وكان رجلا من أجنادهم ولم يكن من بيت الملك فيهم لأن الملك كان في سبط يهوذا وهو مع ذلك أيضا فقير لا مال له يقوم بالملك ، وهذا اعتراض منهم على نبيهم وتعنت ، وكان الأولى بهم طاعة وقول معروف فأجابهم النبي قائلا : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ ﴾ ، أي اختاره لكم من بينكم والله أعلم به منكم ، وفي تفسير البيضاوي ذكر أربعة وجوه للرد على منكري جعل طالوت ملكا :

- ١ - العمدة فيه اصطفاء الله تعالى وقد اختاره عليكم وهو أعلم بالمصالح منكم .
 - ٢ - الشرط فيه وفور العلم ليتمكن من معرفة الأمور والسياسة وجسامة البدن ليكون أعظم خطرا في القلوب وأقوى على مقاومة العدو ومكابدة الحروب .
 - ٣ - أن الله مالك الملك على الإطلاق فله أن يؤتیه من يشاء .
 - ٤ - أنه واسع الفضل يوسع الفضل على الفقير ويغنيه ، عليم بما يليق بالملك وغيره ^(٣) .
- وفي تفسير المنار ذكر أسباب اختيار الملك في أربعة أركان :
- أ - الاستعداد الفطري .

ب - السعة في العلم أي العلم بحال الأمة ومواقع قوتها وضعفها وجودة الفكر في تدبير شؤونها .

(١) سورة البقرة : جزء من لية (٢٤٧) .

(٢) تفسير الطبري ، ج ٥ ، ص ٣٣٤ .

(٣) تفسير البيضاوي ، ج ١ ، ص ٩٠ .

ج- كمال الجسم في قواه المستلزم ذلك صحة الفكر على قاعدة (العقل السليم في الجسم السليم) ، وهو في الناس أكثر من سابقه ، وأما المال فليس بركن من أركان تأسيس الملك لأن المزايا الثلاثة إذا وجدت سهل على صاحبها الإتيان بالمال .

د- توفيق الله تعالى الأسباب له وهو ما عبر عنه بقوله : ﴿ يُؤْتِي مَلِكَهُ مَن يَشَاءُ ﴾ وقدم الأركان الثلاثة على الرابع لأنها تتعلق بمواهب الرجل الذي اختير ملكاً فأنكر القوم اختياره فهي المقصودة بالجواب ^(١) .

قال الطبري وحكي معناه عن ابن عباس والسدي وابن زيد : تعنت بنو إسرائيل وقالوا لنبيهم : وما آية ملك طالوت ؟ ، وذلك على وجه سؤال الدلالة على صدق نبيهم ، وكان رفعه الله بعد موسى فترلت به الملائكة تحمله وهم ينظرون إليه ، وقيل عن ابن عباس : جاءت الملائكة تحمل التابوت بين السماء والأرض ووضعت بين يدي طالوت والناس ينظرون ، وقال السدي : أصبح التابوت في دار طالوت فأمنوا بنبوة شمعون وأطاعوا طالوت .

تحمله الملائكة : قال قتادة : كان التابوت في التيه خلفه موسى عند يوشع فبقي هناك ولم يعلم به بنو إسرائيل فحملته الملائكة حتى وضعت في دار طالوت فأقروا بملكه .

: سلب التابوت أهل الأردن قرية من قرى فلسطين وجعلوه في بيت صنم لهم تحت الصنم فأصبح الصنم تحت التابوت فسمروا قدمي الصنم على التابوت فأصبح وقد قطعت يده ورجلاه ملقى تحت التابوت وأصنامهم منكسة ، فوضعوه في ناحية من مدينتهم فأخذ أهلها وجع في أعناقهم وهلك أكثرهم فدفنوه بالصحراء في متبرز لهم فكان من تبرز هناك أخذ الناسور والقولنج فتحيروا ، فقالت امرأة من بني إسرائيل : أخرجوه عنكم فحملوا التابوت على عجلة وعلقوا بها ثورين أو بقرتين وضربوا جنوبهما فوكل الله أربعة من الملائكة يسوقونهما فما مر التابوت بشيء من الأرض إلا كان مقدسا حتى وصل إلى بيت طالوت فكبروا وحمدوا الله على تمليك طالوت ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمُ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ ، أي على صدقي فيما جئتكم به من النبوة وفيما أمرتكم به من طاعة طالوت إن كنتم مؤمنين بالله واليوم الآخر ^(٢) .

(١) تفسير المنار / لرشيد رضا : ص ٤٧٨ .

(٢) جامع البيان للطبري ، ج ٥ ، ص ٢٧٥ .

﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا اللَّهَ كَمَ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةُ كَثِيرَةٍ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾^(١) .

وبعد أن التف بنو إسرائيل حول قيادة ملكهم اختار من شباهم سبعين أو ثمانين ألفاً، وكان الوقت حاراً فأراد أن يختبرهم بشيء ليعلم صحتهم في القتال ، فلما خرج طالوت من البلاد مع هؤلاء الجند بدأ بالاختبار كما يفعل كل قائد حكيم فقال لهم : إن الله مختبركم - وهو أعلم بكم - بنهر يصادفنا في أثناء الطريق إلى الأعداء فمن شرب منه فليس من أتباعي وأنصاري ومن لم يتذوقه فإنه من حزبي وأعواني، وكذا من اغترف بيده غرفة فقط ييل بها ريقه ويدفع بها شيئاً من العطش فالمرفوض هو النوع الأول والمقبول هما النوعان الآخران فكان نتيجة الاختبار أن شربوا منه جميعاً لاعتيادهم العصيان وضعف الإيمان إلا قليلاً منهم وهم أهل الإيمان ، وروى البخاري عن البراء بن عازب قال : كنا نتحدث أن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الذين كانوا يوم بدر ثلاثمائة وبضعة عشر على عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر وما جاوزه معه إلا مؤمن .

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس : ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ ﴾ غازياً إلى جالوت قال طالوت لبني إسرائيل : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ ﴾ بين فلسطين والأردن نهر عذب الماء طيبه فشرب كل إنسان كقدر الذي في قلبه ، فمن اغترف غرفة وأطاعه روي بطاعته ومن شرب فأكثر فعصى فلم يرو ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ﴾ قال الذين شربوا : ﴿ لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ﴾ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقُوا اللَّهَ ﴿ الَّذِينَ اغْتَرَفُوا ﴾ وهم المؤمنون بالشهادة : ﴿ كَمَ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةُ كَثِيرَةٍ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ وهو قول علمائهم العالمين بأن وعد الله حق فإن النصر من عند الله ليس عن كثرة عدد ولا عدة : ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾^(٢) فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾^(٣) .

(١) سورة البقرة : آية ٢٤٩ .

(٢) سورة البقرة : آية ٢٥١ .

فلما واجه حزب الإيمان وهم قليل من أصحاب طالوت عدوهم أصحاب جالوت وهم كثير وصاروا بالبراز من الأرض وهو ما ظهر واستوى والمبارزة في الحرب أن يظهر كل قرن لصاحبه بحيث يراه قرنه ، وكان جنود طالوت ثلاثمائة ألف فارس وقيل مائة ألف ، قال عكرمة تسعين ألفا : ﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا ﴾ ، الصبر هنا حبس النفس للقتال أي أنزل علينا صبرا من عندك : ﴿ وَثَبَّتْ أقدامَنَا ﴾ أي في لقاء الأعداء وجنبنا الفرار والعجز : ﴿ وَأَنصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ ، أي غلبوهم وقهروهم بنصر الله لهم ، ﴿ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ ﴾ ذكروا في الإسرائيليات أن داود عليه السلام قتله بمقلاع كان في يده رماه به فأصابه فقتله ، وكان طالوت قد وعده إن قتل جالوت أن يزوجه ابنته ويشاطره نعمته ويشركه في أمره ، فوفى له ثم آل الملك إلى داود عليه السلام مع ما منحه الله به من النبوة العظيمة (١) .

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور / للسيوطي ص ٥٥٨ وجامع البيان للطبري ج ٥ ص ٢٧٥ .

بداية ذكر داود عليه السلام في القرآن الكريم :

﴿ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ ﴾ طول المفسرون في قصة كيفية قتل داود لجالوت ولم ينص القرآن الكريم على شيء من الكيفية ، وسنذكر أمثلة مما ذكر في كتب التفسير باختصار:

١- في تفسير الدر المنثور للسيوطي :

عن مجاهد قال : كان طالوت أميرا على الجيش فبعث أبو داود داود عليه السلام بشيء إلى إخوته فقال داود لطالوت ، ماذا لي وأقتل جالوت ؟ .

فقال : لك ثلث ملكي وأنكحك ابنتي .

فأخذ مخلاة فجعل فيها ثلاثة أحجار ثم أدخل يده فقال : بسم الله إلهي وإله آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب فرمى بها جالوت فحرق ثلاثة وثلاثين بيضة على رأسه وقتلت مما وراءه ثلاثين ألفا^(١) .

٢- وفي تفسير الطبري :

عن وهب بن منبه قال : لما برز طالوت لجالوت قال جالوت : أبرزوا لي من يقاتلني فإن قتلني فلکم ملكي وإن قتلته فلي ملککم ، فأتي بداود إلى طالوت فقاضاه إن قتله أن ينكحه ابنته وأن يحكمه في ماله ، فألبسه طالوت سلاحا فكره داود أن يقاتله بسلاح ، وقال : إن الله إن لم ينصرني عليه لم يغن السلاح ، فخرج إليه بالمقلع وبمخلاة فيها أحجار ثم برز له .

قال له جالوت : أنت تقاتلني !!

قال داود : نعم .

قال : ويلك ! ما خرجت إلا كما تخرج إلى الكلب بالمقلع والحجارة !! ، لأبدن لحمك ولأطعمنه اليوم الطير والسباع .

فقال داود : بل أنت يا عدو الله شر من الكلب ! فأخذ داود حجرا ورماه بالمقلع فأصاب بين عينه حتى نفذ في دماغه فصرع جالوت وانهمزم من معه واجتز داود رأسه ، فلما رجعوا إلى طالوت ادعى الناس قتل جالوت ، فمنهم من يأتي بالسيف وبالشيء من سلاحه أو جسده ، وخبأ داود رأسه . فقال طالوت : من جاء برأسه فهو الذي قتله ! فجاء به داود .

(١) هذه القصة مأخوذة عن الإسرائيليات ، راجع سفر صموئيل الأول (١٧ : ١-٥٤) .

أقول وهذا يتنافى مع أول القصة من كون طالوت ألبس داود وخرج للمبارزة والناس وطالوت يشهدون مقتله على يد داود ، وهذا لا يخفى علينا من تلبيس بني إسرائيل في أحداثهم وقصصهم ثم قال لطالوت : أعطني ما وعدتني ! فندم طالوت على ما كان شرط له ، وقال: إن بنات الملوك لابد هن من صداق ، وأنت رجل جريء شجاع فاحتمل صداقها ثلاثمائة غلفة من أعدائنا ، وكان يرجو بذلك أن يقتل داود ، فغزا داود وأسر منهم ثلاثمائة وقطع غلغهم وجاء بها (١) ، فلم يجد طالوت بدا من أن يزوجه ، ثم أدركته الندامة فأراد قتل داود حتى هرب منه إلى الجبل ، فنهض إليه طالوت فحاصره ، فلما كان ذات ليلة سلط النوم على طالوت وحرسه ، فهبط إليهم داود فأخذ إبريق طالوت الذي كان يشرب منه ويتوضأ وقطع شعرات من لحيته وشيئا من هذب ثيابه ثم رجع داود إلى مكانه فناداه : أن قد نمت ونام حرسك فإني لو شئت أقتلك البارحة فعلت فإن هذا إبريقك وشيء من شعر لحيتك وهذب ثيابك ، وبعث به إليه فعلم طالوت أن لو شاء قتله فعطف عليه فأمنه وعاهده بالله لا يرى منه بأسا ، ثم انصرف . وهذه القصة موافقة أيضا لما سبق ذكره في أسفارهم اليهودية والله أعلم (٢).

٣- وعن السدي قال :

عبر يومئذ النهر مع طالوت أبو داود فيمن عبر مع ثلاثة عشر ابنا وكان داود أصغر بنيه - وقيل ستة من بنيه - وقيل أربعة فقط والله أعلم . وأنه أتاه ذات يوم فقال : يا أبتاه ما أرمي بقذافتي شيئا إلا صرعته ، قال : أبشر فإن الله قد جعل رزقك في قذافتك . ثم أتاه يوما آخر فقال : يا أبتاه لقد دخلت بين الجبال فوجدت أسدا رابضا فركبت عليه وأخذت بأذنيه فلم يهجني ، فقال : أبشر يا بني هذا خير يعطيكه الله ، ثم أتاه يوما آخر فقال : يا أبتاه إني لأمشي بين الجبال فاسبح فما يبقى جبل إلا سبح معي . قال: أبشر يا بني فإن هذا خير أعطاكه الله ، وكان داود راعيا ، وكان أبوه خلفه يأتي إليه وإلى إخوته بالطعام ، فأتى النبي بقرن فيه دهن وبثوب من حديد ، فبعث به إلى طالوت فقال : إن صاحبكم الذي يقتل جالوت يوضع هذا القرن على رأسه فيغلي حين يدهن منه ولا يسيل على وجهه يكون على رأسه كهية الإكليل ، ويدخل في هذا الثوب فيملأه ، فدعا بني إسرائيل فجربه فلم يوافقهم أحد ، فلما فرغوا قال طالوت لأبي داود، هل بقي لك ابن لم يشهدنا ؟ ، قال : نعم بقي ابني داود وهو يأتينا بطعامنا ، فلما أتاه داود ومر في الطريق بثلاثة أحجار فكلمنه وقلن

(١) انظر سفر صموئيل الأول (١٨ : ٢٥-٢٨).

(٢) انظر صموئيل الأول (٢٤ : ١-٦).

له : " يا داود خذنا تقتل بنا جالوت " ، فأخذهن فجعلن في مخلاته ، وقد كان طالوت قال : من قتل جالوت زوجته ابنتي وأجريت خاتمه في ملكي .

فلما جاء داود وضعوا القرن على رأسه فغلى حتى دهن منه ولبس الثوب فملاه وكان رجلاً مسقاماً مصفراً ولم يلبسه أحد إلا تقلقل فيه ، فلما لبسه داود تضايق عليه الثوب حتى تنقص ثم مشى إلى جالوت ، وكان جالوت من أجسم الناس وأشدهم ، فلما نظر إلى داود قذف في قلبه الرعب منه وقال له : يا فتى ارجع فإني أرحمك أن أقتلك ، فقال داود : لا بل أنا قاتلك .

وأخرج الحجارة فوضعها في القذافة كلما رفع حجراً سماه فقال : هذا باسم أبي إبراهيم ، والثاني باسم أبي إسحاق ، والثالث باسم أبي يعقوب (إسرائيل) - عليهم السلام - ثم أدار القذافة فعادت الأحجار حجراً واحداً ثم أرسله فصك به بين عيني جالوت فنقب رأسه فقتله ، ثم لم تنزل تقتل كل إنسان تصيبه تنفذ منه حتى لم يكن بحياتها أحد ، فهزموهم عند ذلك وقتل داود جالوت ورجع طالوت فأنكح داود ابنته ، وأجرى خاتمه في ملكه فمال الناس إلى داود وأحبوه . فلما رأى ذلك طالوت وجد في نفسه وحسده ^(٣) فأراد قتله فعلم به داود فسجى له زق خمر في مضجعه فدخل طالوت إلى منام داود وقد هرب داود فضرب الزق ضربة مخرقة فسالت الخمر منه فقال : يرحم الله داود ما كان أكثر شربه للخمر . ثم إن داود أتاه من القابلة في بيته وهو نائم فوضع سهمين عند رأسه وعند رجله وعن يمينه وعن شماله سهمين ، فلما استيقظ طالوت بصر بالسهم فعرفها فقال : يرحم الله داود هو خير مني ظفرت به فقتلته (كيف يكون قتله ثم أتى يوماً فاصلاً استيقظ أهله ولم يعلموا بقتل داود ولم يروا الجثة ، ثم يظهر مرة أخرى ليلاً ؟) ، وظفري فكف عني ^(٤) .

(٣) الحسد صفة مشهورة في بني إسرائيل ، وأثبتها القرآن الكريم ، وكذلك شرب الخمر عندهم ، ونحن نرفض هذه الحادثة لأن أنبياء الله معصومون من تضییع عقولهم .

(٤) انظر صموئيل الأول (١٨:٦-١٠)

استمرار محاولة الاغتيال :

ثم إنه ركب يوماً فوجده يمشي في البرية وطالوت على فرس فقال طالوت : اليوم أقتل داود ، - وكان داود إذا فرع لا يدرك - ، فركض على أثره طالوت ففرع داود فاشتد فدخل غاراً وأوحى الله إلى العنكبوت فضربت عليه بيتاً ، فلما انتهى طالوت إلى الغار نظر إلى بناء العنكبوت فقال لو كان دخل هنا لخرق بيت العنكبوت ، فتركه وملك داود بعدما قتل طالوت ^(١) .

(١) وقول السدي هذا أخذته عن كتب التفسير التالية .
(أ) البحر المحيط في التفسير لمحمد بن يوسف الشهير بابي حيان الأندلسي العرباطي ، (٦٥٤-٧٥٤هـ) ، ط جديدة بعناية الشيخ زهير جعيد والشيخ عرفات العشاحسونه ، المكتبة التجارية ، مصطفى أحمد الباز ، مكة المكرمة ، ج ٢ ، ص ٥٦٨-٥٩٧ .
(ب) تفسير النسفي للإمام العلامة أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ، طبعة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، الناشر دار الكتاب العربي بيروت لبنان ، ج ١ ، ص ١٢٤-١٢٧ .
(ج) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ ، ط ١ ، ١٤١١هـ ، ١٩٩٠م ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، ج ١ ، ص ٥٥٦ - ٥٧٠ .
(د) جامع البيان عن تأويل أي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري المعروف بتفسير الطبري ، ٢٤٤-٣١٠هـ حققه وعلق حواشيه محمود محمد شاكر ، توزيع دار التربية والترث مكة ط ٢ ، ج ٥ ، ص ٢٩١-٢٧٢ .
(هـ) تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير الإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى عام ٧٧٧هـ ، ط ١ ، دار المفيد بيروت ، ج ١ ، ص ٢٦٣-٢٦٧ .
(و) الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تأليف أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، (٤٦٧-٥٣٨هـ) ، ج ٣ ، ص ١٤٧-١٥١ .

معجزات داود عليه السلام

بعد أن تعرفنا على مكانة داود عليه السلام في القرآن الكريم والسنة النبوية نلخص المنح الربانية التي أعطها الله لبنيه داود عليه السلام ومنها :

- ١ - أن الله سبحانه وتعالى جعل قتل جالوت الجبار على يديه .
 - ٢ - أن الله تعالى أعطاه ملك بني إسرائيل .
 - ٣ - أن الله تعالى أعطاه الحكمة ، وقلنا إن المراد بالحكمة النبوة .
- وقد تحدثنا عن هذه المنح الربانية بالتفصيل في السابق . أما المعجزات التي اختص الله بها داود عليه السلام فهي :

أولاً : تسخير الجبال والطير :

لقد بين سبحانه وتعالى في عدة سور من القرآن الكريم أنه تعالى منح عبده داود عليه السلام هذه المزية وتفضل عليه بهذه العطية السنية التي فاقت معجزات الأنبياء الذين جاءوا قبله ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالُ أَوْبَىٰ مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ۚ ^(١) .

وقال تعالى : ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ^(٢) .

وقال تعالى : ﴿ أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ^(٣) إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ^(٤) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ^(٥) وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ^(٦) .

حول معنى التسييح : جاء التسييح في القرآن الكريم بعدة معان منها :

أولاً : الذكر والصلاة : قال تعالى : ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ^(٧) لَلِثَّ فِي بَطْنِهِ إِلَى

يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ^(٨) وقد ورد أن يونس عليه السلام كان يصلي في بطن الحوت ، وقيل إن

تسييحه كان قول : (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) .

ثانياً : التحميد : قال تعالى : ﴿ سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ^(٩) وَإِنَّا إِلَىٰ

رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ^(١٠) ، فمعنى سبحان الذي أي الحمد لله الذي .

(١) سورة سبأ : آية ١٠ .

(٢) سورة الأنبياء : آية ٧٩ .

(٣) سورة ص : الآيات من ١٧ - ٢٠ .

(٤) الصافات آية : ١٤٣ - ١٤٤ .

(٥) سورة الزخرف آية ١٣ - ١٤ .

ثالثاً : الاستثناء :

قد يرد التسبيح بمعنى الاستثناء ، أي كقول المؤمن : " إن شاء الله " لقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ ^(١) ، أي لولا تستنون وتقولون إن شاء الله .

وبالتأمل في أوائل السور نجد أن لفظ التسبيح جاء على أوزان مختلفة من الأفعال ففي أوائل السور جاء بصورة الفعل الماضي " سَبَّحَ " والمضارع " يُسَبِّحُ " والأمر " سَبِّحْ " والمصدر " سُبْحَان " ، وهذا الاختلاف في الأوزان يشعر باختلاف المقامات وتنوع المقصديات فهي تنبئ أن كل الكائنات اجتمعت على توحيد الله وذكره وتقديسه قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَوَّتٌ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾ ^(٢) .

وهذه الآية الكريمة تدل على أن جميع ما في الكون من جمادات ونباتات وحيوانات وكل متحرك وساكن يسبح لله تعالى ، قال تعالى : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ ^(٣) .

وقد أخبر الله سبحانه وتعالى في قوله : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَنْجِبَالُ أَوَّيى مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَأَلْنَا لَهُ آلْحَدِيدَ ﴾ ^(٤) . عما أنعم به على عبده ورسوله داود عليه الصلاة والسلام مما آتاه من الفضل المبين وجمع له بين النبوة والملك المتمكن والجنود والعدد والعدة وما أعطاه ومنحه من الصوت الذي كان إذا سبح به تسبح معه الجبال الراسيات الصم الشائخات وتقف له الطيور السارحات والغاديات والرائحات وتجابهه بأنواع اللغات .

ومعنى : ﴿ أَوَّيى ﴾ أي سبحي ، فأمرت الجبال والطير أن ترجع معه بأصواتها ^(٥) وقال النسفي في تفسيره : ومعنى تسبيح الجبال أن الله يخلق فيها تسبيحاً فيسمع منها كما يسمع من المسيح معجزة لداود عليه السلام وفي هذا النظم من الفخامة ما لا يخفى حيث جعلت الجبال بمنزلة العقلاء الذين إذا أمرهم أطاعوه وإذا دعاهم أجابوه إشعاراً بأنه ما من حيوان ولا جماد إلا منقاد لمشيئة الله سبحانه وتعالى ^(٦) .

(١) سورة القلم : آية ٢٨ .

(٢) سورة النور : آية ٤١ .

(٣) الإسراء : آية ٤٤ .

(٤) سورة سبا : آية ١٠ .

(٥) ابن كثير ، ج ٣ ، ص ١٢٢ باختصار .

(٦) تفسير النسفي ، ج ٣ ، ص ٣١٩ ، دار الكتاب العربي بيروت لبنان .

وفي تسبيح الجبال والطير مع سيدنا داود عليه السلام أربعة أقوال :

- ١- أن داود عليه السلام كان إذا ذكر ربه وافقته الجبال والطير في ذكر ربه .
- ٢- كان إذا سبح أجابته الجبال والطير .
- ٣- أن الجبال والطير كانت تنشط داود عليه السلام على ذكر الله وتسبيحه أي كلما فرغ داود أمر الله الجبال والطير فسبحت وعندئذ يزداد نشاطاً وإقبالاً على الله تعالى .
- ٤- أن هذه الجبال والطير تبعث داود على ذكر الله وتسبيحه وتمجيدته وذلك بالتأمل فيها والاطلاع على أسرارها ^(١) .

وبالتأمل في القرآن الكريم ندرك أن هذه الأقوال الأربعة صحيحة وأن تسبيح الجبال والطير تسبيح مقال لا تسبيح حال وهو ما ذهب إليه أكثر العلماء .

وأضافت الآية الثانية من سورة الأنبياء تسخير الجبال مع داود والطير فقد قيل : كانت الجبال تسير معه حيث سار ^(٢) وجعل ذلك السير تسبيحاً لأنه كان يدل على كمال قدرة الله وحكمته ^(٣) . أما الآية الثالثة من سورة (ص) فأضافت وقت التسبيح وهو العشي والإشراق ففي هذه الآية أخبر تعالى عن عبده داود أنه كان ذا الأيد أي القوة في العلم والعمل ، وقال قتادة : أعطي داود عليه السلام قوة في العبادة وفقهاً في الإسلام ، وقد ذكر لنا أنه عليه السلام كان يقوم ثلث الليل ويصوم نصف الدهر وهذا ثابت في الصحيحين ^(٤) ، وأنه تعالى سخر الجبال تسبيح معه عند الإشراق وآخر النهار وكذلك كانت الطير تسبح بتسبيحه وترجع بترجيعه فأسمعه تسبيحها وأفهمه لغاتها .

وإذا مر الطير وهو سابح في الهواء فسمعه وهو يترنم بقراءة الزبور لا يستطيع الذهاب ، بل يقف في الهواء ويسبح معه ﴿ وَالطَّيْرُ خَاشِعَةٌ ﴾ أي محبوسة في الهواء ﴿ كُلُّ لَّهُ أَوَّابٌ ﴾ أي مطيع ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ ﴾ قال مجاهد : كان أشد أهل الدنيا سلطاناً ، وقال السدي : كان يحرسه كل يوم أربعة آلاف .

﴿ وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ ﴾ يعني الفهم والعقل والفتنة ، وقال السدي : الحكمة النبوة .

(١) مفاتيح الغيب/ للرازي ، ج ٦ ، ص ١٣٦ .

(٢) تفسير النسفي ، ج ٣ ، ص ٨٦ .

(٣) مفاتيح الغيب/ للرازي ، ج ٢٦ ، ص ١٨٥ .

(٤) سبق تخريجه ص ٢٢٩ .

﴿ وَفَصَّلَ لَخِطَابٍ ﴾ قال مجاهد والسدي : هو إصابة القضاء وفهم ذلك ، وقال عن أبي موسى رضي الله عنه أول من قال - أما بعد - داود عليه السلام - وهو فصل الخطاب ^(١) .
وقد استدل بعض الفقهاء على مشروعية صلاة الضحى بقوله سبحانه وتعالى ﴿ يُسَبِّحُنَا بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴾ ، فقد روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : ما عرفت صلاة الضحى إلا بهذه الآية ^(٢) .

ثانياً : إلانة الحديد :

قال تعالى : ﴿ وَاللَّيْلَ لَهُ الْحَدِيدَ ﴾ ﴿ أَنْ أَعْمَلَ سَبْعَ نَجْمَاتٍ وَقَدِّرَ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ ^(٣) ، وقال تعالى : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴾ ^(٤) .

ومن المعجزات التي أكرم الله بها نبيه داود عليه السلام إلانة الحديد فكان داود عليه السلام أول من صنع الدروع وكانت قبل ذلك صفائح فجمعت في عهده بين الخفة والتحصين ، ويتضح من الآية السابقة أن عهد نبي الله داود عليه السلام عهد حرب وفتوحات وجهاد - كما مر معنا في الأسفار اليهودية - فقد وقعت حروب كثيرة بينه وبين أعدائه من الملوك والجبابة المعاصرين له ، فذل الله له الحديد وعلمه صنع الدروع ليحمي الأرواح ويجلب لأُمَّته الأمن والأمان ^(٥) .

وعن الحسن البصري و قتادة قالوا : كان لا يحتاج أن يدخله ناراً ولا يضربه بمطرقة ، بل كان يفتله مثل الخيوط ، وقال مجاهد ﴿ وَقَدِّرَ فِي السَّرْدِ ﴾ ، لا تدق المسمار فيقلق في الحلقة ولا تغلظه فيقصمها واجعله بقدر .

وعن وهب بن منبه أن داود عليه السلام كان يخرج متنكراً فيسأل الركبان عنه وعن سيرته فلا يسأل أحداً إلا أثني عليه خيراً في عبادته وسيرته وعدله عليه السلام ، قال وهب : حتى بعث الله تعالى ملكاً في صورة رجل فلقبه داود عليه السلام فسأله كما كان يسأل غيره فقال : هو خير الناس لنفسه ولأُمَّته إلا أن فيه خصلة لو لم تكن فيه لكان كاملاً ، قال : ما هي ؟

(١) تفسير ابن كثير ج ٣ ، ص ١٩٩ ، باختصار .
(٢) تفسير الكشاف/ للزمخشري ، ج ٣ ، ص ٣٦٤ ، وتفسير الطبري ج ٢٣ ، ص ٧٨ .
(٣) سورة سبا ١٠-١١ .
(٤) سورة الأنبياء : آية ٨٠ .
(٥) تفسير مفاتيح الغيب/ للرازي ، ٧/٧ باختصار .

قال : يأكل ويطعم عياله من مال المسلمين ، يعني بيت المال ، فعند ذلك نصب داود عليه السلام إلى ربه عز وجل في الدعاء أن يعلمه عملاً بيده ، يستغني به ويغني عياله فألان له الحديد وعلمه صنعة الدروع فعمل الدروع وباعها وتصدق بثلاثها واشترى بثلاثها ما يكفيه وعياله وأمسك الثلث يتصدق به يوماً بيوم إلى أن يعمل غيرها ^(١) .

والواضح من هذه الخصيصة أنه عليه السلام كان دائم العمل في طاعة الله لأن عمل الدروع المركبة من الحديد من عوامل تقوية ملكه ونصره على مبغضيه . ولعل الذي جعله يفكر في عمل الدروع المسرودة عدم قدرته على المشي في لأمة الحرب التي ألبسها إياه شاول يوم برز داود لجالوت ^(٢) .
والتحصن من البأس في الحروب نعمة عظيمة تستوجب الشكر ، وفي الحديث الصحيح (كان داود لا يأكل إلا من تعب يده) ^(٣) .

ثالثاً: الحكمة وفصل الخطاب :

كان داود عليه السلام يتولى القضاء بنفسه في بني إسرائيل فوهبه الله ملكه في فهم القضاء والفصل بين الحق والباطل وهذا من فضل الله على داود عليه السلام ، قال تعالى : ﴿ وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴾ ^(٤) .

وفسر العلماء الحكمة بعدة معاني من أشهرها النبوة ، ولكن وردت في القرآن الكريم كلمة الحكمة ولا يراد منها معنى النبوة في قوله سبحانه ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ ﴾ ^(٥) ، والمجمع عليه أن لقمان كان حكيماً ولم يكن نبياً .

والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم والحكمة وضع الشيء في موضعه ، جمعها حِكْمٌ والعلم والحلم والنبوة ، فالحكمة هنا معناها :

١- إدراك الصواب ومجانبة الخطأ .

٢- العلم والإصابة في العمل .

(١) تفسير ابن كثير ، ج ٣ ، ص ١٢٣ .

(٢) قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٣١٠ .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ، ج ٦ ، ص ٣٥٠ رقم ٣٤١٧ .

(٤) سورة ص : آية ٢١ .

(٥) سورة لقمان : آية ١٢ .

وقد ورد في القرآن ذكر الحكمة في سبع عشرة آية ، وبالرجوع إلى كتب التفسير نجد أنه إذا كان الحديث خاصاً برسول الله صلى الله عليه وسلم فيراد بالحكمة كما قال ابن كثير السنة كقوله : تعالى : ﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ ^(١) ، والحكمة الفهم في الدين وهي لا تختص بالنبوة بل هي أعم من النبوة ، وأعلاها النبوة ^(٢) . وعن ابن مسعود قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها) ^(٣) .

ولقد وصف داود عليه السلام بالحكمة في موضعين :

١ - قوله تعالى : ﴿ وَءَاتَيْنَاهُ آلَافًا مِّنَ الْمَلَكِ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ﴾ ^(٤) .

٢ - قوله تعالى : ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴾ ^(٥) .

فالحكمة صفة ضرورية للداعية فضلاً عن أن يكون ملكاً نبياً .

أما فصل الخطاب فمعناه : الفصل في اللغة القطع والإبانة والفرز ، أما الخطاب فيأتي بمعنى الكلام ، وفصل الخطاب ما ينفصل به الأمر من الخطاب أي ينجلي المعنى وتظهر الحقيقة وهو نقيض لحن الخطاب أي إضاعة المعنى والتلبس على الحقائق ^(٦) قال تعالى : ﴿ لَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَلَكُمْ ﴾ ^(٧) .

ومما سبق من التعريف يتضح لنا أن الله سبحانه وتعالى أعطى نبيه داود عليه السلام قابلية لإدراك الأمور الغامضة وفض النزاع بين الناس بقليل من الجهد ويسير من الكلام ، لذا فقد عدها الله تعالى هبة من هباته وخصوصية من خصوصياته التي كرم الله بها عبده داود وساقها له مساق المدح والامتنان فالناس مختلفون في مراتب القدرة على التعبير عما في الضمير ، فمنهم من يتعذر عليه إيراد الكلام المنتظم ، ومنهم من يتعذر عليه الترتيب من بعض الوجوه ومنهم من يكون قادر على ضبط المعنى والتعبير عنه إلى أقصى الغايات ^(٨) .

(١) سورة البقرة ١٢٩ .

(٢) تفسير ابن كثير ج ١ ، ص ٣٢٢ ، ١٨٤ .

(٣) صحيح مسلم ، كتاب صلاة المسافرين ، باب فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه ، ج ١ ، ص ٥٥٩ ، طه عيسى الحلبي .

(٤) سورة البقرة : آية ٢٥١ .

(٥) سورة ص : آية ٢١ .

(٦) انظر المعجم الوسيط ج ١ ، ص ٢٤٢ .

(٧) سورة محمد آية ٣٠ .

(٨) تفسير مفاتيح الغيب للرازي ، ج ٧ ، ص ١٧٨ .

وهذا هو فصل الخطاب الذي وهبه الله لنبيه داود عليه السلام لكونه قادراً على ضبط المعنى والتعبير عنه بحيث يتبينه من يخاطبه ولا يلتبس عليه الصحيح من الفاسد والحق من الباطل بكلام ليس فيه اختصار مخل ولا إشباع ممل يراعى فيه مظان الفصل والوصل والعطف والاستثناء والإضمار والإظهار والحذف والتكرار كما جاء في وصف كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصل لا نزر ولا هذر ^(١).

وروى عن علي رضي الله عنه أن فصل الخطاب هو البينة على من ادعى واليمين على من أنكر لأن كلام الخصوم ينقطع وينفصل به. وروى ابن عباس أن فصل الخطاب هو علم الحكمة والبصر بالقضاء والفهم به لقطع خصومات الناس ^(٢).

قضاء داود عليه السلام :

إن العدل في القضاء وعدم الحيف فيه له ميزة في تأليف القلوب وتوطيد أركان الملك ، ودور القضاء في الدعوة إلى الله دور خطير وهام ، لذلك نجد القرآن الكريم يحرص كل الحرص على إبراز هذه القضية الهامة ويؤكد على هذا الدور بإعطاء نماذج من القضاء بين المتخاصمين خصوصاً في عهد داود عليه السلام .

فلقد كان عليه السلام يقسم وقته ثلاثاً : ثلث لعبادته وثلث لأهله ، وثلث يقضي فيه بين المتخاصمين ، ولذلك امتدحه الله بالخلافة في الأرض وإقامة منهج الله فيها ، قال تعالى ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ ^(٣).

فابن كثير يروي "أن إياس بن معاوية لما استقضى أتاه الحسن البصري فبكى ، فقال : ما يبكيك؟ قال : يا أبا سعيد بلغني أن القضاة رجل اجتهد فأخطأ فهو في النار ورجل مال به الهوى فهو في النار، ورجل اجتهد فأصاب فهو في الجنة ، فقال الحسن البصري : إن فيما قص الله من نبأ داود وسليمان عليهما السلام والأنبياء حكماً يرد قول هؤلاء الناس عن قولهم، قال تعالى : ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفِثَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ ^(٤)

(١) تفسير النسفي ، ٣٧/٤ وتفسير البيضاوي ١٦٤/٢ .

(٢) تفسير الطبري ٢٣ / ١٣٩ .

(٣) سورة ص : آية ٢٦ .

فَقَهَّمْنَهَا سُلَيْمَنَ وَكَالًا ؕ أَتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١﴾ .

فأتى الله على سليمان ولم يذم داود ثم قال الحسن : إن الله اتخذ على الحكام ثلاثا : لا يشتروا به ثمنا قليلا ، ولا يتبعوا الهوى ، ولا يخشوا فيه أحدا ، ثم تلا : ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ (١) .
وقال : ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخِشُوا وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٢) .

(١) سورة الأنبياء الآيات ٧٨ - ٧٩ .

(٢) سورة ص : آية ٢٦ .

(٣) تفسير ابن كثير ، ج ٢ ، ص ٥١٦ ، الآية من سورة المائدة : آية ٤٤ .

قضاء داود عليه السلام والشبهات التي أثرت حوله

أولاً : قضية الحرث :

كان داود عليه السلام نبياً وملكاً يحكم بين بني إسرائيل وقد ذكر لنا القرآن الكريم والسنة النبوية طرفاً من حكمه وهي قضية الحرث وقضية النعاج - الخصمين - فيروى أن داود عليه السلام قد عين يوماً للنظر في الخصومات والمظالم بين بني إسرائيل ، وفي هذا اليوم يزدحم مجلسه بالناس حتى إنه عين للدخول باباً وللخروج باباً آخر .

وكان ابنه سليمان عليه السلام قد كبر إذ ذاك وبلغ من العمر إحدى عشرة سنة ، وكان يجلس على الباب الذي يخرج منه الخصوم ^(١) .

وفي هذا قال تعالى ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾ ^(٢) فَهَمَّنَهَا سُلَيْمَانٌ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ^(٣) .

يطلق الحرث في اللغة على حرث الأرض أثارها للزراعة، والحرث الزرع وقد يستعمل الحرث ويراد به نوع من التشبيه والمجاز ، فمن ذلك استعماله في الزوجة لأنها موضع الإنتاج كما أن الحرث وسيلة الاستنبات ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ ^(٤) .

ومن ذلك استعماله في نعم الدنيا وثواب الآخرة : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ الْآخِرَةُ فِي مَن نَّصِيبِ ﴾ ^(٥) .

واختلفت أقوال العلماء المفسرين في تعيين المراد من الحرث ، وذلك تبعاً لاختلاف النقل والعرف إلى ما يأتي :

١ - الحرث كان عنياً ، قاله سفيان الثوري .

٢ - الحرث هو الزرع وهو أشبه بالعرف لأنه في العادة والعرف يطلق الحرث على الزرع من الشعير والقمح وما شابههما ^(٦) .

(١) قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٣١١ .

(٢) سورة الأنبياء : آية ٧٨-٧٩ .

(٣) سورة البقرة : آية ٢٢٣ .

(٤) سورة الشورى : آية ٢٠ .

(٥) مفاتيح الغيب للرازي ، ج ٦ ، ص ١٣٥ .

٣- ويرى بعضهم أن الحرث الزرع وأما جعله بمعنى الكرم فلعله مجاز على التشبيه بالزرع^(١).

٤- وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ما قاله تبارك وتعالى ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾ والحرث إنما هو الأرض ، وجائز أن يكون ذلك زرعاً وجائز أن يكون غرساً وغير ضائر الجهل بأي من ذلك^(٢).

ونفهم من تعدد هذه الآراء في كلمة حرث ما يلي :

١- أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يفسر هذه الآية ولم يتلق أصحابه الكرام تفسيرها عنه ، ولو فسرها لما تولدت هذه المذاهب وتشعبت .

٢- أن الحرث يطلق على الزرع والكرم وأن العرف يخص الحرث بالزرع وإذا أردنا بالحرث الكرم فإن هذا يكون مجازاً أو استعارة^(٣).

٣- التعيين كما ذكر الطبري غير ضروري والجهل به غير مضر شيئاً لأنه لو علم الله أن في التعيين مصلحة لبينها سبحانه وتعالى وعينها لنا ، ولكن المراد هو أن يبين الله سبحانه وتعالى ما تفضل به على داود وسليمان عليهما السلام من الفهم الدقيق والنظر العميق والقدرة الكافية لتمييز الحق عن الباطل وفصل الخطاب وبيان أن سليمان عليه السلام قد أحرز قصبات الذكاء والدهاء في هذا الميدان.

النفش معناه أن تنتشر الغنم بالليل بلا راع وهذا قول جمهور المفسرين ، ونفشت الماشية في الزرع أرسلها ليلاً ونام عنها ، والنفش لا يكون إلا ليلاً ، والهمل بالنهار^(٤).

ويذكر المفسرون في تفسير هذه الآية أن رجلين دخلا على داود عليه السلام أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم ، فقال صاحب الحرث : إن هذا أرسل غنمه في حرثي فلم يبق من حرثي شيئاً ، فقال داود عليه السلام : اذهب فإن الغنم كلها لك .

فقضى بذلك داود ، ومر صاحب الغنم بسليمان فأخبره بالذي قضى به داود ، فدخل سليمان عليه السلام على داود عليه السلام فقال : يا نبي الله إن القضاء سوى الذي قضيت ، قال : كيف؟

(١) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ، ج ٦ / ٢٦٥ .

(٢) تفسير الطبري ، ج ١٧ ، ص ٥٠ .

(٣) تفسير القرطبي ، ٣٠٧/١١ .

(٤) تفسير الطبري ، ١٧/٣٨-٤٠ .

قال سليمان عليه السلام : يدفع الكرم إلى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان ، وتدفع الغنم إلى صاحب الكرم فيصيب منها حتى إذا كان الكرم كما كان دفعت الكرم إلى صاحبها والغنم إلى صاحبها ، فذلك قوله تعالى : ﴿ فَهَمَّانَهَا سُلَيْمَنٌ ۝ ﴾ .

والقصة لها روايات عدة لا تخرج عن هذا المضمون الذي ذكرناه ، ولكن اختلف المفسرون في ثلاث قضايا مهمة وهي :

- ١ - في وجهة نظر كل من داود وسليمان عليهما السلام .
- ٢ - هل كان حكم كل منهما بنص - وحي - أم بغير وحي ؟ .
- ٣ - هل يجوز اجتهد الأنبياء ؟

أولا : وجهة نظر كل من داود وسليمان عليهما السلام :

إن داود عليه السلام قدر قيمة الحرث مساوية لقيمة الغنم ، فحكم بتعويض صاحب الحرث وهذا عدل فحسب ، كما في مذهب الإمام أبي حنيفة في العبد إذا جنى على نفسه يدفعه المولى بذلك أو يفديه ، وكذا عند الشافعي .

ولكن حكم سليمان عليه السلام تضمن مع العدل البناء والتعمير ، وجعل العدل دافعا إلى البناء والتعمير وهذا هو العدل الحي الإيجابي في صورته البانية الدامغة وهو فتح وإلهام من الله يهبه لمن يشاء ^(١) .

فسليمان عليه السلام رأى أن يقابل الأصول بالأصول والزوائد بالزوائد ، أما مقابلة الأصول بالزوائد فغير جائز لأنه يقتضي الحيف والجور فاستحسن جعل الانتفاع بالغنم مقابل ما فات من الانتفاع بالحرث مع بقاء أصل العين ومن غير أن يزول ملك المالك عن الغنم ، وأوجب على صاحب الغنم أن يعمل في الحرث إلى أن يزول الضرر الذي أتى من قبله ، وهذا من قبيل ما قال به أصحاب الشافعي فيمن غصب عبدا فأبق من يده يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب منه مقابل ملا فوته الغاصب من منافع العبد ، فإذا ظهر العبد ترادا (٢) .

وفضل الله حكم سليمان على حكم أبيه عليهما السلام في هذه الحادثة لأن سليمان أحرز أن يبقى كل واحد منهما طيبة نفسه بذلك ، لذلك قال تعالى : ﴿ فَهَمَّانَهَا سُلَيْمَنٌ ۝ ﴾ .

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب ، ج ١٧ ، ص ٤٥ .
(٢) تفسير الكشاف للزمخشري ، ج ٣ ، ص ١٥١ .

ثانيا: هل كان الحكم بوحى أم غير ذلك :

- ١- ذهب جمهور المفسرين إلى أنه كان حكما بالاجتهاد أي بغير نص ، وأن اجتهاد سليمان عليه السلام كان أرفق وأوفق ^(١) والدليل قوله تعالى : ﴿ إِذْ يَخُكِّمَانِ ﴾ وقول داود لسليمان أرى أن تدفع .. فلو كان عند سليمان عليه السلام نص فيها لأظهره بآدئ ذي بدء ، ولم ينتظر انتهاء والده من الحكم إذ يحرم كتمان النص وخاصة عند الضرورة له .
- ٢- لو كان الحكم بنص عند داود عليه السلام لوجب أن يكون النص الناسخ له نازلا أيضا على داود لا على سليمان عليهما السلام .
- ٣- أن الله مدح كلا منهما عقب ذلك بقوله : ﴿ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ ولو كان قضاؤهما عن طريق النص لما استحقا هذا المدح لأن استحقاق المدح إنما يكون على البراعة في الاستنباط واستخلاص الحكم الذي ليس فيه نص .
- ٤- أنه إذا كان حكم داود عليه السلام بالنص وحكم سليمان بالاجتهاد فلا يجوز نقض النص بالاجتهاد حيث إن النبي آنذاك هو داود عليه السلام وإنما صار سليمان نبيا وملكاً في بني إسرائيل بعد موت أبيه ^(٢) .

أما الإمام الرازي فقد قرر أن كلا الأمرين محتمل ولكن الاجتهاد هو الراجح عنده . وهناك فريق من العلماء وعلى رأسهم الجبائي ذهبوا إلى أن الحكم كان بالنص لا بالاجتهاد ، وأن داود وسليمان عليهما السلام كانا نبيين يوحى إليهما فحكم داود بوحى وحكم سليمان بوحى نسخ الله به حكم داود ، وعلى هذا يكون قوله تعالى : ﴿ فَفَقَّهَمْنَاهَا سُلَيْمَنَ ﴾ بطريقة الوحي الناسخ لما أوحى الله إلى داود .

(١) تفسير القرطبي ، ج ١١ ، ص ٣٠٧ .
(٢) هذه الآراء اختصار لأقوال المفسرين ، روح المعاني للأوسى ، ج ١٩ ، ص ١٧١ ، تفسير القرطبي ج ١١ ، ص ٣٠٧ ، تفسير البيضاوي ، ج ٤ / ٤٤ و تفسير الرازي ، ج ٦ ، ص ٣٢٧ ، وكذلك قصص الأنبياء للنجار ، ص ٣١١ ، وعصمة الأنبياء للحديدي ، ص ٣٧٠ - ص ٣٧٤ .

ثالثاً: هل يجوز الاجتهاد للأنبياء ؟ :

ذهب الجبائي ومن تابعه - في هذه المسألة - إلى أنه لا يجوز الاجتهاد للأنبياء لأنهم ليسوا محتاجين إليه ، وذلك لأن الوحي يتصل بهم ويكشف لهم ما عضل من الأمور وما استجد من الأحداث ، واستدلوا على رأيهم بأدلة منها :

١ - قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَآئِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ ^(١) .

وأجاب الإمام الرازي رداً على دليلهم قائلاً :

إن هذا لا يدل على المراد حيث إن الآية نزلت في إبدال آية بآية ، والدليل على هذا أن الآية التي استدل بها الجبائي نفسها تبطل مدعاه حيث إن أول الآية تبين أن الآية طلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بقرآن غير هذا القرآن وأن يبدله ، قال تعالى : ﴿ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا آتِنَا بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ ﴾ ^(٢) ، ولا علاقة ولا مدخل لهذه الآية في اجتهاد الأنبياء ^(٣) .

٢ - من الأدلة التي استدل بها هذا الفريق أن الاجتهاد ظني والنبي قادر على إدراك النص بواسطة الوحي .

الجواب :

أن الظن مقطوع عن الأنبياء وحتى إذا أخطأوا فإنهم لا يقرون على الخطأ بل ينبهون عليه فلم يبق ظن في اجتهادهم .

٣ - أن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم توقف في كثير من المسائل كمسألة الظهار واللعان والإفك ، ولو كان الاجتهاد جائزاً لما توقف في شيء منها .

الجواب :

يمكن أن يكون مسموحاً للرسول أن يجتهد في بعض المسائل وفي بعضها لا ، فيجتهد في المسائل المسموح له بها ويترك البقية إلى ورود النص .

(١) سورة النمل : آية ١٦ .

(٢) سورة يونس : آية ١٥ .

(٣) سورة يونس : آية ١٥ .

(٤) مفاتيح الغيب/ للرازي ، ج ٦ ، ص ١٣٦ .

٤ - أن الاجتهاد يجوز عند تعذر النص ولا يجوز فقدانه عند المرسلين .

الجواب :

يجوز أن يحبس عنه النص في بعض الصور فيلجأ النبي إلى الاجتهاد ، كما في حادثة الأسرى في غزوة بدر .

٥ - لو جاز الاجتهاد للرسول لضاعت النصوص واختلطت بالاجتهادات فيشتبه علينا الأمر فلا ندري عندئذ أهى من كلام الله أم من كلام جبريل .

الجواب :

أن هذا الاحتمال مدفوع بإجماع الأمة ^(١) .

ومنهم من قال بجواز اجتهاد الأنبياء لأنهم ليسوا خارجين عن البشرية وأن حكم داود وسليمان عليهما السلام كان اجتهاداً ولكن قضاء سليمان كان أصوب لأنه من نبع الإلهام وليس في قضاء داود من خطأ . وهذا ما ذهب إليه جمهور العلماء من أن الاجتهاد جائز للأنبياء واستدلوا على ما ذهبوا إليه بعدة أدلة منها :

١ - قوله تعالى ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴾ ^(٢) ، وهذا أمر للكل والأنبياء هم القدوة ولأولي

الأبصار فما يجوز لأولي الأبصار يجوز للأنبياء بطريق أولى .

٢ - أن الاستنباط أرفع درجات العلماء ، فوجب أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم في

مقدمة المستنبطين وإن لم يكن الرسول من المستنبطين كان آحاد المجتهدين أفضل من النبي ، وهذا محال .

٣ - يمكن أن تكون المسألة لم يرد فيها نص ، فلو لم يتمكن الرسول من الاجتهاد لكان المجتهد

أفضل من الرسول في هذه المسألة وهذا باطل .

٤ - لما جاز للعلماء الاجتهاد بالاتفاق والعلماء ورثة الأنبياء قال صلى الله عليه وسلم (العلماء

ورثة الأنبياء) ^(٣) ، فجاز بطريق أولى للأنبياء أن يجتهدوا .

(١) تفسير مفاتيح الغيب للرازي ، ج ٢٢ ، ص ١٩٧ ، بتصرف واختصار .

(٢) سورة الحشر: آية ٢ .

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الأنبياء ، ج ٦ ، ص ٣٥٠ .

٥ - هناك نصوص كثيرة تدل على أن رسولنا محمدا صلى الله عليه وسلم قد اجتهد وأحيانا أخطأ فجاء الوحي وعاتبه بعتاب أحيانا قد يكون شديد اللهجة مما جعل الرسول صلى الله عليه وسلم يبكي ويتوقع العذاب ، مثل حادثة الأسرى في غزوة بدر التي نزل فيها

قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (١) لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿ (٢) .

فلو كان الأخذ من عند الله فمستحيل أن يقول لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم ، وإن كان الأخذ بهوى النفس فهو مستحيل ، وإن كان باجتهاد فهذا هو المطلوب (٣) .

٦ - قوله تعالى : ﴿ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ ﴾ (٤) .

فلو أن الرسول صلى الله عليه وسلم عفا عنهم بالنص لما عاتبه الله .

٧ - نزول الرسول صلى الله عليه وسلم في معركة بدر متزلا للحرب فقليل له إن كان بوحى فسمعا وطاعة ، وإن كان باجتهاد ورأي فهو متزل مكيدة ، فقال : بل اجتهد ورأي ، فرحل حيث أشار إليه أبو لبابة رضي الله عنه أن يتزل عند بئر بدر فيشرب المسلمون ولا يشرب المشركون (٥) .

هذه بعض أدلة من قال إن الاجتهاد يجوز للأنبياء وإنهم اجتهدوا فعلا وهو المذهب الموافق لصريح القرآن ، وهو الصواب ، والله أعلم .

(١) سورة الأنفال : آية ٦٧ - ٦٨ .

(٢) تفسير مفاتيح الغيب/ للرازي ، ج ٦ / ١٣٧ ، تفسير البيضاوي بحاشية شيخ زاده ، ج ٢ / ٣٥٩ .

(٣) سورة التوبة : آية ٤٣ .

(٤) السيرة النبوية / لابن هشام ج ٢ ص ٢٦٠ باختصار .

الخلاصة :

أرى والله أعلم أن داود عليه السلام لم يخطئ في حكمه في قضية الحرث ، فكان حكمه بناء على ما جاء في توراة موسى والتي ما زال بها أثر وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون ، فقد جاء في الأسفار اليهودية : [إذا رعى إنسان حقلا أو كرما وسرح مواشيه فرعت في حقل غيره فمن أجود حقله أو كرمه يعوض ، إذا خرجت نار وأصابت شوكا فاحترقت أكداس زرع أو حقل فالذي أوقد الوقيد يعوض]^(١) .

ويوضح ذلك ما قاله صاحب السنن القويم : (إذا رعى إنسان حقلا ، وهو الإضرار بإتلاف المزروعات ، ولم يذكر من ذلك سوى نوعين لكن ما ذكره من الجزاء يقاس عليه في سائر أنواع الأضرار ، فالأضرار غير المقصودة الناشئة عن امتداد النار من حقل أحد الناس إلى جاره جزاؤه مقدار قيمة الخسارة ، لكن الإضرار المقصود بذلك جزاؤه أعظم من المقدار المساوي وهو التعويض عما خسره بعد حساب قيمته من أحسن حاصلات المضر والتي فيها هذا الحكم الباقي إلى الآن)^(٢) .

وبهذا نرى أن داود عليه السلام لم يخطئ في الحكم ، وحكم بالضمان على صاحب الغنم ولكن اختلف شكل الضمان فيما ذهب إليه داود عليه السلام وهو عين العدل . ولكن ما ذهب إليه سليمان عليه السلام هو العدل والرحمة فصاحب الغنم قد لا يستفيد من الأرض والزراعة لأنه لا علم له بها ، وكذلك صاحب الزرع لا علم له بالرعي وأحواله ، فقد يفسد عليه ماله ، فكان حكم سليمان هو الأطيب للنفس والأعدل والأرحم والله أعلم .

(١) سفر الخروج (٢٢ : ٥-٦) .
(٢) السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم ، ج ١ ، ص ٤٢١ .

ثانيا : قصة الخصمين :

لقد ذكرنا حكومة داود عليه السلام في الحث ، وهذه أيضا خصومة ثانية يذكرها القرآن الكريم واقعة بين شركاء في نجاج يريد أحدهما كثير النجاج أن يأخذ نعمة شريكه وينهي الشركة بينهما فرفض صاحب النعمة الواحدة فتخاصما إلى داود عليه السلام . قال تعالى : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ۖ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَخَكُمُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشَاطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ۖ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ۖ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْتَغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۖ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۗ فَعَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ ۖ ۝۱۷ ۖ ﴾ .

مناسبة الآية لما قبلها :

سورة (ص) من السور المكية التي تثبت العقيدة وتدعو إلى التوحيد وكثير من السور المكية امتازت بتخفيف الأسى والحزن عن كاهل الرسول صلى الله عليه وسلم بذكر ما أصاب إخوانه من الأنبياء والمرسلين من قبله وما لاقوه من أقوامهم في سبيل الدعوة من إنكار للنبوة وتكذيب للأنبياء واتهامهم بالسحر ، قال تعالى : ﴿ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ۖ ۝۱۷ ﴾ ، لذلك أمر الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم في - مقام تثبيته وتسليته مما يلقاه من عنت المشركين واستهزائهم به وبدعوته - بالصبر على ما يسمعه من أعدائه الكافرين ومن تقول عليه بالكذب والبهتان واستعجالهم نزول العذاب عليهم في الدنيا ، وأمره بذكر داود عليه السلام في سيرته وحياته مع قومه بني إسرائيل وصبره عليهم في سبيل نشر دعوته قال تعالى : ﴿ أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَادْخُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۖ ۝۱۸ ﴾ ، وفي ذكر داود عليه السلام باسم العبد مضافا إلى الله تعالى بنون العظمة في قوله : ﴿ وَادْخُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ۖ ۝۱۹ ﴾ تنويه بشأنه عليه السلام وإشادة بمكانته عند ربه عز وجل إذ ليس في مقامات القرب من الله تعالى أقرب إليه تعالى من مقام العبودية ، ولذلك لما ذكر الله تعالى سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم

(١) سورة ص لية ٢١-٢٥ .

(٢) سورة ص : آية ٤ .

(٣) سورة ص : لية ١٧ .

في أعز المقامات وأقربها إليه قال عز شأنه ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ (١).

ويفهم من مقام وصف الله عز وجل لنبيه داود عليه السلام بالعبودية ، أنه قد ارتقى أعظم مراتب الكمال الإنساني وأسمى غايات التشريف والرفعة ، وما تشريف الله لنبيه داود عليه السلام في هذه القصة إلا دليل قاطع على ما وصل إليه من الإخلاص في العبادة التي تضفي النفس الإنسانية وتسمو بها إلى مراتب الكمال وتجعل صاحبها مغمورا في مشاهدة عظمة المعبود ، وإذا ما وصل العبد إلى مثل هذه الدرجة العليا وقلبه مستغرق في مشاهدة عظمة المولى فأنى يتسلط عليه الشيطان أو يوسوس له فيغريه على ارتكاب الفحشاء ، - وحاشا لأنبياء الله ذلك - .

ثم أثنى الله تعالى على عبده داود عليه السلام وذكر ما من به عليه من تسخير الجبال والطير معه بالتسبيح بلسان المقال وما منحه إياه من القوة الدينية والدينية وشد ملكه وتقويته بالحفظ والرعاية وإيتائه الحكمة وفصل الخطاب (٢).

ومع هذا الثناء والتشريف لنبي الله داود - عليه السلام - لاجتهاده في العبادة والطاعة ، ومع ذلك فإنه لم يسلم من أذى قومه بالافتراء عليه والظعن في نبوته عن طريق نفى العصمة عنه ، لا بل واتهاماتهم له بأفطع الذنوب والكبائر والعياذ بالله ، وهذا ما فهمته من مناسبة آيات القصة لما قبلها والله أعلم.

(١) سورة الإسراء آية ١.

(٢) نظم الدرر للبقاعي ، ج ١٦ ، ص ٣٩٥-٣٩٨ ، التفسير الموضوعي للقرآن ، د. أحمد جمال العمري ، ص ٣٠٧-٣٣٣ ، باختصار وتصرف .

والآيات تقص علينا قصة داود عليه السلام مع الخصمين :

فالخصمان تسورا على داود عليه السلام المحراب حال هدوئه في العبادة والتفكير في جلال الله تعالى وعظمته وتلاوته آيات الزبور ، فدخلوا عليه من فوق الجدران فلما رآهما فزع لأن هذه الطريقة التي سلكاها في الدخول عليه توحى في أعراف الناس بشر يقع من وراء ذلك التسور، ومن هنا كان فزع داود عليه السلام فبادرا حينما رآيا عليه آثار الفزع بقولهما : ﴿ لَا تَخَفْ ۖ تَطْمِئِنَّا لَهُ وَإِزَالَةَ مَا اعْتَرَاهُ مِنْ أَثَرِ ذَلِكَ التَّسُورِ ، وَزَادَ فِي تَطْمِئِنَهُمَا لَهُ أَنَّهُمَا دَخَلَا فِي قَضِيَّتِهَا دُونَ مَقْدَمَاتٍ فَقَالَا : ﴿ خَصْمَانِ بَعَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ لِيُشْعِرَاهُمَا بِمَا جَاءَهُمَا لِلتَّقَاضِي عِنْدَهُ فَقَالَا : ﴿ فَأَحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَأَهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ ۖ ۝ ثُمَّ عَرَضَا عَلَيْهِ قَضِيَّتَهُمَا فَبَدَأَ الْمُدْعَىٰ كَمَا هُوَ شَأْنُ الْقَضَاةِ أَنْ يَسْمَعَ كَلَامَ الْمُدْعَىٰ أَوَّلًا ، ثُمَّ كَلَامَ الْمُدْعَىٰ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ لَهُ رَدٌّ عَلَىٰ كَلَامِ الْمُدْعَىٰ . وَقد ذكر المدعي حقيقة القضية بقوله : ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ۖ ۝ وَالْمُدْعَىٰ عَلَيْهِ يَسْمَعُ كَلَامَ الْمُدْعَىٰ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ بِشَيْءٍ يَرُدُّ بِهِ كَلَامَ الْمُدْعَىٰ ، فَكَانَ سَكُوتُهُ عَلَىٰ ذَلِكَ إِقْرَارًا مِنْهُ بِمَا قَالَهُ الْمُدْعَىٰ وَالْإِقْرَارُ مِنْ أَقْوَىٰ الْبَيِّنَاتِ .

وفي التعبير بقوله : ﴿ أَخِي ۖ ﴾ بيان لتصوير ما بينهما من الأخوة الدالة على التراحم والتعاطف مما يوجد الود والمحبة لا النفرة والكراهية والبغى . وقد يرشح ذلك التعبير بقوله : ﴿ أَكْفِلْنِيهَا ۖ ﴾ الذي يراد به الضم مع الضمان والحفظ ولا يراد به التعدي بالملكية . فكأن المدعى عليه أراد أن يفرغ أخاه عن الاشتغال برعي شاة واحدة ليتفرغ لمهام أخرى تنفعه في الدنيا والآخرة ويكفل له الشاة مضمونة محفوظة بيد أن صاحب النعجة أبى إلا أن يشتغل بنعجته لتعلق له بها يراه خيرا من أن يكفلها له أخوه . وعندئذ رأى نبي الله داود عليه السلام أن القضية قد استوفت عناصر تحقيقها فحكم بينهما بقوله موجها الكلام إلى المدعي : ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجِكَ إِلَىٰ نَعَاجِهِ ۖ ﴾ فكان هذا حكما بينهما ارتضياه وأذهب ما كان متوقعا من شدة الخصومة التي لا يدري ما تؤول إليه لو لم يصدر في القضية حكم يقطعها .

وتخفيفا لوقع الحكم عليهما بين داود عليه السلام لهما أن مما يكاد أن يكون عادة للخلطاء أن يقع بينهم التحالف وبغى بعضهم على بعض فقال : ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۖ ﴾ بيد أن الخلطاء الذين عمر الإيمان بالله قلوبهم وصحت أعمالهم مبرأون مما يبغى به

الخطاء على بعضهم بعضا ولكن هؤلاء الصفوة الذين لا تغريهم الدنيا بما فيها من زخرف قلة في هذه الحياة الدنيا وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ ثم تفضل الله تعالى على عبده داود عليه السلام بنعمة الغفران بأسلوب التعقيب المفاد بالفاء للدلالة على حفاوة الله تعالى بعبده داود عليه السلام: ﴿فَعَقَرْنَا لَهُ ذَاكَ﴾ ، وقوله: ﴿ذَلِكَ﴾ يعود فيه اسم الإشارة إلى ما ظنه داود عليه السلام من فتنة الله تعالى له بتحييب العبادة إليه وخلوته إلى نفسه واعتزاله مجتمعه وأمته في هذا اليوم إرضاء لرغبة نفسه في حبه لعبادة ربه وقد جاء هذا المعنى في تفسير ابن جرير الطبري قال: "إن داود عليه السلام جزأ الدهر أربعة أجزاء يوما لنسائه ويوما لعبادته ويوما للقضاء بين بني إسرائيل" ولم يذكر الرابع .

ولا شك أن في انقطاعه للعبادة يوما كاملا عن أمته وإخلائه بنفسه ذلك اليوم كله يؤدي حتما إلى ترك النظر ذلك اليوم في أمر رعيته وأمته التي استودعه الله عز وجل رعاية مصالحها فجاءه مثال من حاجتها إليه في كل وقت ليقوم بإصلاح ذات بينها وإقرار التراحم والتآخي بين أفرادها حتى يكونوا على هدى من ربهم كما يدل عليه قول الخصمين: ﴿وَأَهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ ، ثم أثنى الله تعالى على داود عليه السلام ثناء مستطابا ومدحه مدحا يليق بعبوديته لله سبحانه بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ﴾ أي له عندنا قربى قريبة وحسن رجوع إلينا .

ثم يبين الله تعالى لداود عليه السلام مهمته في هذه الحياة الدنيا باعتباره ملكا على بني إسرائيل ، ونبيا مرسلا إذ الملك يقتضي خلافته لله تعالى في الأرض بالنظر في مصالح رعيته والحكم بينهم بالعدل وفصل قضاياهم بما يدفع الظلم والبغي عن ضعفائهم إذا حاوله أقويائهم ، وذلك لا يتم على الوجه المطلوب إلا إذا وضع نفسه قريبا منهم في كل آن ، فقال تعالى: ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾^(١) .

فأخبره بأنه جعله خليفته في الأرض وأمره بالحكم بين الناس والفصل في قضاياهم بالحق ، والنبوة تقود الملك وتحرسه من طغيان مطالب الدنيا إلى سبيل الحق والعدل وتسلك به مسالك الطهر والتزام الهدى ، قال أبو حيان : وجعله تعالى داود خليفة في الأرض يدل على مكانته عليه السلام واصطفائه له ويدفع في صدر من نسب إليه شيئا مما لا يليق بمنصب النبوة^(٢) .

(١) سورة ص : آية ٢٦ .

(٢) تفسير البحر المحيط/ لأبي حيان الأندلسي ، ج ٧ ص ٣٩٤ .

﴿فَعَفَّرْنَا لَهُ﴾ ، قال السيوطي : قال تقي الدين السبكي : تكلم الناس في قصة داود وأكثروا وذلك مشهور جدا ، وذكروا أمورا منها ما هو منكر عند العلماء ومنها ما ارتضاه بعضهم وهو عندي منكر ، وتأملت القرآن فظهر لي وجه خلاف ذلك كله فإني نظرت قوله تعالى : ﴿فَعَفَّرْنَا لَهُ ذَلِكَ﴾ ، فوجدته يقتضي أن المغفور في الآية يعني للإشارة بذلك فطلبته فوجدته أحد ثلاثة أمور : إما ظنه ، وإما اشتغاله بالحكم عن العبادة ، وإما اشتغاله بالعبادة عن الحكم كما أشعر به قوله تعالى : ﴿فِي الْمِحْرَابِ﴾ ، وذلك أنه صح عن نبينا صلى الله عليه وسلم أن داود أعبد البشر فكأن داود انقطع ذلك اليوم في المحراب للعبادة الخاصة بينه وبين الله فجاءت الخصوم ولم يجدوا إليه طريقا فتسوروا إليه وليسوا ملائكة ولا ضرب به مثل وإنما هم قوم تخاصموا في نعاج على ظاهر الآية ، فلما وصلوا إليه حكم بينهم ثم من شدة خوفا وكثرة عبادته خاف أن يكون الله امتحنه بذلك إما لاشتغاله عن الحكم بالعبادة ذلك اليوم ، وإما لاشتغاله عن العبادة بالحكم تلك اللحظة فظن أن الله فتنه ، أي امتحنه واختبره هل يترك الحكم للعبادة أو العبادة للحكم ، فاستغفر ربه ، فاستغفاره لأحد هذه الأمرين المظنونين ، أعني تعلق الظن بأحدهما ، قال تعالى : ﴿فَعَفَّرْنَا لَهُ ذَلِكَ﴾ ، فاحتمل المغفور أحد هذين الأمرين واحتمل ثالثا وهو ظنه وإن يكون الله لم يرد فتنته وإنما أراد إظهار كرامته .

وانظر قوله : ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ﴾ كيف يقتضي رفعة قدره وقوله ﴿يَلْدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ يقتضي ذلك ، ويقتضي ترجيح الحكم على العبادة وعلى أي وجه من الأوجه الثلاثة حملته حصل تزيه داود عليه السلام مما يقوله القصاص^(١) .

(١) الإكليل في استنباط التنزيل للسيوطي ، ص ١٨٤ - ١٨٥ ، مطابع دار الكتاب العربي بالقاهرة ، وكذلك الإكليل في استنباط التنزيل للسيوطي ، دراسة وتحقيق د. عامر عرابي ، ١٤١٦هـ ، ج ٣ ، ص ٨٤٨ - ٨٥١ ، باختصار ، رسالة دكتوراه ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة .

رد الشبهات الواردة في بعض التفاسير :

خاضت بعض التفاسير حول هذه الفتنة خوفاً كبيراً تنتزه عنه طبيعة النبوة ولا يتفق إطلاقاً مع حقيقتها حتى الروايات التي حاولت تخفيف تلك الأساطير سارت معها أشواطاً وهي لا تصلح للنظر من الأساس ، ولا تتفق مع العصمة التي يجب أن تؤمن بها للأنبياء ، ولا تتفق مع قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ ۖ ﴾ ، وللمفسرين في هذه القصة ثلاثة أقوال :

١ - ذكر هذه القصة على وجه يدل على جواز صدور الكبيرة من الأنبياء .

٢ - من نسب إلى الأنبياء الصغيرة .

٣ - من نفى عنهم الكبيرة والصغيرة .

وسأعرض لهذه الأقوال وأناقشها على ضوء النقل الصحيح ومسلمات العقل السليم ، وأرجح أقوى الأدلة التي لا تتنافى مع عصمة النبوة .

١ - القول الأول :

ما رواه الطبري في تفسيره : قال إن داود قال : يا رب قد أعطيت إبراهيم وإسحاق ويعقوب من الذكر ما لوددت أنك أعطيتني مثله ، قال الله : إني ابتليتهم بما لم أبتلك به فإن شئت ابتليتك بمثل ما ابتليتهم به وأعطيتك كما أعطيتهم ؟ قال : نعم . قال : فاعمل حتى أرى بلاءك فكان ما شاء الله أن يكون وطال ذلك عليه فكاد أن ينساه ، فبينما هو في محرابه إذ وقعت عليه حمامة من ذهب فأراد أن يأخذها فطارت إلى كوة المحراب ، فذهب ليأخذها فطارت فاطلع من الكوة فرأى امرأة تغتسل فنزل نبي الله من المحراب فأرسل إليها فجاءته ، فسألها عن زوجها وعن شأنها فأخبرته أن زوجها غائب فكتب إلى أمير تلك السرية أن يؤمره على السرايا ليهلك زوجها ، ففعل فكان يصاب أصحابه وينجو وربما نصرُوا ، وأن الله عز وجل لما رأى الذي وقع فيه داود أراد أن يستنقذه ، فبينما داود في محرابه إذ تسور عليه الخصمان من قبل وجهه فلما رآهما وهو يقرأ فزع وسكت وقال : لقد استضعفت في ملكي حتى إن الناس يتسورون علي محرابي ، قالوا له : لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض ولم يكن لنا بد من أن نأتيك ، فاسمع منا . قال أحدهما : إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة أثني ولي نعجة واحدة ، فقال : أكفلنيها يريد أن يتم بها مائة ، ويتركني ليس لي شيء وعزني في الخطاب ، قال إن دعوت دعاء كان أكثر ، وإن بطشت وبطش كان أشد مني فذلك قوله وعزني في الخطاب .

قال له داود : أنت كنت أحوج إلى نِعجتك منه ، لقد ظلمك بسؤال نِعجتك إلى نِعاجه إلى قوله وقليل ما هم ، ونسي نفسه فنظر الملكان أحدهما إلى الآخر حين قال ذلك فتبسّم أحدهما إلى الآخر فرآه داود ، وظن أنما فتن فاستغفر ربه وخر راکعاً وأنان أربعين ليلة حتى نبتت الخضرة من دموع عينيه ثم شد الله له ملكه .

وذكر ابن جرير كذلك سببا آخر للبلاء الذي ابتلي به نبي الله داود عليه السلام ، فبالإضافة إلى السبب الأول وهو طلب الذكر ثم الابتلاء كأجداده إبراهيم وإسحاق ويعقوب يذكر سببا ثانيًا وهو : أن داود جزأ الدهر أربعة أجزاء يوما لنسائه ، ويوما لعبادته ، ويوما لقضاء بني إسرائيل - ولم يذكر اليوم الرابع - يذاكرهم ويذاكرونه ويبيكهم ويبكونه ، فلما كان يوم بني إسرائيل ذكروا فقالوا : هل يأتي على الإنسان يوم لا يصيب فيه ذنبا فأضمر داود نفسه أنه سيطيق ذلك ، فلما كان يوم عبادته أغلق أبوابه وأمر أن لا يدخل عليه أحد وأكب على التوراة فبينما هو يقرأها فإذا حمامة من ذهب .. القصة .

السبب الثالث : اجتمعت بنو إسرائيل على داود ، وأنزل الله عليه الزبور وعلمه صنعة الحديد فألانه له وأمر الجبال والطير يسبحن معه إذا سبح ، ولم يعط الله - فيما يذكرون - أحدا من خلقه مثل صوته ، كان إذا قرأ الزبور - فيما يذكرونه - تدنو له الوحوش حتى يأخذ بأعناقها وإنها لمصغية تسمع لصوته وما صنعت الشياطين المزامير والبرابط والصنوج إلا على أصناف صوته ، وكان شديد الاجتهاد دائب العبادة فأقام في بني إسرائيل يحكم فيهم بأمر الله نبيا مستخلفا ، وكان شديد الاجتهاد كثير البكاء .

وكان له محراب يتوحد فيه لتلاوة الزبور ولصلاته إذا صلى ، وكان أسفل منه جنية ، وفي ذلك اليوم قال لا يدخلن علي محرابي اليوم أحد حتى الليل ولا يشغلني شيء عما خلوت له حتى أمسي ، ودخل محرابه ونشر زبوره يقرأه وفي المحراب كوة تطلعه على تلك الجنية ، فبينما هو جالس يقرأ زبوره إذ أقبلت حمامة من ذهب حتى وقعت في الكوة فرفع رأسه فرآها فأعجبته ثم ذكر ما قال : لا يشغله شيء عما دخل له فنكس رأسه وأقبل على زبوره ، فتصوبت الحمامة للبلاء والاختبار من الكوة فوقعت بين يديه فتناولها بيده فاستأخرت غير بعيد ، فأتبعها فنهضت إلى الكوة فتناولها من الكوة فتصوبت إلى الجنية فأتبعه بصره أين تقع فإذا المرأة .. (١) .

(١) تفسير الطبري ، ج ٢٣ ، ص ٩٢-٩٦ ، باختصار

ورد صاحب الكشف على هذه الفرية بثلاثة وجوه :

١- الأثر المروي :

عن سعيد بن المسيب والحارث الأعور أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : (من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلده مائة وستين وهو حد الفرية على الأنبياء) .

٢- استنكار التابعين :

روي أنه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من أهل الحق فكذب المحدث به وقلل : إن كانت القصة على ما في كتاب الله فما ينبغي أن يلتمس خلافها وأعظم بأن يقال غير ذلك وإن كانت على غير ما ذكرت وكف الله عنها سترًا على نبيه فما ينبغي إظهارها ، فقال عمر : لسماعي هذا الكلام أحب إلي مما طلعت عليه الشمس ^(١) .

٣- الوجه العقلي :

إن اتهام نبي من أنبياء الله بقتل مجاهد في سبيل الله لينال زوجته مما ليقبح أن يحدث به عن بعض المتسمين بالصلاح من أمناء المسلمين فضلًا عن بعض أعلام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

الرد على القصة بتفنيد السند :

لم تثبت القصة عن النبي - صلى الله عليه وسلم - بحديث يجب اتباعه ولم يذكرها أحد أصحاب كتب الحديث الستة والقصة أسندها الطبري إلى ابن عباس موقوفًا من طريق عطية العوفي وهو ضعيف ^(٢) .

وذكر السيوطي في الإكليل قوله ^(٣) : قلت والقصة التي يحكونها في شأن المرأة أنها أعجبت به وأنه أرسل زوجها مع البعث حتى قتل أخرجها ابن أبي حاتم من حديث أنس مرفوعًا وفي إسناده ابن لهيعة وحاله معروف ^(٤) عن أبي صخر عن يزيد الرقاش وهو ضعيف ^(٥) .

(١) الكشف للخوازمي ، ج ٣ ، ص ٣٦٦ .

(٢) عصمة الأنبياء ، لأبي النور الحديدي ، ص ٣٥٣ - ص ٣٥٤ ، بتصريف .

(٣) الإكليل في استنباط التنزيل ، ج ٣ ، ص ٨٥٠ - ص ٨٥١ ، دراسة وتحقيق عامر عربي .

(٤) ابن لهيعة ، ضعيف ، انظر في الضعفاء للبخاري .

(٥) انظر تفسير ابن كثير ، ج ٤ ، ص ٣١ ، ط دار إحياء الكتب العربية ، وفي تهذيب التهذيب لابن حجر ، ج ١١ ، ص ٣٠٩ ، قال فيه النسائي والحاكم إنه متروك الحديث ، وقال فيه ابن حبان : إنه كان من خيار عباد الله من البكاكين بالليل ، غفل عن حفظ الحديث شغلًا بالعبادة حتى كان يقلب كلام الحسن يجعله عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فلا تحل الرواية عنه إلا من جهة التعجب .

تفنيذ المتن :

إن هذه القصة تضمنت نسبة الكبائر من الذنوب والمعاصي لداود عليه السلام وهي :

١- نظره إلى زوجة رجل آخر .

٢- حسده الرجل على زوجته والرغبة فيها لنفسه .

٣- الاحتيال لقتل زوجها حتى قتل بغير حق .

وقد ذكرنا الأدلة العقلية والنقلية على عصمة الأنبياء من الكبائر في فصل العصمة مما يحكم بالبطلان على أي قصة تتضمن وقوع كبيرة من أحدهم .

والآيات الكريمة السابقة لقصة الخصمين واللاحقة بهذه القصة تقضي لداود عليه السلام بالبراءة مما نسب إليه مما لا يليق بمقام النبوة الشريف من عدة وجوه نذكرها فيما يلي :

أ- إن الله تعالى مدح داود عليه السلام قبل قصة الخصمين اللذين تسورا المحراب بأوصاف حميدة لا يتناسب معها صدور هذه المعصية منه وذلك قوله تعالى : ﴿ أَصْبَرَ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَأَذْكُرَ

عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾

وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ١٧

وجمعها الرازي في تفسيره بعشر صفات نختصرها فيما يلي (١) :

١- الصبر .

٢- العبودية الكاملة لله تعالى .

٣- القوة في الطاعة .

٤- كثرة الرجوع إلى الله .

٥- تسخير الجبال معه يسبحن .

٦- تسبيح الطير معه .

٧- استرجاع الطير معه والجبال .

٨- تقوية ملكه عليه السلام .

٩- الحكمة .

١٠- فصل الخطاب .

(١) سورة ص : آية ٢٠ .

(٢) مفاتيح الغيب/ للرازي ، ج ٢٣ ص ١٨٤ - ص ١٨٧ ، باختصار .

ب- أنه قبل ذكر نبأ الخصم أمر الله نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم أن يصبر على ما يفتره عليه كفار مكة وأن يقتدي بدادود وغيره من الرسل في الصبر على مشاق تبليغ الدعوة : ﴿ أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ﴾ ، ولو أن داود عليه السلام ارتكب الكبائر لما كان من الحكمة أمر نبينا صلى الله عليه وسلم بالاعتداء به في الصبر إذ كيف يقتدي في الصبر بمن لم يصبر على المعصية .

ج- أنه لو صحت هذه الحادثة يكون داود عليه السلام باحتياله على قتل جنديه أوريا قاتلا له ، ولو كان هذا لندم داود واستغفر منه ، والقرآن لم يحك له استغفارا من قتل أوريا وإنما استغفاره - على فرض صحة هذه الحادثة - من الاستيلاء على زوجته فهل يترك الاستغفار من الذنب الأشد ويستغفر مما هو أقل منه ؟!

د- ما ذكر بعد قصة نبأ الخصم يدل على براءة ساحة داود عليه السلام مما نسب إليه في هذه القصة ، إذ إن داود قال : ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْتَغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ فاستثنى الذين آمنوا عن البغي ولو كان مرتكبا لما ذكرته القصة لكان باغيا فيلزمه الحكم على نفسه بعدم الإيمان - أو نقضه - ولا يجوز هذا على نبي .

هـ- قبل هذه القصة وجدت صفات مدح وبعدها ختمت بصفات مدح قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ ﴾ ، فكيف يختلط الذم بالمدح في قصة واحدة - لو صحت - فهذا لا يتفق مع ما عرف من القرآن الكريم من حسن الترتيب وروعة التنسيق ^(١) .

التعليق :

لقد نقلت هذه القصة بعض التفاسير القديمة دون إظهار بطلانها وأنها موضوعة ، وأشهر هؤلاء المفسرين الذين دونوا هذه القصة في تفاسيرهم ابن جرير الطبري ^(٢) ، دون مناقشة لها ، ولا إبداء رأي في تفنيدها وبيان سقمها وكذبها ولكنه - رحمه الله - أسند الروايات بالأسانيد إلى أصحابها وكأنه يعني بذلك تبرئة ذمته من هذه القصص ، فقد نقل هذه القصة بالإسناد

(١) تفسير مفاتيح الغيب للرازي باختصار ، ج ٢٣ ص ١٨٩-١٩٦ ، عصمة الأنبياء للحديدي ، ص ٣٥٤-٣٥٧ ، باختصار .

(٢) وقد وافق الطبري في النقل الواحد في تفسيره الوسيط بين الوجيز والبسيط وكذلك تفسير مقاتل بن سليمان الثالث من تفسيره ورقة

(١٩٦) مخطوطة غير كاملة في مكتبة الأزهر تحت رقم (٥١٦) ، ١٠٦٠٨ ، وكذلك الثوري في تفسيره ، ص ٢١٦ ، مطبعة الهند .

وتابعهم البغوي والثعالبي ساقها بدون تعليق ، ج ٦ ، ص ٤٨ .

إلى ابن عباس رضي الله عنهما ، وهذه القصة من عبارتها ، وفحواها يعلم أنها مكذوبة ولا أصل لها قطعاً حيث إن داود عليه السلام أراد أن يبتليه الله ببلاء يزيد في ثوابه ويرفع فيه من منقبتيه ، إذن فكيف يليق بمن صفته - معاذ الله - العشق والغرام المحرم وقتل النفس الزكية البريئة برفع الدرجات والتقرب إلى الله ؟ ، سبحانك اللهم هذا بهتان عظيم* !!! .

وهناك من جوز نسبة صفات الذنوب للأنبياء واختلفت أقوالهم كما يلي :

القول الأول :

من نسب للأنبياء الصغيرة كصاحب الكشاف^(١) والقرطبي^(٢) والقاضي عياض^(٣) .

قال الزمخشري :

كان أهل زمان داود عليه السلام يسأل بعضهم بعضاً أن ينزل له عن امرأته فيتزوجها إذا أعجبتهم ، وكانت لهم عادة في المواساة بذلك قد اعتادوها ، وقد روي أن الأنصار كانوا يواسون المهاجرين بمثل ذلك ، فاتفق أن عين داود وقعت على امرأة رجل يقال له أوريا ، فأحبها فسأله النزول له عنها فاستحيا أن يرده ففعل فتزوجها وهي أم سليمان ، فقليل له إنك مع عظم منزلتك وارتفاع مرتبتك وكبر شأنك وكثرة نسائك لم يكن ينبغي لك أن تسأل رجلاً ليس له إلا امرأة واحدة النزول بل كان الواجب عليك مغالبة هواك وقهر نفسك والصبر على ما امتحنت به .

القول الثاني :

قليل خطبها ثم خطبها داود فأثره أهلها فكان ذنبه أن خطب على خطبة أخيه المؤمن مع كثرة نسائه^(٤) .

القول الثالث :

أن داود عليه السلام أحب بقلبه استشهاد الرجل ليتزوج بامرأته لا أنه صرح به وباشر أسبابه^(٥) .

* مقاتل بن سليمان الخراساني تعرض لنقد شديد من علماء الجرح والتعديل ووجهت إليه تهم عديدة منها الوضع والكذب ، وقال البخاري إنه منكر الحديث ، وقال النسائي الكذابون المعروفون بوضع الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة ، إبراهيم بن يحيى بالمدينة ، والواقدي ببغداد ، ومقاتل بخراسان ، ومحمد بن سعيد بالشام ، أنظر تهذيب التهذيب لابن حجر ، ج ١ ، ص ٢٨١ ، طبعة ١٣٢٧ هـ ، بالهند .

(١) الكشاف للزمخشري ، ج ٣ ، ص ٣٦٦ .

(٢) تفسير القرطبي ، ج ٢٣ ، ص ٩١ .

(٣) الشفا ، للقاضي عياض ، ج ٢ ، ص ١٥٨ .

(٤) الكشاف للزمخشري ، ج ٣ ، ص ٣٦٥ - ص ٣٦٦ .

(٥) الجامع لأحكام القرآن للطبري ، ج ٦ ، ص ٦٢٠ ، تفسير القرطبي ج ٣ ، ص ٩٧ ، بتصرف .

القول الرابع :

أنه كان في شريعة داود عليه السلام أن الرجل إذا مات وخلف امرأة فأولياؤه أحق بها إلا أن يرغبوا عن الزوج بها ، فلما قتل "أوريا" خطب داود عليه السلام امرأته ظاناً أن أولياؤه يرغبوا عنها ، فلما سمعوا بخطبة داود لها وكانوا لم يرغبوا عنها في واقع الأمر منعتهم هيئته أن يخطبوها^(١) .

وأرى ضعف هذه الأقوال للأسباب الآتية :

- ١- أن الله ملأ قلوب الأنبياء عليهم السلام غنى وقناعة بما عندهم فلا يصح أن ينسب إلى داود عليه السلام الطمع في زوجة رجل ليس له غيرها ويضمها إلى ما عنده من نسائه ، فالأنبياء يستحيون من ربهم أن يراهم طامعين في الدنيا ويستحيون كذلك من الناس ، حيث هو قدوة لهم .
- ٢- من قال إنه يجوز طلب التنازل عن الزوجة مشروع عندهم يلزمه الدليل .
- ٣- لم يصح رفع هذا القول إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وإن ما نسب إلى الصحابين الجليلين ابن عباس^(٢) وابن مسعود رضي الله عنهما ، ليس مستنداً إلى نص من القرآن صريح أو حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم مرفوع فلم يبق إذن إلا أنهما نقلاه عن بعض أهل الكتاب أو أنه اجتهاد خاص منهما ، وهذا وذاك لا يكفي في موضوع له خطره كعصمة الأنبياء .
- ٤- أن تأييد هذا القول بأنه له نظير من حال الأنصار في عرض بعضهم التنازل عن زوجاتهم للمهاجرين كما حدث من سعد بن الربيع لعبد الرحمن بن عوف فلم يرض عبد الرحمن ابن عوف فلا يصح أن يكون صنيع غير الأنبياء أكرم ونفوسهم أسمى من صنيع الأنبياء أنفسهم .
- ٥- أن خطبته على خطبة أخيه غير جائزة وفيها إضرار به وتعد على حقه ولا يباح شرعاً إيذاء المؤمن للمؤمن وتعديه على حقوقه .
- ٦- أن داود أحب بقلبه ولم يصرح بحبة القلب لا يعلمها إلا الله ولا يعلمها أحد غيره ، فما دام داود لم يصرح بذلك فمن أين عرفها أصحاب هذا القول ؟

(١) تفسير روح المعاني للألوسي ، ج ٧ ، ص ٣٤٥ .
(٢) حكاة القاضي عياض عن ابن عباس ، وابن مسعود في كتابه الشفاء ، وقال: هذا الذي ينبغي أن يعول عليه من أمره ، الشفاء ، ج ٢ ص ١٥٨ .

- ٧- أن قوله : ﴿ فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴾ يفيد أن صاحب التسع والتسعين نعمة طلب من صاحب الواحدة أن يتزل له عنها ثم لم يكتف بمجرد الطلب بل حاحه في ذلك وغلبه فيه ، فكيف يعبر عن مجرد الميل القلبي بألفاظ تفيد الطلب والإلحاح والمحااجة والمغالبة
- ٨- الرد على القول الرابع : من أين لأصحاب هذا القول العلم بأن ما ذكروه كان في شريعة داود عليه السلام ولا نص على ذلك في الكتاب ولا في السنة ؟
- كما أنه يبعد من مثل داود عليه السلام هذا الظن إذ يمكنه أن يقطعه باليقين ويسأل أولياء زوجها الذين هم أحق بها أو يبعث من يسأل له عن ذلك ^(١) .
- ٩- وأرى أن قصة امرأة أوريا والنظر إليها ومحاولة زواجها باطلة من أساسها ، فما بني عليها باطل أيضا ، لأن الأنبياء لهم شيم وذمم ونفوسهم عالية لا تجنح إلى ما يخل بكرامة الإنسان ومروءته - والله أعلم .

القول الثالث : مجموعة من الأقوال تتفق في أنها تنفي عن داود عليه السلام المعصية الكبيرة والصغيرة وهي :

- ١- قال صاحب البحر المحيط في تفسيره : (والذي نذهب إليه ودل عليه ظاهر الآية من أن المتسورين المحراب كانوا من الإنس دخلوا عليه من غير المدخل وفي غير جلوسه للحكم وأنه فزع منهم ظانا أنهم يغتالونه إذ كان منفردا في محرابه لعبادة ربه ، فلما اتضح له أنهم جاءوا في حكومة وبرز منهم اثنان للتحاكم كما قص الله تعالى ، وأن داود عليه السلام ظن دخولهم عليه كان في ذلك الوقت وفي تلك الجهة إنقاذا من الله له أن يغتالوه ، فلم يقع ما كان ظنه فاستغفر ربه من ذلك الظن فغفر الله له ، ولم يتقدم سوى قوله تعالى : ﴿ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ ^(٢) .
- ويعلم قطعاً أن الأنبياء معصومون من الخطايا ولا يمكن وقوعهم في شيء منها ^(٣) .
- ٢- وما قاله الرازي في تفسيره من أن سيدنا داود عليه السلام (كان رسولا وملكا وكان له أتباع وخدم ، وله مصالح مادية مع الناس وهذا كله يوجد له أعداء ، واتفق أن جماعة من الأعداء طمعوا في أن يقتلوه ^(٤) .

(١) عصمة الأنبياء/ للحيدري باختصار ، ص ٣٥٧-٣٦٣ ، باختصار وتصرف .

(٢) سورة ص آية ٢٤ .

(٣) البحر المحيط/ للأندلسي ج ٧ ، ص ٣٩٣ .

(٤) اشتهر في بني إسرائيل قتل الأنبياء ، وقد سبق أن ذكرناه .

وكان له يوم يخلو فيه بنفسه ويشغل بطاعة ربه ، فانتهزوا الفرصة في ذلك اليوم وتسوروا المحراب ، فلما دخلوا عليه وجدوا عنده أقواما يمنعونهم ، فخافوا وقالوا كذبا خصمان بغى بعضنا على بعض ، فلما علم بقصدهم دعاه الغضب أن ينتقم منهم ، ولكنه مال إلى الصبح والتجاوز فكانت هذه الواقعة هي الفتنة (١) .

٣- ما رواه السبكي من (أن الفتنة انشغاله بالعبادة عن الحكم بين الناس أو انشغاله بالحكم عن العبادة أو لم يرد فتنة بل إظهار كرامته وأي الاحتمالات الثلاثة فيها تزيه نبينا داود عليه السلام وهو الراجح عندي للأسباب التالية .

أ - أن القول الفصل الذي ليس بالهزل في هذه القصة أن تحمل على وجهه يوجب إلحاق أعظم المدح والثناء لسيدنا داود عليه السلام ، فانشغاله بالعبادة يستحق المدح، وكذلك انشغاله بالحكم بين الناس والتقدم والتأخير فيها يرفعه مراتب عليا عند ربه عز وجل ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّآبٍ ۖ ﴾

ب - أنه يتضمن حمل المعنى على حقيقة لا مجاز فلا دليل يصرفه إلى المجاز .

ج - يتضمن هذا الرأي ثروة ساحتها عليه السلام ويحقق معنى العصمة ولا يجرح مقام النبوة الشريف (٢) .

وبذلك تنهار وتندحر مزاعم من قال بقصة أوريا وزوجته ، ونحفظ مقام الأنبياء بحيث لا تمس من قبل زنادقة اليهود وإسرائيلياتهم التي دخلت إلى كتب المفسرين عندنا .
ولكن كيف وصلت هذه الإسرائيليات إلينا ؟ ..

(١) مفاتيح الغيب للرازي ، ج ٦ ، ص ١٩٣ ، مجلد ١٣ ، باختصار .
(٢) الإكليل في استنباط التنزيل ، دراسة وتحقيق عامر عرابي ، ج ٣ ، ص ٨٥٠ .

الإسرائيليات* في كتب المفسرين

وصلت الإسرائيليات إلى كتب المفسرين من اختلاطهم بأهل الكتاب وروايتهم عنهم فاكتفى بعض المفسرين بذكر الرواية دون تعليق والبعض الآخر ذكر الإسرائيليات وعلق عليها وفندها والقسم الثالث أعرض عنها ونزه تفسيره منها وإليك التفصيل .

القسم الأول : تفسير (جامع البيان في تفسير القرآن) للإمام محمد بن جرير الطبري (١) :

وهو من المفسرين الذين نقلوا الإسرائيليات وقد أحاط بكثير من العلوم وعلى رأسها تفسير القرآن العظيم حتى وصل في آخر أيامه إلى درجة الاجتهاد واجتهد ، وكان أتباعه يسمون بالجريرية ، نسبة إليه ، وقد نال إعجاب العلماء الذي أتوا من بعده فشهدوا له بطول بابه ومثانة ذراعه في علوم كثيرة ، وفي مقدمتها التفسير ، قال الإمام النووي : (أجمعت الأمة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري) (٢) .

وهذا ما دفع ابن تيمية إلى أن يثني على تفسيره ويعطيه الأولوية على التفاسير فقال : (وأما التفاسير التي في أيدي الناس فأصحها تفسير محمد بن جرير الطبري ، فإنه يذكر مقالات السلف بالأسانيد الثابتة وليس فيه بدعة ولا ينقل عن المتهمين كمقاتل بن بكر والكلبي) (٣) .

وبالرغم من هذا الشاء العاطر من العلماء إلا أنه تعرض للنقد في حمله للروايات الإسرائيلية مع نقلها بالسند إلى أصحابها وأحيانا ينسب عليها ، وأكبر مأخذ عليه هو أنه نقل تلك القصة الخرافية المشوهة لسيرة سيدنا داود عليه السلام دون أن يرد عليها بكثير أو قليل معلنا أنها من بدهيات الكذب والتزوير . (وإذا كان ابن جرير يتعقب كثيرا من هذه الروايات بالنقد فتفسيره لا يزال يحتاج إلى النقد الفاحص الشامل احتياج كثير من كتب التفسير التي اشتملت على الموضوع والقصاص الإسرائيلي) (٤) .

* الإسرائيليات اصطلاح أطلقه المنقون من علماء الإسلام على القصص اليهودية والنصرانية التي تسربت إلى المجتمع الإسلامي بعد دخول جمع من اليهود والنصارى إلى الإسلام أو تظاهروا به بالدخول فيه ، وهذا اللون من هذه الثقافة دخل إلى الكتب التي لا يشدد أصحابها في التحقيق والرواية ومعظم هذه القصص يمثل الجانب الخرافي من تلك الثقافة المخالفة لقواعد المنطق وإدراك العقل السليم ، أنظر التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي ، ج ١ ، ص ١٦٥ ، طبعة دار الكتب الحديثة ، سنة ١٣٨١هـ .

(١) هو الإمام العالم الفاضل وحيد دهره وفريد عصره في النبوغ لا سيما في علم التفسير ، من أهل طبرستان ، ولد بها سنة أربع وعشرين بعد المائتين من الهجرة ، وطاف في بلاد كثيرة لطلب العلم منذ صغره حتى يز أهل زمانه وفاق أقرانه في علم التفسير وبالتالي استقر في بغداد ومات بها سنة عشرين وثلاثمائة للهجرة ، أنظر التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي ج ١ ص ٢٠٥ ، طبعة دار الكتب الحديثة سنة ١٣٨١هـ .

(٢) الإتيان في علوم القرآن للسيوطي ، ج ٢ ، ص ١٩٠ ، الطبعة الثالثة ، ١٣٧٠هـ .

(٣) فتاوى ابن تيمية ، ج ٢ ، ص ١٩٢ ، مطبعة كردستان العلمية ، سنة ١٣٢٩هـ .

(٤) التفسير والمفسرون ، للدكتور الذهبي ، ج ١ ، ص ٢١٢ - ٢١٥ بختصار .

ثانيا : تفسير الثعلبي ^(١) :

وهو من المشهورين برواية الإسرائيليات في تفسيره ولا يتحرى الدقة والصواب في كل ما ينقله لذلك نقده السيوطي فقال : (إن الثعلبي يكثر من الروايات عن السدي الصغير عن الكلبي وعن أبي صالح عن ابن عباس ، وهذه هي سلسلة الكذب) ^(٢) . ومن هنا فإن العلماء الذين أتوا بعد الثعلبي انقسموا قسمين : ما بين معدل له وجارح ، والملاحظ على الثعلبي أنه ينقل بكثرة عن كعب الأحبار ووهب بن منبه والسدي وغيرهم من علماء الإسرائيليات . وقال فيه ابن تيمية : (الثعلبي كان فيه خير ودين وكان حاطب ليل ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع) ^(٣) .

ثالثا : معالم التنزيل للبغوي ^(٤) :

الظاهر من نقد العلماء لتفسيره أنه اختلف عن سلفه في هذا الموضوع بعض الشيء حيث إنه قلل من ذكر الأحاديث الموضوعة وإيراد القصص الباطلة في تفسيره ، يقول ابن تيمية : (والبغوي تفسيره مختصر الثعلبي لكنه صان تفسيره عن الأحاديث الموضوعة والآراء المبتدعة) ^(٥) . ولكن صونه عن الموضوعات يكون صونا نسبيا ، أي بالنسبة لتفسير الثعلبي وأقرانه فهو ينقل عن الكلبي والضحاك ومقاتل ابن سليمان والسدي وهؤلاء الأربعة موضع تهمة عند علماء الجرح والتعديل .

رابعا : الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ^(٦) :

إن الإمام السيوطي كان أعلم أهل زمانه في علم الحديث رواية ودراية وكان يحفظ مائتي ألف حديث ^(٧) ، وقال عن تفسيره في كتابه الإتيقان : (وقد جمعت كتابا مسندا فيه تفاسير النبي صلى الله عليه وسلم في بضعة عشر ألف حديث ما بين مرفوع وموقوف ، وقد تم في أربع مجلدات وسميته ترجمان القرآن) ^(٨) .

(١) هو أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري ، قد اشتهر في زمانه بعلم التفسير وفاق أقرانه فيه مما جعل ابن خلكان يقول عنه " إنه كان أوجد زمانه في علم التفسير " ، وفیات الأعيان ، ج ١ ، ٣٧-٣٨ ، الطبعة الأميرية ، سنة ١٢٩٩هـ .

(٢) التفسير والمفسرون ، الذهبي ، ج ١ ، ص ٣١٥ - ص ٣٢١ ، باختصار .

(٣) مقدمة التفسير لابن تيمية ، ص ١٩ ، مطابع الرياض ، ط ١ ، سنة ١٣٨١هـ ، وذكر نحوه في منهاج السنة ج ٤ ، ص ٤ .

(٤) هو أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد المعروف بالبغوي من علماء الشافعية ، كان إماما جليلا ورعا زاهدا فقيها محدثا مفسرا ذا مصنفات كثيرة (أنظر وفیات الأعيان) ، طبع مع تفسير الخازن .

(٥) مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية ، ص ١٩ ، ط ١ ، سنة ١٣٨١هـ من مطابع الرياض ، الفتاوى .

(٦) الإمام الحافظ جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي الشافعي ، كانت ولادته في رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة هـ ، وتوفي ليلة الجمعة تاسع عشر من جمادي الأولى سنة إحدى عشرة وتسميته . شذرات الذهب في أخبار من ذهب للحنبلي ، ج ٨ ، ص ٥١ ، مطبعة الصدق الخيرية ، سنة ١٣٥٠هـ .

(٧) شذرات الذهب ، ج ٨ ، ص ٥٥ .

(٨) الإتيقان في علوم القرآن ، ج ٢ ، ص ١٨٣ ، مطبعة الإرشاد ، بغداد .

والذي يقرأ هذا التفسير يتبادر إلى ذهنه أنه لم يحصل إلا الرواية الصحيحة ولكنه أصبح مزيجاً من الروايات الصحيحة والضعيفة والموضوعة ، ولهذا فقد حذر بعض العلماء المحدثين من قراءة هذا التفسير ولم يجيزوها إلا لأهل الاختصاص وذلك لكثرة ما فيه من الوضع والقصص الإسرائيلي الباطل ! ، قال الدكتور محسن عبد الحميد : (وأما السيوطي فقد جعل تفسيره الضخم (الدر المنثور) ملتقى الروايات الصحيحة والضعيفة والموضوعة ، فلا أوصي غير المختص بمراجعة هذا التفسير خشية الانحراف وراء الموضوعات) (١) .

خامساً : تفسير القرطبي (٢) :

وهو أيضاً يذكر الروايات الإسرائيلية دون التعقيب على الكثير منها مع أنه يقول في مقدمة تفسيره : (وأضرب عن كثير من قصص المفسرين وأخبار المؤرخين إلا ما لا بد منه ولا غنى عنه للتبيين) (٣) .

ومع ذلك نجده يكثر من الأخبار الإسرائيلية دون التعقيب عليها والكثير منها خرافات وأضاليل وحتى تعقيباته مقتضبة لا تعطي المقام حقه ، فمثلاً بعد أن سرد قصة داود عليه السلام اكتفى بقوله (لا يصح) فقط وأحياناً يحيل القصة إلى تفسير الطبري أو يزيد عليها من الإسرائيليات (٤) .

سادساً : لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن (٥) :

من محاسن الخازن التي يعتمد عليها في تفسيره هو أنه رفض قبول أي قصة تطعن بعصمة الأنبياء ، وفي بعض الأحيان يقف عند هذا النوع من القصص طويلاً ويناقشه مناقشة موضوعية قائمة على الدلائل العقلية والعقلية كما فعل في قصة سيدنا داود عليه السلام ، وما عدا قصص الأنبياء فإنه يسرده ويمر عليه دون تعقيب .

وهؤلاء المذكورون أشهر من طفحت تفاسيرهم بالقصص الإسرائيلي .

(١) مجلة كلية الدراسات الإسلامية ، ص ١٧٠ ، العدد الرابع ، سنة ١٣٩٢هـ .
(٢) القرطبي هو : محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي ، القرطبي من كبار المفسرين وله كتاب التذكرة في أحوال الموتى وكتاب الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ، أنظر ديباج المذهب لابن فرحون ، ج ٢ ، ص ٣٠٨ .
(٣) تفسير القرطبي ، ج ١ ، صفحة ٣ ، الطبعة الأولى ، مطبعة دار الكتب المصرية ، سنة ١٣٦٣هـ .
(٤) تفسير القرطبي ، ج ٥ ، ص ١٦٩ .
(٥) هو الإمام علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد المعروف بالخازن المولود ببغداد سنة ٦٧٨ ، والمتوفى بمدينة حلب ٧٤١هـ (مقممة تفسيره) .

القسم الثاني : المفسرون الذين احتاطوا في رواية الإسرائيليات وتصدوا لنقدها :

أولا : ابن عطية ^(١) :

صاحب تفسير (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) ، ابتعد كثيرا عن الخوض في الإسرائيليات ، بل لا يترك من هذه رواية تمر إلا نبه عليها إلا في حالات نادرة ومن هنا فإن العلماء والنقاد أثنوا عليه قديما وحديثا ، فابن تيمية يعقد مقارنة بين تفسير ابن عطية وتفسير الزمخشري فيقول :

(وتفسير ابن عطية خير من تفسير الزمخشري وأصح نقلا وبحثا وأبعد عن البدع وإن اشتمل على بعضها بل هو خير منه بكثير ، بل لعله أرجح هذه التفاسير) ^(٢) .
ويقول أبو حيان يصف ابن عطية وتفسيره : (إنه أجل من صنف في علم التفسير وأفضل من تعرض فيه للتنقيح والتحرير) ^(٣) .

ثانيا : تفسير الرازي ^(٤) (مفاتيح الغيب) المشهور بالتفسير الكبير :

حظي تفسيره بشهرة واسعة بين العلماء وطلاب العلم لما فيه من الأبحاث التي تتعلق بجميع العلوم ، يقول السيوطي في الإتيان : (ملأ الرازي تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة وشبهها وخرج من شيء إلى شيء حتى يقضي الناظر العجب من عدم مطابقة المورد للآية) ^(٥) ، فالإمام الرازي رفض كل رواية تطعن في عصمة الأنبياء ورد عليها كما سبق أن ذكرنا في قصة داود عليه السلام ، كما ناقش الكثير من الإسرائيليات مناقشة علمية موضوعية ورفض كل رواية تعرضت لتفصيلات سكت عنها القرآن الكريم.

ومن هنا يظهر لنا أن الإمام الرازي قد اطلع على الأخبار اطلعا كاملا وعرف ما فيها من الدسائس والسموم فأصبح من فرسان هذا الميدان الناقدین بعين العقل والبصيرة ^(٦) .

(١) هو أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي القرطبي المالكي ، عالم في الفقه والحديث والتفسير واللغة والأدب ، ولد سنة إحدى وثمانين وأربعمائة وتوفي سنة إحدى وأربعين وخمسمائة هجرية ، أنظر معجم المؤلفين ، ج ٥ ، ص ٩٣ لكحاله ، وطبقات المفسرين للسيوطي ، ص ١٧ .

(٢) فتاوى ابن تيمية ، ج ٢ ، ص ١٩٤ ، مطبعة كردستان العلمية ، سنة ١٣٢٩ هـ .

(٣) البحر المحيط ، لأبي حيان ، ج ١ ، ص ١٠ .

(٤) هو الإمام محمد بن عمر بن حسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الطبرستاني الرازي الملقب بفخر الدين ، وكان يعرف بابن خطيب الري ، ولد بالري سنة ٥٤٤ هـ ، وتوفي بها ٦٠٦ هـ / أنظر وفيات الأعيان ج ١ ، ص ٣٨١ ، والبداية والنهاية لابن كثير ، ج ١٣ ، ص ٥٥ ، الطبعة الأولى ، سنة ١٣٤٨ هـ ، مطبعة كردستان العلمية .

(٥) الإتيان للسيوطي ، ج ٢ ، ص ٢٦٦ .

(٦) أنظر كتاب الرازي مفسرا ، د . محسن عبد الحميد ، ص ١٤٦ ، دار الحرية للطباعة ببغداد سنة ١٣٩٤ هـ .

ثالثا : تفسير ابن كثير ^(١) القرشي :

فسر القرآن بالقرآن كثيرا وامتاز بالتنبيه على كثير من الروايات الإسرائيلية وعلى نقده لها نقدا موضوعيا أحيانا ، فقد ذكر في تفسير سورة (ق) قوله : وكأن هذا - والله أعلم - من خرافات بني إسرائيل التي أخذها عنهم بعض الناس لما رأى من جواز الرواية عنهم مما لا يصدق ولا يكذب ، وعندي أن هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم يلبسون به على الناس أمر دينهم ^(٢) .

ويأتي بعد هؤلاء المفسرين الذين نقدوا كثيرا من الأخبار الإسرائيلية واحتاطوا كثيرا في روايتها كل من :

- ١- ابن العربي في تفسيره (أحكام القرآن) ^(٣) .
- ٢- الزمخشري ^(٤) في تفسيره (الكشاف عن حقائق التتريل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل).
- ٣- أبو حيان الأندلسي ^(٥) صاحب تفسير (البحر المحيط) .
- ٤- البيضاوي ^(٦) في تفسيره (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) .
- ٥- النسفي ^(٧) في تفسيره (مدارك التتريل وحقائق التأويل) .
- ٦- أبو السعود ^(٨) في تفسيره (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) .

(١) هو الإمام الثبت الورع التقى المحدث المؤرخ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير بن ضوء بن كثير بن زرع البصري ثم الدمشقي الشافعي ، ولد سنة سبع مائة وتوفي سنة أربع وسبع مائة من الهجرة ، ودفن بمقبرة الصوفية عند شيخه ابن تيمية رحمهما الله ، كان له اطلاع عظيم في الحديث والتفسير والتاريخ واشتهر بالضبط والتحرير وانتهى إليه علم التاريخ والحديث والتفسير ، وله مصنفات عديدة مفيدة ، أنظر طبقات المفسرين ص ١٢٧ ، للداودي .

(٢) تفسير ابن كثير ، ج ٤ ، ص ٢٢١ ، طبعة دار إحياء الكتب العربية .

(٣) هو القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعروف بابن العربي المولود في إشبيلية سنة ست وثمانين وأربعمائة للهجرة ، المتوفى في فاس سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة للهجرة .

(٤) أبو القاسم جاد الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ، ولد سنة ٤٦٧ هـ ، وتوفي في ٥٣٨ هـ بزمخشتر سمع الحديث وجاور بمكة مدة من الزمن وكان يظهر مذهب الاعتزال ويصرح بذلك في تفسيره وينظر عليه وكان مولعا بالعربية شغوبا بدراستها منقطعا لروايتها وخدمة علومها ، أنظر وفيات الأعيان / لابن خلكان ، ج ٢ ، ص ١١ .

(٥) هو محمد ابن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الإمام أثير الدين أبو حيان الأندلسي الغرناطي نحوي عصره ولغويه ومفسره ومحدثه ومقرئه ومؤرخه وأديبه ولد بمطخشارش وهي مدينة كمن حضرة غرناطة ، ولد سنة أربع وخمسين وست مائة من الهجرة والمتوفى في مصر سنة خمس وأربعين وسبع مائة من الهجرة ، وله مؤلفات كثيرة منها البحر المحيط والتذليل والتكميل في شرح التسهيل ، أنظر شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٩٢ ، أنظر طبقات المفسرين / للحافظ الداودي تحقيق علي محمد عمر ج ٢ ص ٢٨٦ - ٢٩١ ط ١ ١٣٩٢ هـ .

(٦) القاضي البيضاوي ، توفي بمدينة تبريز سنة إحدى وتسعين وست مائة .

(٧) أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ، توفي سنة إحدى وسبع مائة من الهجرة .

(٨) أبو السعود : هو محمد بن محمد بن مصطفى الطحاوي الحنفي ، فقيه أصولي ومفسر ، ولد بالقسطنطينية ، س ٨٩٨ هـ ، وتوفي سنة اثنين وثمانين وتسعمائة من الهجرة ، أنظر شذرات الذهب ، ج ٨ ، ص ٣٩٨ ، واللبدر الطالع ، ج ٢ ، ص ٢٦١ .

القسم الثالث : المفسرون المحدثون الذين رفضوا الإسرائيليات ونقدوها :

١- الألوسي^(١) في تفسيره (القرآن العظيم والسبع المثاني) .

٢- محمد رشيد^(٢) في تفسيره (المنار) .

(١) هو أبو الثناء شهاب الدين السيد محمود الألوسي ، عالم بغداد وفتيها ، ولد سنة ١٢١٧هـ في الكرخ من بغداد ، وتوفي يوم الجمعة الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة سبع ومائتين بعد الألف ودفن مع اهله في مقبرة الشيخ معروف الكرخي ، التفسير والمفسرون ، ج ١ ، ص ٣٥٥-٣٥٦ .

(٢) السيد محمد رشيد رضا هو ابن السيد علي رضا ولد في ٢٧ من جمادي الأولى سنة ثنتين وثمانين ومائتين وألف من الهجرة ، وذلك في إحدى قرى لبنان التي تسمى (القلمون) وتقع على شاطئ البحر المتوسط من جبل لبنان .

أسباب دخول الإسرائيليات في كتب التفسير

عاش كثير من أهل الكتاب قبل الإسلام بين العرب سواء كانوا يهودا في المدينة وما حولها، وفي اليمن، أم كانوا نصارى في نجران والأطراف الشمالية من شبه الجزيرة العربية وفي غيرها من بلاد العرب الواسعة. وكانت القبائل العربية التي يعيش بينها بعض أهل الكتاب ترى لأهل الكتاب عليها فضلا في العلم، فتقتدي بهم في كثير مما يفعلون تطلبا لما عساه يكون موافقا لما لديهم من كتاب.

روى أبو داود في كتاب النكاح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إنما كان هذا الحبي من الأنصار - وهم أهل وثن - مع هذا الحبي من يهود - وهم أهل كتاب - وكانوا يرون لهم فضلا عليهم في العلم فكانوا يقتدون بكثير من فعلهم^(١).

ولما جاء الإسلام ودخل فيه من كتب الله له السعادة والنجاة من أولئك العرب الذين دانوا باليهودية أو بالنصرانية أو من تأثروا بما سمعوه من أهل الكتاب في جاهليتهم، ومن أسلم من أهل الكتاب ولا سيما أحبارهم ورهبانهم الذين كان لهم علم بالتوراة وشروحها والذين ولدوا مسلمين في بيوت يهودية رأوا أن في القرآن الكريم ذكرا مجملا لبعض المسائل الكونية وقصص بعض الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ومسائل التاريخ القديمة كسفينة نوح عليه السلام، والحديث عن الأمم الغابرة وما أشبه ذلك مما تحدثت عنه التوراة أو الإنجيل التي بأيديهم رجعت بهم الذاكرة إلى ما كانوا قد علموه أو سمعوه من قبل ليفصلوا به - في نظرهم - ما أجمله القرآن الكريم ويوضحوا به مبهمه^(٢).

كما أن هناك من أدخل الإسرائيليات في التفسير على وجه الدس بقصد الإفساد على المسلمين دينهم وعقيدتهم، وهؤلاء كان سيفهم أمضى وساعدهم أقوى وفتنتهم أشد لأنهم أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، وأسلموا خداعا ثم ارتدوا من أجل أن يرجفوا المسلمين ويثيروا الفتنة، مثل ابن صوري وغيرهم^(٣).

(١) سنن أبي داود، ج ٢، ص ٢٤٩، حديث رقم ٢١٦٤.

(٢) التفسير والمفسرون للذهبي، ج ١، ص ١٩٦.

(٣) سيرة ابن هشام، ج ٢، ص ١٤٠، مطبعة الحلبي، سنة ١٣٥٥هـ.

هذا في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم في عهد التابعين توسعت رواية الإسرائيليات عن عهد الصحابة وتساهل بعض المفسرين في قبول هذه الإسرائيليات مما زاد الطين بلة ، بل كان قاصمة الظهر ، وبهذا قد جلبوا من المضار ما لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى ، قال ابن العربي :
(والذي أوقع الناس في ذلك رواية المفسرين وأهل التقصير من المسلمين في قصص الأنبياء)^(١) ،
وكان الجدير بهم أن ينقدوها وينبهوا المسلمين عليها ، أو لا يدونوها في كتبهم لأن المسلمين في غنى عنها وذلك لأن القرآن الكريم والسنة النبوية فيهما الكفاية .

وهذا الموقف من بعض المفسرين ساعد في نشر الإسرائيليات وفتح لها الباب بعد أن كان موصدا في وجهها ، واعتبر جزءا من تفسير القرآن الكريم ما يسمى بالتفسير بالمأثور فلما دون التفسير وجدت هذه الأباطيل لها مكانا رحبا في كثير من كتب التفسير على ما فيها من فساد في المعنى وتناقض في المضمون وظلم لكثير من الأنبياء والرسل عليهم السلام .

وإنما استأنس بعض الصحابة رضي الله عنهم في استماعهم لبعض أقاصيص بني إسرائيل ولا سيما فيما يذكرون من غرائب وعجائب لما يعلمونه من السماح لهم بذلك بقوله صلى الله عليه وسلم:
"حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج"^(٢) وهذا محتمل لأمرين :

أولهما : أن معناه حدثوا عن بني إسرائيل بما تسمعونهم منهم من أخبارهم مما لا يعارض شرعنا .
ثانيهما : أن معناه حدثوا عن حياتهم وأحوالهم وما رأى أسلافهم من عجائب وغرائب وما كانوا عليه من حق ثم بدلوه وغيروه ولا حرج عليكم في هذا لأن بني إسرائيل قوم لهم تاريخ مليء بالغرائب والعجائب .

(١) تفسير أبي بكر بن العربي ، ج ٤ ، ١٦٢٢ .
(٢) رواه البخاري في صحيحه ، ج ٤ ، ص ٢٠٧ برقم (٣٤٥٥) والترمذي في سننه ، ج ٥ ، ص ٤٠ ، وأبو داود في السنن ج ٣ ، ص ٣٢٢ ، والشافعي في الرسالة ، ص ٣٩٧ .

موقف الإسلام من الإسرائيليات

بين الإسلام أن هذه الإسرائيليات تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

١- القسم الأول :

ما صدق الإسلام فهذا تجوز روايته وكتابته والتحدث به، ولو أن الإسلام والمسلمين في غنى عنه ، وعلى هذا يحمل قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث : (بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)^(١) .

وذلك لأن الإسلام دين دعوة فيحذر الاطلاع على ما عند الخصوم لردهم بسيفهم وتفنيده عقائدهم المنحرفة بما في كتبهم لأن الرد عليهم من كتبهم يكون أوقع في نفوسهم ، قال تعالى : ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾^(٢) .

٢- القسم الثاني :

ما بين الإسلام كذبه فكذبه ورفض قبوله ، فهذا لا تجوز روايته ولا التحدث به ولا كتابته فيما يتداوله المسلمون ، وذلك لئلا يخيل إليهم أن هذه الأحاديث والأقاصيص صادقة فتفتك في عقائدهم ، وذلك لأن كثيراً من المسلمين لا يستطيعون أن يميزوا بين الحديث الصحيح وغيره ، ثم إن هذه الأحاديث الإسرائيلية الموضوعة أكثرها مما يثير عاطفة العامة ويحرك وجدانهم ويهز نفوسهم فتعلق بسرعة في أذهانهم ، إلا ما كتب نقلاً عنهم مفنداً كذبهم ومبين ضلالاتهم فلا يؤس به والله أعلم .

وعلى هذا القسم يحمل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذي أنزل على نبيه أحدث الأخبار بالله^(٣) تقرأونه لم يشب وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله وغيروا بأيديهم الكتاب ، فقالوا : هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَتْ رَأْيُهُ ثُمَّ قَلِيلًا^(٤) ، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم ؟ ، ولا والله ما رأينا منهم رجلاً قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم)^(٥) .

(١) صحيح البخاري ، ج ٤ ، ص ٢٠٨ ، طبعة دار الشعب .

(٢) سورة آل عمران : آية ٩٣ .

(٣) أحدث الأخبار : أي أقربها نزولاً إليكم من عند الله عز وجل .

(٤) صحيح البخاري ، ج ٢ ، ص ٢٣٧ .

ومن هذا القبيل أيضا موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقد أخرج الإمام أحمد والبخاري عن جابر رضي الله عنه قال : نسخ عمر كتابا من التوراة بالعربية فجاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يقرأ ، ووجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتغير ، فقال له رجل من الأنصار ويحك يا ابن الخطاب ألا ترى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنهم لن يهدوكم ، وقد ضلوا ، وإنكم إما أن تكذبوا بحق أو تصدقوا بباطل ، والله لو كان موسى بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني) (١) .

وغضب الرسول صلى الله عليه وسلم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه في القسم الذي أخبره الله تعالى بالقرآن الكريم وأطلعه أن أهل الكتاب قد بدلوا وغيروا في كتبهم فلا يوثق بما فيها ولا يعتمد عليها إلا إذا قام الدليل من القرآن والسنة على صحته ، ومن هذا القسم الممنوع روايته كل ما ذكر في قصص الأنبياء من أخبار تطعن في عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كقصصة داود وسليمان عليهما السلام وغيرهما من الأنبياء الكرام .

٣- القسم الثالث :

ما سكت عنه فلا تؤمن به ولا تكذبه خشية أن يكون حقا فنكذبه ، أو باطلا فنصدقه ، ولعل هذا القسم هو المراد بما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال : كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا ﴿ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ الآية (٢) .

ومع هذا فالأولى عدم ذكره وإضاعة الوقت فيه ، وذلك لأن كثيرا من هذه الأمور التي تحدثت عنها التوراة في هذا الموضوع من الأمور السمعية وكثير منها مما يتعلق بالعقيدة فلا بد في روايتها من الأدلة القطعية من القرآن والسنة ، ثم إن فيما عندنا غنى عن ذلك ، وهذا ما فهمته من الأحاديث الواردة في الأخبار الإسرائيلية من الجواز والمنع والتفويض وهذا وجه من وجوه التوفيق بين هذه الأدلة .

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر ، ج(١٧ / ٢٠٩) ، طبعة الحلبي سنة ١٣٧٨هـ ، وكذلك مسند الإمام أحمد ، ج ٣ ، ص ٣٣٨ .

(٢) صحيح البخاري ، ج ٦ ، ص ٢٥ ، الآية من سورة البقرة ١٣٦ .

وذهب بعض العلماء إلى حمل النهي عن مطالعة ما عند أهل الكتاب من تراث والتحذير من قراءة كتبهم على أنه كان قبل أن تستقر الأحكام وتثبت القواعد وتبلور العقيدة في قلوب المسلمين ، فكان النهي في بداية عهدهم بالإسلام وذلك للحفاظ على سلامة عقائدهم .

قال ابن حجر : (وكأن النهي وقع قبل استقرار الأحكام الإسلامية والقواعد الدينية خشية الفتنة ، ثم لما زال المحذور وقع الإذن في ذلك لما في سماع الأخبار التي كانت في زمانهم من الاعتبار)^(١) . ثم لما استقرت الأحكام الإسلامية والقواعد الدينية وفهم المسلمون عقيدتهم وفهموا حقيقة التوراة والإنجيل ، وأصبحت لديهم القدرة الكافية على معرفة الأصيل من الدخيل جاء الجواز بالتحدث عن أهل الكتاب بشرط أن يكون المتحدث فيه غير مكذوب ، أي بأن يكون عندنا ما يوافقه أو يشهد له بالصحة والقبول .

قال الحافظ ابن حجر عند شرحه لدليل الجواز : " وقال الشافعي : من المعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يجوز التحدث بالكذب ، فالمعنى حدثوا عن بني إسرائيل بما لا تعلمون كذبه .. " ^(٢) .

الخلاصة :

أن ما علمنا صحته من الإسرائيليات فذاك صحيح مقبول نحدث ونحتج به ^(٣) وذلك مثل ما ذكر في صاحب موسى عليه السلام والخضر وما يتعلق ببشارة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وأن التوحيد هو دين جميع الأنبياء عليهم السلام ^(٤) .

وأن ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه فترفضه رفضاً باتاً ولا تجوز روايته ولا ذكره إلا على سبيل الموعظة والتذكير بما فعل أهل الكتاب بكتب الله من التغيير والتبديل وذلك مثل ما ذكره من الطعن في عصمة الأنبياء . وأن ما هو مسكوت عنه فلا نصده ولا نكذبه والأولى الابتعاد عنه ورد أمره إلى الله ، وبذلك يتضح لنا براءة سيدنا داود وسليمان عليهما السلام من جميع القصص المفتراة عليهما وأنها من الإسرائيليات التي شرحنا كيف دخلت إلى كتب التفسير وموقف الإسلام منها ، وبالله التوفيق ..

(١) فتح الباري ، (٦ / ٣٢٠) .

(٢) المصدر السابق بتصريف .

(٣) مقدمة التفسير لابن تيمية ، ص ٤٥ - ص ٤٦ .

(٤) الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ، محمد بن محمد أبو شهبه ، ص ١٣٣ .

الرد على الأخطاء التي نسبت إلى داود عليه السلام في الأسفار اليهودية

بالقراءة المتأنية للأسفار اليهودية نجدها مليئة بالكذب والافتراء على الأنبياء عليهم السلام ، ووصفهم بأقبح الشرور والآثام ، ومن الأنبياء المفترى عليهم سيدنا داود عليه السلام ، لذا وجب علينا أن نرد عليهم من نص كتابهم أولاً ثم بالحجج العقلية والمنطقية ثانياً ، لأن هذا هو المنهج العلمي في الرد على الخصوم .

١- وصف نبي الله داود عليه السلام بالزنا والقتل في أسفارهم اليهودية

[٢] وكان في وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم ٢٧.٠٠٠ ، ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته وصارت له امرأة وولدت له ابناً ، وأما الأمر الذي فعله داود فقبح في عيني الرب [١] .

يقول صاحب السنن القوم في تفسير أسفار العهد القديم معلقاً :

(كان داود قد وصل أوج نجاحه ومجده ومن هذا الإصحاح يتبدى خير سقوطه والمصائب والتحل والأحزان التي أصابته هو ومملكته بسبب خطيئة ، وخطيئة داود كانت في أخذه امرأة غيره وقتله رجلها وكان ذلك خطيئة عظيمة في القديم كما هو اليوم ، فالشريعة أمرت بقتل الزاني والزانية ، غير أن الملوك والعظماء في القديم كانوا يفعلون هذه الخطيئة بلا حياء ، ولم يعمل داود أكثر من غيره ولكن عظمة خطيئته ناتجة عن كونه مسيح الرب ، ورجل الله يعرف الحق فجعل أعداء الرب يشمتون) (٢) .

كأن صاحب السنن يعترف ضمناً بأن ملوك بني إسرائيل زناة وقتلة وهذا أمر متفق عليه عندهم . ثم يستطرد العهد القديم ويذكر أن الرب أراد أن يعلم داود في شأن خطيئته فأرسل إليه ناثان وضرب له مثال الرجل الفقير صاحب النعجة الواحدة ، والرجل الغني صاحب النعاج الكثير ، فجاء ضيف للرجل الغني فعاف أن يأخذ من غنمه وبقره ليهيئ للضيف الذي جاء إليه فأخذ نعجة الرجل الفقير و هيأها للرجل الذي جاء إليه فحمي غضب داود، فقال ناثان لداود أنت هو الرجل هكذا قال الرب إله إسرائيل (٣) .

(١) سفر صموئيل الثاني (١١ : ٢-٢٧) اكتفيت بذكر الشاهد والقصة طويلة في هذا السفر .

(٢) السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم ، ج ٤ ، ص ١٨٠-١٨١ يتصرف .

(٣) صموئيل الثاني (١٢ : ١-١٥) ، الرواية بالمعنى هنا .

الرد على هذه الشبهة من أسفارهم :

إذا تصفحنا العهد القديم الذي بين أيديهم اليوم نجد التناقض واضحاً بين إصحاحاته ، فمرة يصفون داود بأقبح الشرور والمآثم ومرة يصفونه بأنه طاهر اليدين ولم يعص الرب قط ، ففي أسفارهم قول : [٢١ يكافئني الرب حسب بري ، حسب طهارة يدي برد علي ٢٥ ، لأني حفظت طرق الرب ولم أعص إلهي ٢٣ ، لأن جميع أحكامه أمامي وفرائضه لا أحيد عنها]^(١) .

وهذا السفر يقرون أنه كتب بإلهام وهو واجب التسليم وكل ما فيه صدق عندهم ومحال أن الزنا من البر واتباع وصايا الله والمحافظة على الشريعة^(٢) .

وفي سفر الملوك الأول : [٦ فقال سليمان أنك قد فعلت مع عبدك داود أبي رحمة عظيمة حسبما سار أمامك بأمانة وبر واستقامة قلب معك فحفظت له هذه الرحمة العظيمة وأعطيته ابناً يجلس على كرسیه كهذا اليوم]^(٣) .

فهل من البر والأمانة واستقامة القلب أن يخون داود ويهتك عرض عبده أوريا ، فهل هذه الفعلة الشنيعة من الاستقامة عندهم ؟ .

وفي نفس الوقت يصفه الكتاب المقدس بأنه ابن الله كما تقول المزامير على لسان داود عليه السلام [٧ ... قال لي (الله) أنت ابني .. أنا اليوم ولدتك]^(٤) .

فهل أبناء الله يزنون ويقعون في الشر والمآثم ؟ .

ثم ماذا عن جريمة الزنا في العهد القديم ؟ :

[١٠ وإذا زنى رجل مع امرأة فإذا زنى مع امرأة قريبة فإنه يقتل الزاني والزانية]^(٥) .

[٢٢ إذا وجد رجل مضطجعاً مع امرأة زوجة بعل يقتل الاثنان الرجل المضطجع مع المرأة والمرأة فتزرع الشر من إسرائيل]^(٦) .

فإن كان الزنا حرام ومحرم على الرجل العادي في العهد القديم فما بالك بالنبي والرسول ؟ ، إن ما لا يجوز في حق الناس وما يحرم عليهم ، من باب أولى لا يجوز ولا يشرع للأنبياء والرسل عليهم السلام ، وإذا كان الزنا جريمة فالقتل كذلك.

(١) صموئيل الثاني (٢٢ : ٢١ - ٢٤) .

(٢) قصص الأنبياء ، عبد الوهاب النجار ، ص ٣١٣ .

(٣) سفر الملوك الأول : (٦ : ٣) .

(٤) سفر المزامير : (٧ : ٢) .

(٥) سفر اللاويين : (٢٠ : ١٠) .

(٦) سفر التثنية : (٢٢ : ٢٢) .

تقول الأسفار القديمة في تحريم القتل وحده :

١- [لا تقتل] ^(١) ، وهي من الوصايا العشر .

٢- [من ضرب إنساناً فمات يقتل قتلاً] ^(٢) .

٣- [إذا بغى إنسان على صاحبه ليقتله بغدر فمن عند مذبحي تأخذه للموت] ^(٣) .

قال صاحب السنن القويم : (إذا بغى إنسان على صاحبه أي ظلمه واعتدى عليه فمن عند مذبحي تأخذه للموت ، كان أكثر أهل العالم القديم يحظرون قتل الملتجئين إلى الأماكن المقدسة ويلعنون من يقتلهم بناءً على ظنهم أنه لو كان مستعداً أو متعمداً للذنب ما لجأ إلى ذلك المكان ، لكن الشريعة الموسوية حسبت ذلك من الخرافات ورفضت أن يوقى القاتل في الأماكن المقدسة ، وأمرت بقتله إذا ثبت أنه قتل عمداً) ^(٤) .

فهذه بعض وصايا الرب لموسى عليه السلام بشأن التعدي على الآخرين وانتهاك حرماهم والتدبير لهم في القتل وبها أوصى داود عليه السلام ابنه سليمان عليه السلام قائلاً : [أنا ذاهب في طريق الأرض كلها فتشدد وكن رجلاً ٣ ، احفظ شعائر الرب إلهك إذ تسير في طرقه وتحفظ فرائضه ووصياه وأحكامه وشهادته كما هو مكتوب في شريعة موسى لكي تفلح في كل ما تفعل] ^(٥) . نقول كيف يأمر الزاني وسافك الدماء غيره إلى اتباع أمثل الطرق وحفظ وصايا الرب وأحكامه وشهادته وهو ليس أهلاً لذلك ؟ إن هذه الأدلة التي ذكرناها تناقض بعضها بعضاً ، وهذا هو التحريف والغلو البشري في عدم تنزيه هذا النبي الكريم سولت به أنفس اليهود كي ييحبوا لأنفسهم المآثم والشرور .

الأدلة العقلية :

١- أن العقل السليم ينكر أن يكون نبياً من الأنبياء أرسله الله لهداية بني إسرائيل وإصلاحهم واقتلاع الشهوات المادية وغيرها من نفوسهم ثم هو ذاته يقع في المعصية بل أشد المعاصي وأكبرها ، وكيف ينهى عن خلق ويأتي بمثله ؟ وكيف ينهى الناس ولا يأتمر هو بما يقول ؟ ، ولو كان كذلك ما صدقه قومه وما استمعوا له ، ولفروا من أمامه وانفضوا من حوله ، ولكن واقع بني إسرائيل على خلاف ذلك ، فقد ذكر العهد القديم أن صلاح حالهم كان في عهده حتى أسموه بالعهد الذهبي لبني إسرائيل .

(١) سفر الخروج : (١٣:٢٠) .

(٢) سفر الخروج : (١٢:٢١) .

(٣) سفر الخروج : (١٤:٢١) .

(٤) السنن القويم : ج ١ ، ص ٤١٦ .

(٥) سفر الملوك الأول : (٢ : ٢-٣) .

٢- اليهود في حياتهم ينفون كل ريبة وكل شبهة عن علمائهم وأخبارهم فكيف لا يجوزون ذلك للعلماء ويجوزونه على الأنبياء ، بل ويثبتونه ، فمن الأجدر بهم أن يدرءوا الشبهة عن نبينهم صاحب العصمة وصاحب العهد الذهبي .

٣- أن العقل السليم ينكر وقوع هذه الجريمة من نبي ملك أن يطمع في زوجة جندي ؟ وهو صاحب الملك وصاحب الزيجات الشرعية والإماء والسراري الجميلات من كل البلاد التي فتحتها في عهده ، وهل لديه الوقت ليخطط لقتل ذلك الجندي وهو يسير جيوشاً لتوطيد أركان مملكته ، وهو القائد السياسي البار ، هذا هراء وتناقض لا يتناسب أبداً مع قائد عسكري، فكيف بنبي وملك كريم كداود عليه السلام ؟ !

موقف داود عليه السلام من بني إسرائيل :

لعن داود عليه السلام بني إسرائيل لكفرهم وجفائهم وقساوة قلوبهم وخروجهم عن هدي الأنبياء والمرسلين قال تعالى : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (٧٨) ﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ (٧٩) تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿ (٨٠).

وقد بين الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات الكريمة سبب اللعن الذي مني به اليهود فمن أهم هذه الأسباب :

١- أنهم عصاة لله ولا يرقبون له إلا ولا ذمة ولا يعرفون حلالاً ولا حراماً . فقد جاء في وصفهم في الأسفار اليهودية : [قال الرب لموسى قد رأيت هؤلاء الشعب فإذا هم قساة الرقاب والآن وعني يضطرم غضبي عليهم فأفنيهم وأجعلك أمة عظيمة] (٨١) وهذا ينم عن مدى كفرهم بالله وغلوهم في المآثم والمعاصي .

(١) سورة المائدة آية (٧٨-٨٠) .

(٢) سفر الخروج (٣٢ : ١٠-١١) .

٢- أخبر الله سبحانه وتعالى عنهم أنهم قتلوا الأنبياء وأعداء حملة الرسالات في قوله تعالى :

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَمْوِسَىٰ لَنْ نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ
الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ
أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ
وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِثَآيَتِ اللَّهِ
وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾^(١)

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا وَيكْفُرُونَ بِمَا
وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَآءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾^(٢).
وكذلك جاء وصفهم في أسفارهم المخرفة : [أكل سيفكم أنبياءكم كالأسد المهلك]^(٣) .

٣- من الأسباب التي جعلت لعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم عليهما السلام : ﴿ قُلْ
يَتَّخِذُ الْكَافِرُونَ الْقِسْمَ لَكُمْ دِينُكُمْ وَيَتَّخِذُ الْكَافِرُونَ الْقِسْمَ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ
وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾^(٤) لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ
عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾^(٥) كَانُوا
لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾^(٦) تَرَىٰ كَثِيرًا مِنْهُمْ
يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ
هُمُ خَالِدُونَ ﴾^(٧) .



٢٧٤

(١) سورة البقرة آية ٦١ .
(٢) سورة البقرة آية ٩١ .
(٣) سفر أرميا (٤ : ١٣) .
(٤) سورة المائدة الآيات ٧٧-٨٠ .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	أ - ز
١ - الاستفتاح	أ
٢ - أهمية الموضوع	أ
٣ - خط البحث	ج
٤ - صعوبات الموضوع	د
٥ - منهج البحث	هـ
٦ - تقدير	و
تمهيد	١ - ١٥٦
أولاً: التعريف بالأسفار اليهودية	٢ - ٢٠
الأسفار لغة واصطلاحاً	٣
ثانياً: تقسيم الأسفار اليهودية	٤
ثالثاً: تدوين التوراة	٨
الضياع الأول	١١
الضياع الثاني	١٢
تعليق	١٤
الضياع الثالث	١٥
الضياع الرابع	١٦
لغة التوراة الأصلية وترجمتها	١٦
رابعاً: موقف بعض الفرق اليهودية من الأسفار	١٨
السامريون	١٨
الفريسيون	١٨
الصدوقيون	١٩
القراءون	٢٠

٣٥ - ٢١	المبحث الثاني : أسماء بني إسرائيل في التاريخ
٢٢	١ - العبري
٢٥	٢ - بنو إسرائيل
٣١	٣ - اليهودي
٣٣	٤ - الصهيونية
٥٩ - ٣٦	٣ - عرض موجز للأسفار اليهودية
٣٧	أولاً : الأسفار الخمسة
٤٠	ثانياً : الأسفار التاريخية
٤٣	ثالثاً : سير الشخصيات
٤٥	رابعاً : أسفار الأناشيد والحكمة
٤٨	خامساً : أسفار الأنبياء
٥٦	نبذة عن الأسفار الخفية والتلمود
٥٨	أقسام التلمود
٦٩ - ٦٠	تحريف الأسفار اليهودية
٦١	تعريف التحريف لغة واصطلاحاً
٦١	أنواع التحريف على ضوء القرآن الكريم وأقوال المفسرين .
٦٣	التحريف على ضوء الأسفار اليهودية
٦٦	شهادة أنبيائهم بتحريفهم لكلام الله
٦٨	شهادة العلماء بتحريف التوراة
٦٩	الخلاصة
٧٩ - ٧٠	رابعاً : القرآن الكريم
٧١	تعريف القرآن الكريم
٧٢	نزول القرآن الكريم
٧٣	تدوين القرآن الكريم

٧٧ حفظ القرآن الكريم
٣٠٣-٨٠ الفصل الأول: نبوة داود عليه السلام ومعجزاته
١٥٣-٨٢ المبحث الأول: الظروف الدينية والاجتماعية والتاريخية لبني إسرائيل قبل مبعث داود وسليمان عليهم السلام
٨٢ أولاً: عقيدة اليهود
٨٤ عقيدة اليهود من أسفارهم
٩٠ الإيمان بالأنبياء من أسفارهم
٩٤ الإيمان بالملائكة
٩٥ الإيمان باليوم الآخر
٩٧ الإيمان بالقضاء وقدر
١٠٠ الشعائر اليهودية
١٠١ الأعياد والمواسم
١٠٣ ثانياً : عقيدة اليهود من القرآن الكريم
١٠٥ سوء أدهم مع الله
١٠٩ سوء أدهم مع الملائكة
١١١ كفرهم بالكتب السماوية
١١٤ قتلهم الأنبياء
١١٥ عقيدة اليوم الآخر
١١٦ تاريخ بني إسرائيل
١١٧ تاريخ بني إسرائيل من الأسفار اليهودية
١١٩ تعليق
١٢٤ عهد القضاة
١٢٦ تاريخ بني إسرائيل على ضوء القرآن الكريم
١٢٦ إبراهيم عليه السلام
١٣٥ خلاصة

١٣٩ دخولهم مصر
١٤٠ موسى عليه السلام مع اليهود في مصر
١٤٦ دخولهم الأرض المقدسة
١٤٨ نسب داود وسليمان عليهما السلام
١٤٩ نسب داود عليه السلام في الأسفار اليهودية
١٥٢ نسبه عند المفسرين
١٥٣ نسبه في كتب التاريخ
٢٨٣-١٥٤ المبحث الثاني : نبوة داود عليه السلام ومعجزاته
١٥٦ الحالة السياسية في عهد داود وسليمان عليهما السلام
١٦٢ عهد الملوك
١٦٤ ذكر صفات الملك
١٦٦ بداية ظهور أمر داود عليه السلام
١٧١ ملك داود عليه السلام
١٧٣ بين الملك والنبوة
١٧٤ النبوة
١٨٢ الخلاصة
١٨٣ النبوة في الأسفار اليهودية
١٨٥ وظيفة الانبياء
١٨٧ الفرق بين النبي والرأي
١٨٩ تعريف النبي
١٩٣ الوحي
١٩٤ طرق الوحي في القرآن
١٩٦ طرق الوحي في الأسفار اليهودية

١٩٧ المعجزة
٢٠١ العصمة
٢٠٦ إثبات نبوة داود عليه السلام في ضوء الأسفار اليهودية
٢٠٧ إثبات نبوة داود عليه السلام في القرآن الكريم
٢٠٩ حياة داود عليه السلام
٢١٠ مكانة داود في الأسفار اليهودية
٢١٢ توليه الملك
٢١٦ أهم أعمال داود عليه السلام
٢١٨ معجزاته
٢١٩ توبة داود
٢٢٢ شيخوخة داود
٢٣٢ مكانة داود عليه السلام في القرآن الكريم
٢٢٥ نعم الله على داود عليه السلام
٢٢٦ إنتصار داود عليه السلام
٢٣٠ الخلاصة
٢٣٤ بداية ذكر داود عليه السلام في القرآن الكريم
٢٣٨ معجزات داود عليه السلام
٢٣٨ تسخير الجبال والطير
٢٤١ إلانة الحديد
٢٤٢ الحكمة وفصل الخطاب
٢٤٤ قضاء داود
٢٤٦ قضية الحرث
٢٤٨ وجهة نظر كل من داود وسليمان
٢٤٩ هل كان الحكم بوحى

٢٥٠	هل يجوز الاجتهاد للأنبياء
٢٥٣	الخلاصة
٢٥٤	قضية الخصمين
٢٥٩	رد الشبهات الواردة في بعض التفاسير
٢٦١	رد صاحب الكشف
٢٦٣	التعليق
٢٦٨	الإسرائيليات في كتب المفسرين
٢٧٤	أسباب دخول الإسرائيليات
٢٧٦	موقف الإسلام من الإسرائيليات
٢٧٨	الخلاصة
٢٩٧	الرد على الأخطاء التي نسبت لداود عليه السلام في الأسفار اليهودية
٢٨٢	موقف داود عليه السلام من بني إسرائيل